



الْفَقِيْهَةُ الْمُجَدِّدُ

عدد خاص بمناسبة الذكرى المئوية لإعادة
تأسيس حوزة قم العلمية

مجلة الآفاق الأسبوعية | جمادي الأولى ١٤٤٧ | أكتوبر ٢٠٢٥ | ١٢٨ صفحة
تنشر من قبل: مركز الإعلام والفضاء الافتراضي للحوزات العلمية في إيران

المدير المسؤول: رضا رستمي

رئيس التحرير: علي رضا مكتبدار

بمساعدة: مهدي بهابادي، حسين ميرزائي

علي آراندشتي الآراني، زاهد شاد

المصمم: حسين ميرزائي

المشرف على الطباعة: مصطفى أويسي

الهاتف: +٩٨٢٥٣٢٩٠٠٥٣٨

الفاكس: +٩٨٢٥٣٢٩٠١٥٢٣

العنوان: قم المقدسة، شارع جمهوري إسلامي، الزقاق ٢، رقم المبنى: ١٥

البريد: ٤٣٨١ / ٣٧١٨٥

الموقع: www.ofoghhawzah.ir

البريد الإلكتروني: Info@ofoghhawzah.ir



كلمة رئيس التحرير: الشيخ عبد الكريم الحائري... نجمٌ تلاً في ظلمات الزمن ٤

نبذة عن حياة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس ٦

البيانات والرسالات

نداء السيد القائد الإمام الخامنئي دام ظلته إلى المؤتمر ١٣

رسالة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي دام ظلته ٢٧

رسالة سماحة آية الله العظمى نوري الهمداني دام ظلته ٢٨

كلمة سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي دام ظلته ٣١

رسالة سماحة آية الله السيد ساجد علي النقوي دام ظلته ٣٣

المحاضرات

خطاب سماحة آية الله العظمى الجوادى الآملي دام ظلته في المؤتمر ٣٨

خطاب سماحة آية الله العظمى السبحاني دام ظلته في المؤتمر ٤٥

كلمة سماحة آية الله الحسيني البوشهري دام ظلته في المؤتمر ٤٢

كلمة سماحة آية الله شب زنده دار دام ظلته في المؤتمر ٤٤

كلمة سماحة آية الله السيد علي اكبر الحائري دام ظلته في المؤتمر ٤٦

مقتطف: مدينة قم، الحوزة العلمية وعلماء الدين في كلمات الإمام الخامنئي دام ظلته ٤٨

الذكريات

ذكريات الإمام الخميني قدس عن الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس ٥١

ذكريات آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني قدس عن الحاج الشيخ قدس ٥٤

ذكريات آية الله العظمى الأراكي قدس عن الحاج الشيخ قدس ٥٧

من سيرة الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس على لسان آية الله العظمى السيد موسى

الشبيري الزنجاني دام ظلته ٥٩

المقالات

حوزة إيران العلمية في القرن الماضي - محمد علي آذرشب ٦٣

الحوزة العلمية في قم: مئة عام من نشر المعارف الإسلامية الأصيلة - الشيخ علي أصغر مجتهدزاده ٨٥

- الشيخ عبد الكريم الحائري وتأثيره على تأريخ إيران المعاصر ٨٤
- الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله؛ عطاؤه الحوزوي ومنهجه التدريسي ٨٨
- آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته الله؛ مجدد الحوزة العلمية في قم ومعمار النهضة الدينية في العصر الحديث - علي رضا مكتب دار ٩١
- برقية آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم إلى رضا شاه ٩٦
- مقالة حول مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة؛ الفقيه الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري رحمته الله ٩٩
- الجهاد الثقافي للحوزة العلمية في قم في فترة زعامة آية الله الحائري ١٠٣
- قم المقدسة وبزوغ الحوزة العلمية - محمد علي جواد تقي ١٠٧
- مؤسس الحوزة، مؤسس النضال ضد إسرائيل ١١٠

الحوارات والمقابلات

- دور الإمام الخميني رحمته الله في تطوير الحوزات العلمية ١١٤
- مقابلة مع آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي رحمته الله
- الهجرات العشر المصيرية لآية الله العظمى الحائري اليزدي رحمته الله ١١٦
- حوار مع آية الله الشيخ علي رضا أعرافي
- تقرير عن عملية إعداد الموسوعة في ٢٢ مجلدًا للمحقق الحائري اليزدي رحمته الله ١٢٥
- حوار مع سماحة الشيخ رضا مختاري

كلمة رئيس التحرير

الشيخ عبد الكريم الحائري... نجمٌ تلاً في ظلمات الزمن

عالمًا، يعشق البساطة ويرفض البهرجة، يحب الناس ويحرص على مصالحهم، يمد يديه ليلتقط الساقطين، ويفتح قلبه ليحتضن التائهين، ويقف كالطود الشامخ في وجه الظالمين.

لقد استطاع هذا الرجل العظيم أن يحيي الحوزة العلمية في قم المقدسة، حوزةً أنجبت رجالاً غيروا وجه التاريخ، وأعادوا للأمة عزَّها وهبتها. ومن تحت عباءته، خرج علماء أفذاذ، ومراجع كبار، وقادة عظماء، كانوا هم الأمل، وهم النور، وهم المستقبل.

واليوم، حين نقرأ سيرة هذا الرجل العظيم، فإننا لا نستحضر مجرد حكاية من الماضي، بل نستعيد دروساً حية من العزيمة والإصرار، والثبات على المبادئ، والإيمان بأن الإرادة الإنسانية الصادقة، حين ترتبط بالله تعالى، تصنع المعجزات.

رحل الشيخ عبد الكريم عن دنيانا، لكن روحه لم ترحل، وأعماله لم تنته. فالعظماء لا يموتون، بل يخلدون في قلوب من يحبونهم، ويبقون خالدين في ذاكرة الزمن، كنجوم لا تأفل، وأنوار لا تتطفئ.

فطوبى للشيخ عبد الكريم، هذا النجم المتلألئ في ظلمات الزمن، الذي لن ينساه التاريخ، ولن تُمحى بصماته من ذاكرة الأجيال. كانت حياته بحق رحلة نورٍ خرجت من قلب الظلمات، فكان منارةً هاديةً، وشمساً ساطعةً، ستظل تشعُّ للأجيال القادمة دروساً في العلم والأخلاق والتقوى، ودرساً خالداً عن قدرة الإنسان على تغيير وجه التاريخ، حين يخلص في نيته، ويصدق في عزمته، ويؤمن بحقيقة رسالته.

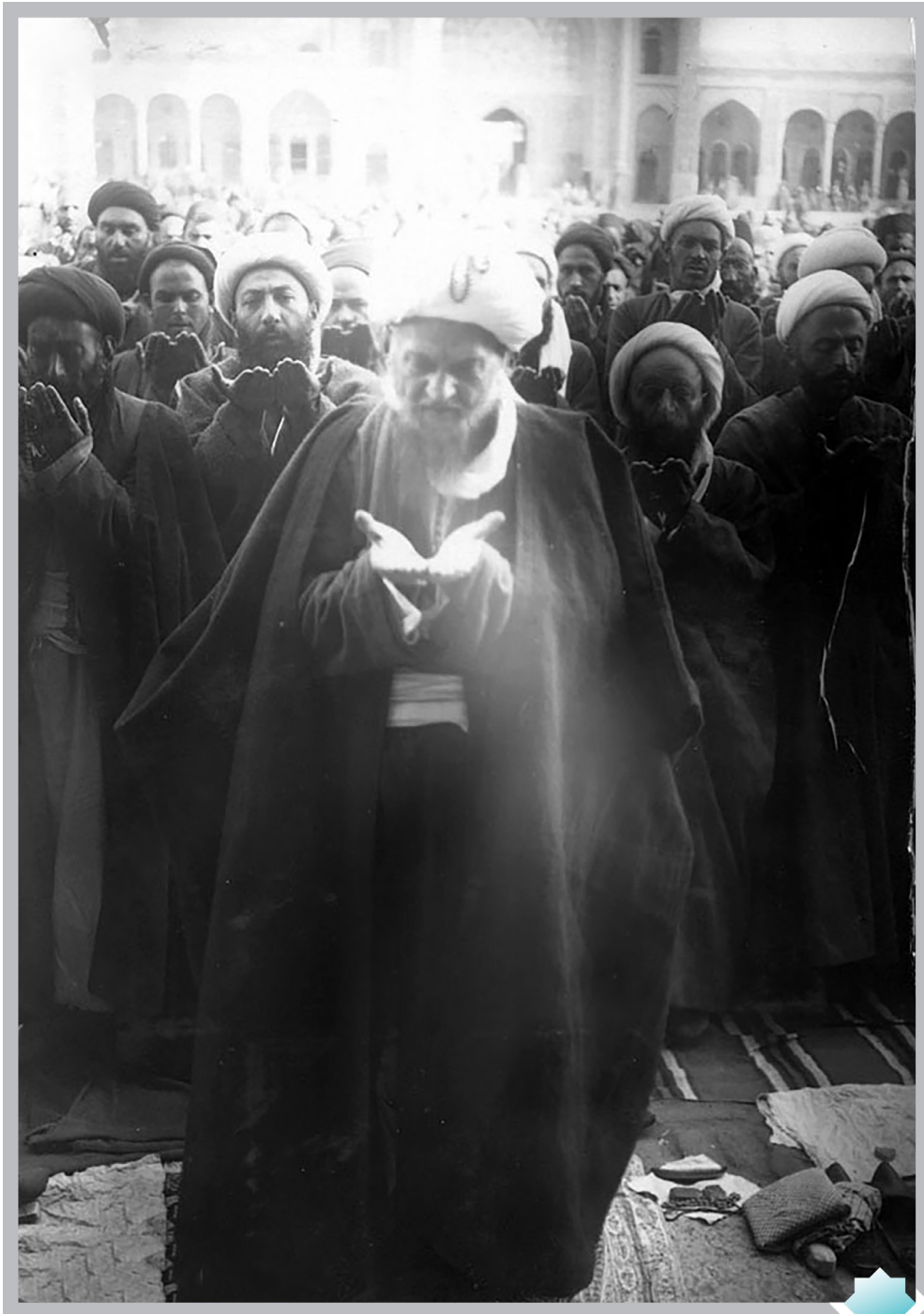
في زوايا التاريخ، ثمة رجالٌ يمرّون سريعاً كغيمة عابرة لا أثر لها، وآخرون يتركون بصماتهم على جبين الدهر، فيسجّل لهم الخلود اسماً، والمجد عنواناً، والذكرى عطراً لا يضيع. من هؤلاء الذين سطوروا بصمتهم في سفر الأيام، عالمٌ جليل اسمه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي.

لم يكن الشيخ عبد الكريم مجرد فقيه جالس في زوايا المكتبات، بل كان رجلاً يحمل همّ أمته في قلبه، وينبض ضميره بحب الناس والإنسانية، وقبل كل ذلك، كان يحمل بين جنبيه روحاً نقيّة متلهفة لمعرفة الله. خرج من قريةٍ وادعةٍ بسيطةٍ إلى آفاق واسعةٍ من العلم والحكمة، قاطعاً الدروب الطويلة حاملاً قبساً من النور، مضيئاً به ظلمات عصرٍ قاسٍ، ومواجهاً به عواصف من الظلم والجهل والاستبداد.

كان يرى العالم من حوله يموج بالفتن، وتحيط به المكائد، وتتكاثر فيه الشبهات، لكنه لم يفقد الأمل أبداً. كان قلبه منارةً مضيئةً، يتدفق منها نور الإيمان، وروحه الزكية تضيء طريق الباحثين عن الحقيقة. ورغم قساوة الأيام، وصعوبة الظروف، وتكالب الأعداء، مضى واثق الخطى، ثابت الجنان، يزرع بذور المعرفة في قلوب تلامذته، ويرويها بماء التقوى والإخلاص.

وفي زمنٍ كانت فيه القلوب واجفة، والحناجر صامتين، والأصوات خافتة، ارتفع صوت الشيخ عبد الكريم، لا بالصراخ ولا بالضجيج، بل بالعلم والحكمة، بالنقاء والتقوى، بالتواضع والبساطة، فكان قدوةً في زهده، مثلاً في تقواه، ونبراساً في وعيه وبصيرته السياسية والاجتماعية.

كان الشيخ عبد الكريم إنساناً قبل أن يكون



إقامة صلاة عيد الفطر - مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

نبذة عن

حياة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي

ولادته ونسبه

هو عبد الكريم بن محمد جعفر المهرجدي اليزدي، الحائري، القمي، ولد في أسرة بسيطة في مهرجرد (من توابع مدينة ميبدا الإيرانية) سنة ١٢٧٦ هـ وكان أبوه من الصلحاء ورجال القرية المعروفين.

دراسته

أ: في إيران

حينما لاحظ زوج خالته المير أبو جعفر نبوغ الشيخ الحائري وقابلياته العقلية الكثيرة اصطحبه معه ولما يزل طفلاً صغيراً إلى مدينة "أردكان" ليدخله الكتاتيب هناك، ولم تمر فترة طويلة حتى فقد الشيخ الحائري والده فعاش يتيمًا تحت رعاية أمّه في مهرجرد. ولما أتم تعلّم القراءة والكتابة وأتقن مبادئ العلوم انتقل إلى مدينة "يزد" ملقياً رحله في مدرسة محمد تقي خان المعروفة بـ"مدرسة خان"، وكان فيها عدد من العلماء والمدرّسين، فدرس العلوم العربية والفقه والأصول على يد علماء كالسيد حسين وامق والسيد يحيى الكبير المعروف بالمجتهد اليزدي وغيرهم.

ب: الهجرة الى العراق

في سنة ١٢٩٨ هـ قصد العتبات المقدسة برفقة أمّه ليواصل الدراسة هناك حاطاً رحاله في مدينة كربلاء المقدسة ما يقارب السنتين تحت إشراف الفاضل الأردكاني وحضر أبحاث المستوى المتوسط في الفقه والأصول هناك. ثم توجه صوب سامراء ليلتحق بمدرسة الميرزا محمد حسن الشيرازي والتتلمذ على أيدي كبار العلماء هناك ما بين سنة ١٣٠٠ هـ إلى سنة ١٣١٢ هـ حيث حضر في السنين الأولى منها - ما بين سنتين وثلاث سنين - دروس الفقه والأصول على أيدي مجموعة من الأستاذة كالشيخ فضل الله النوري والميرزا إبراهيم المحلاتي الشيرازي والميرزا

مهدي الشيرازي. ثم التحق بحلقات أبحاث الخارج في الفقه والأصول عند السيد محمد الفشاركي الأصفهاني والميرزا محمد تقي الشيرازي. كما حضر فترة وجيزة عند الميرزا محمد حسن الشيرازي. وقد منحه الميرزا حسين النوري إجازة في الرواية.

وبعد وفاة المجدد الشيرازي هاجر السيد الفشاركي إلى النجف الأشرف فصحبه الشيخ الحائري. فظلّ ملازماً لدروسه إلى أن توفي في سنة ١٣١٦ هـ وقد حرص الحائري في الشهور الأخيرة من حياة أستاذه الفشاركي على رعايته وتقديم الخدمة له. ثم لازم درس الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند الخراساني صاحب كفاية الأصول وكان من أجلاء تلاميذه وبارزي حوزة درسه.

ج: العودة إلى إيران

سافر الشيخ الحائري بعد وفاة السيد الفشاركي سنة ١٣١٦ هـ إلى إيران لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان وتلقّى دعوة من بعض وجوه مدينة "أراك" الإيرانية للإقامة عندهم فهبط "سلطان آباد" مركز عراق العجم، وكان هناك بعض أهل العلم فعني بتدريسهم وتنمية مواهبهم وكان أن ازداد عددهم وبلغ نحو ثلاثمائة طالب علم وأقبل الطلاب عليه وأصبحت المدينة مركز ثقافة وعلم على بساطتها.

مشايخه وأساتذته

تتلمذ الشيخ الحائري طيلة حياته العلمية على يد علماء كبار يشار إليهم بالبنان، منهم:

الميرزا حسين النوري قدس، الشيخ فضل الله نوري قدس، السيد محمد الفشاركي قدس، الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس، الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس، الآخوند الخراساني قدس، الميرزا مهدي الشيرازي قدس، الفاضل الأردكاني قدس، السيد كاظم اليزدي قدس.

بعض الأعلام القميين لزيارة السيدة المعصومة (عليها السلام) وحظي هناك باستقبال رائع من قبل العلماء والجماهير القمية طالبين منه الإقامة في المدينة، وبعد تردد وافق الشيخ على تلبية الدعوة واستجابة لإصرار العلماء وبالأخص الشيخ محمد تقى بافقي شريطة أن يستخير الله تعالى في ذلك. وكانت النتيجة أن ألقى الشيخ رحله في مدينة قم ليقوم بتأسيس حوزة علمية كبيرة ومن هنا عرف بمؤسس حوزة قم الحديثة.

وقد رافق الشيخ الحائري في انتقاله إلى قم بالإضافة إلى السيد محمد تقى الخونساري الكثير من تلامذته كالسيد أحمد الخونساري والسيد روح الله الخميني والسيد محمد رضا الكلبايكاني ومحمد علي الأراكي.

والجدير بالذكر هنا أن السيد أبو الحسن الإصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني قد نزلا بعد إبعادهما من العراق سنة ١٩٢٣م في مدينة قم وحلّا ضيوفين على الشيخ الحائري وكانا يومئذ أكبر علماء النجف وأشهر مراجعها، وقد رحّب بهما الحائري كل الترحيب، وأنزلهما منزل العزّة والكرامة. وقد تجاوز عدد طلاب حوزة قم العلمية من ألف طالب وذلك بعد التحول الذي أحدثه الشيخ الحائري فيها بعد أن تمكن من استقطاب الكثير من العلماء والمدّرسين المعروفين إليها.

المرجعية

إن الشيخ الحائري بالرغم من جلالة قدره ومكانته العلمية ومقامه الرفيع كان بعيدا عن الادعاء وترشيح النفس للمرجعية رغم حثّ البعض له على ذلك وطلبه منه، خاصة بعد تركه الحوزة العلمية في النجف الأشرف وحوزة كربلاء العلمية؛ إلا أن رحيل المراجع الكبار السيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الاصفهاني والميرزا

العودة إلى العتبات المقدسة

عاد الشيخ الحائري سنة ١٣٢٤ هـ إلى النجف الأشرف بسبب عدم الإستقلالية في إدارة الحوزة واضطراب الوضع بسبب حركة المشروطة، فالتحق بحلقات درس الآخوند الخراساني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي؛ إلا أنه توجه بعد فترة وجيزة صوب مدينة كربلاء تجنبًا للدخول في الصراع الحاصل بسبب الحركة الدستورية.

بقي الشيخ في كربلاء قرابة الثمان سنين ومن هنا لقّب بالحائري، مشغلا بالتدريس وكان رعاية للحياضية وعدم الدخول في الصراع المذكور، عمد رحمه الله إلى تدريس كتاب للشيخ الآخوند وكتاب للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي.

العودة مرة أخرى إلى إيران

يذكر المترجمون لحياة الشيخ أنه توجه بعد ثمان سنين قضاها في كربلاء إلى مدينة "أراك" مرة أخرى وذلك لكثرة الطلبات والكتب التي كانت تصله فحلّ فيها سنة ١٣٣٣ هـ. مواصلا تدريس مادتي الفقه والأصول والوعظ والإرشاد هناك لمدة ثمان سنين. وقد كتب رحمه الله في جواب الرسالة التي أرسلها إليه الميرزا محمد تقى الشيرازي بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي (١٣٣٧ هـ) يطلب منه العودة إلى النجف لينص عليه ويحمله أعباء المرجعية، قائلا: إني أرى تكليفي الشرعي البقاء في إيران ولا أرى من المناسب تركها، وإني قلق على مستقبل إيران والإيرانيين من الانزلاق في مسير التخلف والانحطاط الفكري.

الانتقال إلى مدينة قم

توجه الشيخ الحائري عام ١٣٣٧ هـ إلى زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) وفي طريقه إلى مشهد مرّ بمدينة قم وبقي فيها عدة أيام واطلع خلالها على وضع المدينة عامة والحوزة العلمية فيها بصورة خاصة. وفي شهر رجب من سنة ١٣٤٠ هـ عاد مليا دعوة

محمد تقي القمي ما بين ١٣٣٧ إلى ١٣٣٩ هـ وانتقال الشيخ إلى قم المقدسة جعل عدد مقلديه يزداد رويدًا رويدًا حتى ذاع صيته وقلّده أكثر الإيرانيين وكثير من العراقيين واللبنانيين.

منهجه في التدريس

اعتمد الشيخ الحائري منهج مدرسة سامراء في التدريس مستلهما ذلك من الميرزا الشيرازي؛ وذلك من خلال طرح المسألة واستعراض الآراء والنظريات المطروحة حولها مع ذكر دليل جميع الأقوال والآراء المطروحة؛ وبعد أن يفرغ الشيخ من توضيح المسألة والأقوال المطروحة فيها والأدلة التي ذكرت لها، يطلب من تلامذته تداول المسألة ومعالجتها من جميع الزوايا ومناقشة الآراء المطروحة ثم الخروج بمحصلة نهائية للآراء، بعدها يقوم الشيخ بعرض رأيه وما يراه مناسباً لحل الإشكالية المطروحة. ولم يكتف بذلك بل يفسح المجال لتلامذته بمناقشة ما طرحه من رأي وما استند إليه من دليل.

يضاف إلى ذلك أنه رحمته الله كان يُعَلِّم الطلبة بموضوع اليوم التالي ليؤقّر المجال أمامهم للاطلاع عليه قبل الحضور إلى حلقة الدرس؛ وكان من منهجه الاختصار في مباحث أصول الفقه وعرض القضايا ذات البعد العملي في الاجتهاد فقط؛ من هنا صُفِّ كتابه "درر الأصول" وكان يتم دورة أصولية كاملة في أربع سنين فقط.

تلامذته

تلمذ على يديه الكبار من علماء الحوزة العلمية حيث تمكّن رحمه الله من تربية جيل كبير من الأعلام والباحثين الكبار تسنّم البعض منهم مقام المرجعية، وهم:

علي أكبر الكاشاني، مصطفى الكشميري، أحمد المازندراني، السيد صدر الدين الصدر، الميرزا هاشم الآملي، الشيخ محمد علي الأراكي، السيد أحمد

الحسيني الزنجاني، السيد روح الله الموسوي الخميني، السيد أحمد الخونساري، السيد محمد تقي الخونساري، السيد محمد الداماد، السيد أبو الحسن الرفيعة القزويني، السيد محمد رضا الكلبايكاني، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي وغيرهم (رضوان الله عليهم).

برنامجه العام

ركّز الشيخ الحائري جُلَّ طاقته وإمكاناته على القيام بشؤون الحوزة العلمية الفتية وكان يعطي هذا المشروع أولوية خاصة في حركته. وكان لمعايشته لكل من حوزة سامراء والتجف وكر بلاء ومعرفته بطريقة إدارتها ونقاط الضعف والقوة هناك، بالإضافة إلى تجربته العملية في التصدي لإدارة الحوزة العلمية في مدينة سلطان آباد (أراك) الدور الكبير في تعزيز تجاربه ومساعدته في وضع خطة محكمة وبرنامجاً متكاملًا لنجاح حوزة قم العملية والارتقاء بها إلى مصاف الحوزات الكبرى، والارتقاء بالمستوى العلمي لطلبتها من خلال التخصص في أبواب الفقه مع تضمين الدراسات الحوزوية دراسات حديثة كتعلم اللغة الانجليزية والاهتمام بشأن التحقيق وتربية جيل من المجتهدين.

على الصعيد السياسي

تشير الشواهد والقرائن الكثيرة إلى أنّ الشيخ الحائري لم يكن ميّالاً للخوض في المعترك السياسي، حتى أنّ ابتعاده عن الساحة السياسيّة بلغ حداً أثار استغراب بل اعتراض البعض عليه هذا بالإضافة إلى نظرته للمصلحة العامة نابع من شخصيته غير الميالة بطبعها للدخول في هذا المعترك.

وكانت هذه طريقته حتى قبل الانتقال إلى مدينة قم؛ فلم نجد له ذكرًا - حينما كان في كربلاء - بين

وفاته

لَبَّى الشيخ الحائري نداء ربّه في السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ ق بعد أن أمضى خمس عشرة سنة في قم المقدسة، وقد شيع جثمانه- رغم العراقيل التي وضعتها السلطات الأمنية- تشييعاً مهيباً تصدر المشيعين كبار العلماء. وبعد أن صلى آية الله السيد صادق القمي على الجثمان الطاهر حُمل جسده إلى مثواه الأخير في حرم السيدة معصومة في مسجد "بالا سر".

خصوصياته

عرف الشيخ بكرم أخلاق وطبع مرح وشخصية معتدلة بعيدة عن التجملات الظاهرية، وكان شديد الاحتياط في صرف الأموال الشرعية يعيش حالة من الزهد والتقشف والبساطة في جميع شؤون حياته. وكان شديد الاهتمام بشؤون الآخرين وتخفيف معاناتهم وحل مشاكلهم ومن هنا قام بتشديد بعض المشاريع ذات النفع العام منها مستشفى سهامية في قم والحث على تشييد مستشفى الفاطمية في قم أيضاً.

كما كان كثير الاهتمام بالحالة المعاشية لطلبة العلوم الدينية ومعالجة المعضلات التي تعترضهم، وكان كثير البر بالطلاب والعلماء، شديد العطف عليهم والعناية بهم، يرعى الصغير والكبير، وبالرغم من تعيينه لموزعي الرواتب وتوكيله للثقات من تلامذته وأصحابه بالقيام باللوازم والاستفسار عن النواقص، كان يتولى بعض الأمور بشخصه ويباشرها بنفسه. وكان يدور على غرف طلاب العلم بمفرده للإطلاع على أحوالهم وأساليب معيشتهم، والوقوف على مدى عنايتهم بالدرس والمطالعة، وكان بحث الكسالي ويشوقهم، ويمدح الشيطيين ويمنح المتفوقين في الامتحان جوائز قيمة وكان يوصي الكل بالإخلاص في العمل والالتزام بتقوى الله تعالى.

قائمة الأعلام الذين تصدّوا لاحتلال الإنجليز للنجف وكربلاء وأبدوا اعتراضهم وتحصنوا في الكاظمية في شهر محرم الحرام سنة ١٣٣٠ هـ وبقوا هناك ثلاثة شهور كالميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ النائيني والسيد أبو الحسن الاصفهاني وآقاضيء العراقي. وعليه يمكن القول بأن الشيخ الحائري كأستاذ الفشاركي كان من العلماء الذين لم يكن لهم نشاط سياسي وكانوا يناون بأنفسهم من الخوض في غمار الحوادث السياسية والوقائع الساخنة.

إلا أنّ مكاتته الاجتماعية وتصديّه لمقام المرجعية اضطره للتدخل في الأمور السياسية، وقد ساءت علاقته برضا شاه- بعد أن كانت مستقرة إلى حد ما- على أثر القرار الصادر عن رضا شاه بـ "كشف الحجاب" سنة ١٣٥٤ هـ. ١٩٣٦ م وحتى وفاة الشيخ سنة ١٣٥٥ هـ المصادف لـ ١٩٣٧ م بعدما أبرق في الثالث من حزيران سنة ١٣٣٥ هـ لرضا شاه يبين له مخالفة تلك القوانين للشرع المقدسة طالبا منعها والتصدي لها. وعلى أثر تلك البرقية انقطعت العلاقات بينهما تماما وتعرّض بيت الشيخ على أثرها لرقابة شديدة من قبل السلطات.

نعم، ذهب البعض إلى القول بأن الشيخ الحائري كان يتحرك بخطوات مدروسة لتحقيق الهدف الأسمى الذي كان يروم إليه؛ وذلك لأنّه كان على معرفة بسيرة البهلوي وعزمه الأكيد وتصميمه على القضاء على الدين ومحو كل أثر لرجاله وشعائره ورسومه، وفي هذه الظروف عمد الحائري إلى توسيع دائرة الحوزة العلمية في قم ونشر الدعوة، ودعم هيكل الدين، وتشديد مجد الإسلام بإعمام أحكامه وتطبيق نظامه بطريقة ذكية واجهت ديكتاتورية الملك العاتية وبقي مقاوما جميع تحرّكاتهم والعقبات التي وضعت أمامه، حتى كلل سعيه بالنجاح في الحفاظ على الكيان الحوزوي وترسيخ جذور الدين والمذهب في نفوس الجماهير الإيرانية.

تألم وفات شينخوا واستادنا
مرجع الشيعة وحاضر الشيعة
حضرت آية الله الحائري
تغمده الله بغفرانه
شبهه برفقه هم وبقية
١٣٥٥
جاذبه بهشت جاذبه شر
جاذبه حرم اخه ارشد شر
الفاضل
المرحوم

. الحواشي والتعليقات على الكتب الفقهية، وهي:
حاشية على العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي،
وحاشية على أنيس التجار للملا مهدي النراقي.
. تقرير دروس أساتذته: تقارير درس أصول الفقه
للسيد الفشاركي.

. تقارير درسه: وقد
كُتِبَ بيد تلامذته كرسالة
الاجتهاد والتقليد وكتاب
البيع وكتاب التجارة كلها
بقلم الشيخ محمد علي
الأراكي؛ وتقارير درسه
أيضا بقلم السيد محمد
رضا الكلبيكاني والميرزا
محمود الآشتياني.

الرسائل العملية
والفتاوية، وهي: ذخيرة
المعاد، مجمع الأحكام،
مجمع المسائل، مُنتخب
الرسائل، وسيلة النجاة
ومناسك الحج.

أبرز آثاره العلمية

يُعدّ كتاب درر
الفوائد والمعروف بدرر
الأصول أيضًا من أبرز
مؤلفاته وقد ضمّنه آراء
كل من السيد الفشاركي

والآخوند الخراساني في أصول الفقه. وقد صرّح رحمه
الله بأنه اعتمد في تأليف الجزء الأول من الكتاب
على آراء السيد الفشاركي فيما اعتمد في جزئه الثاني
على آراء الآخوند الخراساني. ولبعض تلامذته تعليقة
على الكتاب المذكور منهم: الميرزا محمود الآشتياني
والميرزا محمد ثقفى والشيخ محمد علي الأراكي
والسيد محمد رضا الجلبايكاني، وقد طبع البعض من
تلك التعليقات.

وكان شديد الارتباط بأهل البيت (عليه السلام) حتى أنه
في فترة شبابه كان يرتقي المنبر ناعيا لهم وذاكرا
للمصائب التي حلت بهم. وكان له الدور الكبير في
تحويل مراسم الأيام الفاطمية (من الأول إلى الثالث

من جمادى الآخرة)
إلى مجالس العزاء
وذكر مصائب أهل
البيت وتقية المجالس
من الكلام غير المستند
إلى مصادر معتبرة.

أولاده

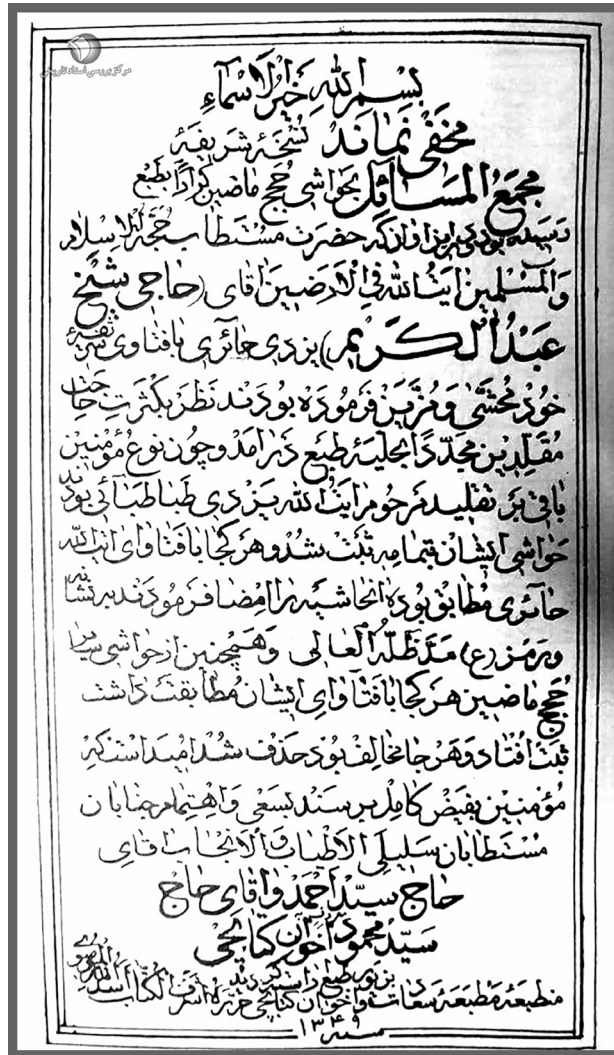
أعقب الشيخ الحائري
خمسة من الأولاد
مرتضى ومهدي وثلاث
بنات صاهره عليهن كل
من: محمد التويسركاني،
وأحمد الهمداني، والسيد
محمد محقق الداماد.

مؤلفاته

كان للمهام التي
تكفل بها الشيخ الحائري
والمسؤوليات الكبيرة
التي ألقيت على عاتقه
بسبب تصديده للمرجعية
والاهتمام بشؤون الحوزة

الدور السلبي في عدم تمكّنه من الإكثار من الكتابة
والتأليف بالنحو الذي يليق بمقامه العلمي الشامخ، إلا
أنه رغم ذلك تمكن من تصنيف مجموعة من الآثار القيمة
التي يمكن تصنيفها بالنحو التالي:

. الكتب التي ألفها: وهي عبارة عن: دُررُ الفوائد،
كتاب النكاح، كتاب الرضاع، كتاب الموارث وكتاب
الصلاة.



بیانات
و
رسالات

نداء الإمام الخامنئي إلى المؤتمر الدولي بمناسبة مئوية إعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام
على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين، [ولا]
سيما بقيّة الله في العالمين.

الحوزة العلمية في قم: ظاهرة فريدة وسط أحداث مهولة

كان بزوغ حوزة قم المباركة في مطلع القرن
الرابع عشر الهجري الشمسي ظاهرة فريدة من
نوعها، تجلّت في خضم أحداث كبرى ومهولة،
أحداث عصفت بمنطقة غرب آسيا وجعلت
حياتها مظلمة، وعرضت حياة شعوبها للاضطراب
والضياع.

الدول الاستعمارية كانت منشأ الأحداث المرّة في المنطقة منذ القرن الماضي

كان منشأ هذه الممرارة المُرّنة والمستشرية

وجّه قائد الثورة الإسلامية، الإمام الخامنئي،
نداء إلى المؤتمر الدولي الذي عُقد بمناسبة مرور
مئة عام على إعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم،
تناول فيها مقومات الحوزة ووظائفها المتعددة، ويّين
متطلبات تحقيق "حوزة رائدة وطلّيعية" تتميّز بالابتكار
والازدهار، وتواكب العصر، وتجيّب عن القضايا
المستجدة، وتتسم بالتهذيب، وروح التقدم والجهاد،
والهوية الثورية، والاستعداد لصياغة أنظمة لإدارة
المجتمع. وأضاف سماحته أنّ من أبرز وظائف الحوزة
وأهمّها هي "البلاغ المبين"، ومن أوضح مصاديقه:
رسم الخطوط الرئيسية والفرعية للحضارة الإسلامية
الجديدة، وبيانها، وترويجها، وتثقيف المجتمع بها.

وجاء النص الكامل لنداء قائد الثورة الإسلامية

كما يلي:

حوزة قم: غرس مبارك في تعرجات الزمن الصعب

في خضم هذه الأحداث المريعة وفي عتمة الظلام الحالك، بزغ نجم قم؛ فقد شاءت يد القدرة الإلهية أن تبعث فقيهاً عظيماً ورعاً خبيراً، لكي يهاجر إلى قم ويعيد الروح إلى حوزتها العلمية المندثرة والمهجورة، ويغرس نبتة طرية ومباركة في ذلك الزمن الصعب، بجوار المرقد الطاهر لكرامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث تلك الأرض الخصبة.

تأسيس حوزة قم على يد آية الله الحائري إنجاز يستند على خبرات الماضي

لم تكن قم مع وصول آية الله الحائري خالية من كبار العلماء، فقد كان يقطنها أعلام مثل آية الله ميرزا محمد أرباب والشيخ أبو القاسم الكبير وغيرهما، لكن الإنجاز العظيم في تأسيس الحوزة العلمية، أي معقل العلم والعلماء والدين والمتدربين بكل ما له من دقائق وتدابير، لم يكن ليصدر إلا عن شخصية مسددة مثل آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري (أعلى الله مقامه في الجنان).

إن تجربته لمدة ثماني سنوات في تأسيس الحوزة العلمية المزدهرة في أراك وإدارتها، ومرافقته لزعيم الشيعة الكبير، الميرزا الشيرازي في سامراء قبل ذلك لعدة سنوات، وإطلاعه على أدائه في تأسيس الحوزة العلمية وإدارتها في تلك المدينة، كان كل ذلك يرشده في هذا المسعى؛ كما أن درايته وشجاعته واندفاعه وأمله، كلها كانت تحضه على سلوك هذا الطريق الصعب.

انطلاقة الحوزة وتناميها بفضل ثبات آية الله الحائري وتوكله

في السنوات الأولى، وبفضل صموده النابع عن الإخلاص والتوكل، نجت الحوزة من سيف

وسببها تدخلات الدول الاستعمارية والمنتصرين في الحرب العالمية الأولى، الذين استخدموا جميع الوسائل بهدف الاستيلاء والسيطرة على هذه الجغرافيا الحساسة والغنية بالموارد الجوفية، فاستطاعوا تحقيق أهدافهم من خلال القوة العسكرية، والمخططات السياسية، والرشاوي، وتوظيف الخونة في الداخل، والأدوات الدعائية والثقافية، ومن خلال أي وسيلة أخرى متاحة.

في العراق، أتوا بحكومة بريطانية ومن ثم دولة ملكية عميلة؛ وفي منطقة الشامات، بسطت بريطانيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى التدخلات الاستعمارية من خلال إرساء نظام طائفي في جزء منها، وحكومة عائلية عميلة لبريطانيا في جزء آخر، كما فرضتا القمع والضغط على الناس، وخاصة المسلمين وعلماء الدين، في جميع أرجاء المنطقة.

وفي إيران، أوصلوا رجالاً عسكرياً شقيّاً وجشعاً وعديم الشخصية تدريجياً إلى الصدارة ثم إلى الملكية. وفي فلسطين، بدأوا بالهجرة التدريجية للعناصر الصهيونية وتسليحهم، ومهدوا الطريق من خلال حركة بطيئة لتأسيس غدة سرطانية في قلب العالم الإسلامي. وحيثما وجدت مقاومة لخططهم المتدرجة - سواء في العراق أو الشام أو فلسطين أو إيران - قمعوها، وفي بعض المدن، مثل النجف، بلغ الأمر حدّاً اعتقال جماعي للعلماء، بل وحتى النفي المهين لمراجع عظام مثل الميرزا النائيني والسيد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ مهدي الخالقي، كما شنوا حملات تفتيش من بيت إلى بيت لاعتقال المجاهدين. غدت الشعوب مذعورة ومذهولة، والآفاق مظلمة ومحبطة.

وفي إيران، سُفِكَت دماء المجاهدين في جيلان وتبريز ومشهد، في حين تولى المسؤولون عن الاتفاقيات الخيانية زمام الأمور.

رحمة الله ورضوانه الدائم على مؤسس هذه الحوزة المباركة والعظيمة، وهذه الشجرة الطيبة المثمرة، ذلك الإنسان السامي والحكيم والمبارك، وعالم الدين والمتزين بسكينة اليقين، سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري.

مسار حوزوي ريادي وطليعي

ثمة موضوعات لا بد من التطرّق إليها يتوقّع أنها ستكون مفيدة للحوزة العلمية في حاضرها ومستقبلها، على أمل أن تساعد الحوزة الناجحة اليوم، للوصول إلى حوزة "رائدة وطليعية".

مكونات الحوزة العلمية ووظائفها

أول ما يطرح هو عنوان "الحوزة العلمية" ومضمونه العميق. إنّ اللغة المتداولة في هذا الشأن قاصرة وغير وافية؛ فالحوزة، خلافاً لما توحى هذه اللغة، ليست مجرد مؤسسة للتدريس والدراسة، بل هي مجموعة تضمّ العلم والتربية والوظائف الاجتماعية والسياسية. ويمكن بالإجمال فهرسة الأبعاد المتنوعة لهذا العنوان المعبر على النحو الآتي:

- مركز علمي ذو اختصاصات محدّدة؛
- مركز لتربية طاقات مُهذّبة وفاعلة من أجل هداية المجتمع على المستويين الديني والأخلاقي؛
- الخطّ الأمامي لجبهة التصديّ لتهديدات الأعداء في مختلف المجالات؛
- مركز لإنتاج الفكر الإسلامي وتبيينه في مجال الأنظمة الاجتماعية؛ بدءاً من النظام السياسي شكلاً ومضموناً، وصولاً إلى الأنظمة المتعلقة بإدارة الدولة، وإلى نظام الأسرة والعلاقات الشخصية، وذلك بناءً على الفقه والفلسفة والمنظومة القيمية للإسلام.
- مركز، بل ربّما قمة، للإبداعات الحضارية والاستشرافات المستقبلية اللازمة في إطار الرسالة العالمية للإسلام.

رضا خان المسلول الذي لم يرحم صغيراً ولا كبيراً في سعيه لمحو معالم الدين وأسسهِ. هلك الطاغية الخبيث، وبقيت الحوزة التي رزحت لسنوات تحت الضغوط القصوى وتنامت، وأشرقت منها شمس "روح الله".

إنّ الحوزة العلمية التي كان طلابها ذات يوم، يلجأون منذ الفجر، خوفاً على حياتهم، إلى أطراف خارج المدينة للدراسة والمباحثة، ويعودون ليلاً إلى حجراتهم المظلمة في المدارس؛ تحولت في غضون أربعة عقود بعد ذلك إلى مركز يث إلى جميع أنحاء إيران شعلة النضال ضد سلالة رضا خان الخبيثة، وينور القلوب الكئيبة واليائسة، ويجذب الشبان المنزولين إلى وسط الميدان.

بقاء الحوزة وبركاتها

والحوزة هذه تحوّلت بعد فترة وجيزة من رحيل مؤسسها، وبقدوم المرجع العظيم، آية الله السيّد البروجردي، إلى قمة علمية وبحثية وتبليغية للتشيع في أنحاء العالم. وفي نهاية المطاف، بلغت هذه الحوزة قوتها المعنوية وشعبيتها، ما مكّنها، وبأيدي الشعب، من اقتلاع النظام الملكي الخائن والفساد والفساق في أقل من ستة عقود، وبوّأت الإسلام موقع الحاكمية السياسية في دولة كبيرة ذات ثقافة عريقة لها شتى الطاقات.

والمتمخرج من هذه الحوزة المباركة هو الذي جعل إيران نموذجاً للدعوة إلى الإسلام في العالم الإسلامي، بل رائدة التدين في جميع أنحاء العالم؛ إذ بخطابه الرّسالي انتصر الدم على السيف؛ وبتدبيره ولدت الجمهورية الإسلامية؛ وبشجاعته وتوكله، تصدى الشعب الإيراني للتهديدات وتغلّب على كثير منها. اليوم، وبفضل دروسه وإرثه، تشق البلاد طريقها وسط العقبات وتمضي قدماً في كثير من جوانب الحياة.

هذه هي العناوين الرئيسة التي تفسّر معنى مفردة "الحوزة العلمية" وتحدّد العناصر المكوّنة لها، أو "التوقعات" منها بعبارة أخرى؛ وهي ذاتها التي يمكن للجهود الرامية إلى تعزيزها وتطويرها أن ترتقي بالحوزة إلى حوزة "رائدة وطيّعية" بالمعنى الحقيقي للكلمة، وتعالج التحديات والتهديدات المحتملة في المستقبل.

الحوزة والإرث العظيم لعلماء الدين في شتّى العلوم

توجد حقائق وآراء أيضًا بشأن كلّ واحد من العناوين المذكورة، يمكن بيانها بشكل إجمالي على النحو الآتي:

أولاً. المركز العلمي:

لقد ورثت حوزة قم المخزون العلمي العظيم للشيعّة. هذا الرصيد الفريد هو نتاج العمل الفكري والبحثي لآلاف من علماء الدين في مختلف علوم الفقه والكلام والفلسفة والتفسير والحديث على مدى ألف عام.

فإلى ما قبل اكتشافات العلوم الطبيعية في القرون الأخيرة، كانت الحوزات العلمية الشيعية ساحة للخوض في العلوم الأخرى؛ ولكن المحور الرئيسي للبحث والتحقيق في الحوزات كان في جميع العصور هو "علم الفقه"، يليه بفارق "الكلام والفلسفة والحديث".

إن التطوّر التدريجي لعلم الفقه في هذه الفترة الطويلة، منذ زمن الشيخ الطوسي وحتى عصر المحقق الحلي، ومنه إلى الشهيد الأول، ثمّ المحقق الأردبيلي، وبعده إلى الشيخ الأنصاري وحتى العصر الحالي، أمّر ملموس لدى أهل الاختصاص؛ فالمعيار في تقديم الفقه هو ثراء مخزونه، أي النتاجات العلمية الفاخرة، والارتقاء بمستوى العلم والمكتشفات الجديدة؛ ولكن اليوم، وبالنظر إلى المستجدات

الفكرية والعملية السريعة والكثيفة في المراحل المعاصرة، وخاصة في القرن الأخير، لا بُدّ من صبّ الاهتمام على توقّعات تتعدّى هذا الحدّ في مجال التقدّم العلمي للحوزة.

الفقه؛ معناه ووظائفه

تجدر ملاحظة النقاط الآتية في ما يتعلق بعلم الفقه:

أولاً: الفقه هو مجموعة إجابات يضعها الدين للاحتياجات العملية للفرد والمجتمع. ومع التطوّرات العقلانيّة لدى الأجيال، يجب أن تكون هذه الإجابات اليوم ذات سند فكري وعلمي راسخ أكثر من أي زمن مضى، وقابلة للفهم والاستيعاب في الوقت نفسه.

ثانيًا: إن الظواهر المعقدة والمتعددة في حياة الناس اليوم تطرح أسئلة غير مسبوقة، على الفقه المعاصر أن تكون له إجابات جاهزة لها.

ثالثًا: إن السؤال الأساسي اليوم، ومع تأسيس النظام السياسي للإسلام، هو كيفية الرؤية الشاملة لدى "الشارع" إلى الأبعاد الفردية والاجتماعية لحياة البشر وأسسها المبدئية؛ بدءًا من النظرة إلى الإنسان ومكانته الإنسانية وأهداف حياته، وصولًا إلى النظرة إلى الشكل الأمثل للمجتمع البشري، والنظرة إلى السياسة والسلطة والعلاقات الاجتماعية والأسرة والجنس والعدالة وسائر أبعاد الحياة. ويجب أن تُظهر فتوى الفقيه في أيّ مسألة جانبًا من هذه الرؤية الشاملة.

متطلبات إجابة الفقه على احتياجات الإنسان المتنوعة

إن الشرط المهم للوصول إلى هذه الخصائص هو أولاً إحاطة الفقيه بجميع أبعاد الدين ومعارفه في

قبيل علاقات الحكومة بشعبها وبالدول والشعوب الأخرى، وموضوع "نفي السبيل"، والنظام الاقتصادي وأساسه المبدئية، والأسس المبدئية للنظام الإسلامي، ومصدر الحاكمية من وجهة نظر الإسلام، ودور الناس فيها والموقف تجاه القضايا المهمة وإزاء نظام الهيمنة، ومفهوم العدالة ومضمونها، والعشرات من الموضوعات الأساسية الأخرى والمصيرية في بعض الأحيان. (بعضها يتضمّن بُعداً كلامياً أيضاً، وينبغي مناقشته في موضعه المناسب).

لا يلاحظ اهتمام كافٍ بهذه الأولويات في أسلوب العمل الحالي للحوزة في المجال الفقهي، إذ نرى أحياناً أن بعض المهارات العلمية التي تتطوي بنحو عام على جانب آلي ومقدماتي للوصول إلى حكم الشرع، أو بعض الموضوعات الفقهية أو الأصولية الخارجة عن الأولويات، تُغرق الفقيه والمحقق بحلاوتها المغرية فتصرف ذهنه تماماً عن تلك المسائل الرئيسة ذات الأولوية، على حساب فرص لا تعوّض وثروات بشرية ومالية من دون أن تقدم أي مساعدة في تبين نمط العيش الإسلامي وهداية المجتمع، وذلك في خضم هجوم الكفر.

إذا كان الهدف من العمل العلمي إظهار الفضل والسُّمعة العلميّة والتسابق على استعراض الفضل، فإنّ هذا سيكون مصداقاً للفعل المادّي والدينيّ ولـ ﴿اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاً﴾ (الفرقان، ٤٣).

اهتمام الحوزة باحتياجاتها من أجل التبليغ

ثانياً: تربية طاقات مهذبة وفاعلة

الحوزة مؤسسة منفتحة على خارجها؛ فمخرجات الحوزة على جميع المستويات هي في خدمة فكر المجتمع والبشر وثقافتهما. الحوزة مكلفة بـ "البلاغ المبين"، ونطاق هذا البلاغ

المجالات كلّها، وثانياً إمامه المناسب بمكتشفات الإنسان المعاصرة في مجال العلوم الإنسانية والمعرفة المرتبطة بحياة الإنسان.

يجب التسليم بأن الرصيد المتراكم من العلم في الحوزة ذو قابلية تمكّن الطالب من بلوغ هذا المستوى من الكفاءات العلمية، شريطة أن تُرى بعض النقاط في أسلوب العمل الحالي بعين بصيرة وأن تُعالج بيد مقتدرة.

إحدى هذه النقاط هي طول فترة الدراسة؛ فمرحلة قراءة النصوص للطالب تمر بطريقة تثير التساؤل، إذ يضطر الطالب إلى تعلم كتاب ضخم وتحقيقي لعالم كبير بوصفه كتاباً دراسياً! هذا الكتاب، هو في الحقيقة، يناسب دخوله مرحلة البحث الاجتهادي، واعتماده قبل هذه المرحلة ليس له من أثر سوى إطالة أمد قراءة النصوص. يجب أن يحتوي الكتاب الدراسي على مادة ولغة مناسبتين للطالب ضمن مرحلة محدودة قبل دخوله مرحلة البحوث. وقد كانت المساعي الناجحة أو غير الناجحة لأعلام كالأخوند الخراساني والشيخ عبد الكريم الحائري والسيد صدر الدين الصدر، لاستبدال كتبٍ مثل "القوانين" و"الرسائل" و"الفصول" بكتب "الكفاية" و"درر الفوائد" و"خلاصة الفصول"، ناجمة عن إدراك هذه الضرورة المهمة، على الرغم من أنهم عاشوا في زمن لم يكن فيه الطالب يواجه هذا الكم الهائل من المدخلات الذهنية والتكاليف العملية كما هو الحال اليوم.

النقطة الأخرى هي قضية الأولويات الفقهية؛ فالיום، مع تأسيس النظام الإسلامي وطرح نظام الحكم على الطريقة الإسلامية، برزت أمام الحوزة موضوعات مهمة ذات أولوية لم تكن مطروحة في الماضي، ولكنها باتت من أولويات البلاد في حاضرها وغدها، وتتطلب إجاباتٍ فقهية، قضايا من



والتلفزيونية وما إلى ذلك، لا تستطيع أن تؤدي مهمة البلاغ المبين كما هو مطلوب وكما ينبغي في مواجهة سيل الخطابات التضليلية.

العناصر الضرورية للتبليغ:

(١) التعليم

يفتقد هذا الجانب في الحوزة عنصرين أساسيين: "التعليم" و "التهذيب".

إن إيصال رسالة عصرية تملأ الفراغ وتحقيق هدف الدين يستلزم التعليم والتعلم لا محالة. يجب أن يتصدى جهازاً لهذه المهمة ليعلم الطالب قوة الإقناع والإلمام بأسلوب الحوار ومعرفة كيفية التعاطي مع الرأي العام والفضاء الإعلامي والافتراضي والانضباط في مواجهة المخالف، ويعده عبر التمرين والممارسة لدخول هذا الميدان في فترة محدودة. من جهة، ينبغي جمع أحدث المغالطات والآفات الفكرية والأخلاقية وأكثرها شيوعاً، وتوفير أفضل رد عليها وأبلغه وأقواه في إطار لغة متناسبة مع العصر، وباستخدام الأدوات

واسع جداً، يمتد من المعارف التوحيدية السامية إلى الواجبات الشرعية الفردية، ومن تبين النظام الإسلامي وهيكلته ومسؤولياته إلى نمط العيش والبيئة والحفاظ على الطبيعة والحيوان، وكثير من المجالات والجوانب الأخرى للحياة البشرية.

وقد اضطلعت الحوزات العلمية منذ القدم بهذه المسؤولية الثقيلة، وانخرط العديد من المتخرجين منها على مختلف مستوياتهم العلمية في أساليب متنوعة لتبليغ الدين وأمضوا عمراً فيه. وبعد الثورة، ظهرت في الحوزة مؤسسات لتنظيم محتوى هذه الحركات التبليغية وتقويمه في بعض الأحيان. ينبغي ألا تتجاهل الخدمات القيمة التي قدمتها هذه المؤسسات وغيرها من المحترفين في مجال تبليغ الدين.

المهم هو التعرف على أجواء المجتمع الفكرية والثقافية، والمواءمة بين المكتسبات التبليغية والحقائق الفكرية والثقافية لدى الناس، وخاصة الشباب. تعاني الحوزة مشكلة في هذا الجانب، فهذه المئات من المقالات والمجلات والخطابات المنبرية

الإخلاص وتحمل الصعاب؛ عامل رسوخ العزم والإرادة

أنتم أيها الطلاب والفضلاء الشباب قادرون حتمًا، بعون قلوبكم الطاهرة والنقية وألسنتكم الصادقة، على إنجاز مهمة التهذيب الأخلاقي لجيل الشباب اليوم، شريطة أن تبدأوا بأنفسكم أولاً؛ فالإخلاص في العمل، وقطع الطريق على وساوس المال والجاه والمنصب، هو المفتاح لدخول الأجواء العذبة للروحانية والحقيقة. وهكذا يغدو العمل الشاق للجهاد الثقافي مهمة عذبة وحركة مؤثرة. إن الصعاب التي يواجهها طالب العلم في مثل هذه الحال ستتحول إلى وسيلة لإرادة صلبة وعزم راسخ بدلاً من أن تكون عائقاً أمام السلوك الجهادي للتبليغ.

أؤكد ألا يُنظر أبداً إلى ساحة تبليغ الدين بأنها ميدان خالٍ من المنافسة، ولا يجوز الغفلة ولو لحظة عن مواجهة الشبهات والمغالطات التي تُضخّ إلى الساحة باستمرار.

في هذا الشقّ، وإلى جانب تربية الطاقات من أجل البلاغ المبين، لا بدّ من الاهتمام أيضاً بتربية طاقات تتولّى مهمات خاصّة في نظام الحكم وإدارة البلاد، وكذلك تربية طاقات من أجل تنظيم شؤون الحوزة العلمية الداخلية والنهوض بمسؤولياتها، وهو ما يستلزم نقاشاً منفصلاً.

الحوزة وقيادة الحركات الإصلاحية في القرون الأخيرة

ثالثاً. الخطّ الأمامي لجهة التصدي لتهديدات العدو في مختلف المجالات

هذه واحدة من أكثر الجوانب المجهولة للحوزات العلمية ووظيفة جموع علماء الدين. لا شكّ في أنّه لا يمكن العثور على أيّ حركة إصلاحية أو ثورية في إيران أو العراق في المئة والخمسين سنة الماضية،

التقنيّة الحديثة. ومن جهة أخرى، يجب تدوين أهم المعارف الدينية التي تتناسب والوضع الثقافي والفكري المعاصر في هيئة حُزم مناسبة لفكر جيل الشباب والناشئة والأسرة ولثقافتهم. تُعد هذه التركيبة من الشكل والمضمون أهم موضوعات التعليم في هذا الجانب.

إعداد المجاهدين الثقافيّين

يعدّ الموقف الإيجابي، بل وحتى الهجومي، أهم من الموقف الدفاعي في العمل التبليغي، وإنّ ما قيل بشأن دفع الشبهات والمغالطات ومعالجتها، ينبغي أن لا يجرّ الجهاز التبليغي إلى الغفلة عن مهاجمة مسلمات الثقافة المنحرفة السائدة في العالم، وربما في بلدنا. إنّ ثقافة الغرب المفروضة والتلقينية تتّجه بسرعة متزايدة نحو الانحراف والانحطاط؛ فالحوزة الضليعة بالفلسفة والكلام لا تكتفي بالدفاع في وجه إثارة الشبهات بل تخلق تحديات فكرية تجاه هذا الانحراف والضلال، وتجبر المدعين المضللين على الرد.

يندرج إعداد هذا الجهاز التعليمي ضمن أولويات الحوزة؛ وهذه هي تربية "المجاهد الثقافي". فبالنظر إلى حراك أعداء الدين الذين يسعون جاهدين لتجنيّد القوى، وخاصّة في بعض المجالات المهمة، ينبغي التعامل مع [إعداد هذا الجهاز] بجديّة قصوى وبوتيرة سريعة.

(٢) التهذيب

يعدّ التهذيب ضرورة أخرى إلى جانب التعليم، والتهذيب لا يعني تربية المنعزلين؛ فجزء كبير من نطاق نشاط المجاهد الثقافي هو الدعوة إلى تهذيب النفس والأخلاق الإسلامية، وهذا العمل يكون عديم الأثر والبركة إذا لم يكن الداعي نفسه متحلياً بما يدعو إليه. إن الحوزة بحاجة إلى تحرّك أكبر من الماضي في تأكيد التوصيات الأخلاقية.

لم يقدمها علماء الدين، أو لم يحضروا في خطوطها
الأممية. وفي ذلك دلالة مهمة على طبيعة الحوزات
العلمية.

طوال هذه الفترة، وفي جميع محاولات الاستعمار
والاستبداد للهيمنة، كان علماء الدين وحدهم هم
من بادروا إلى خوض الميدان، وتمكنوا في حالات
كثيرة من إفشال العدو ببركة دعم الناس. لم يكن
أحد غيرهم ليجرؤ على التفوّه بكلمة أو يفهم المسألة
على وجهها الصحيح؛ ولعلّ الآخرين كانوا يرفعون
أصواتهم بعد إطلاق العلماء صرختهم.

ويقتر "كسروي"، وهو الذي يُعدّ من أشدّ المعاندين
لعلماء الدين، أنّ بداية الثورة الدستورية كانت بفضل
الموازرة الحكيمة للسّيدين البهبهاني والطباطبائي.
نعم، في تلك الأيام التي ارتفعت فيها راية وحش
الاستبداد في إيران، لم يكن أحدٌ غير المراجع
والعلماء ليجرؤ على التّطرق ولو بكلمة واحدة.

لقد أبطلت الاتفاقيات المشينة التي أبرمت
طوال هذه المدة بفضل معارضة العلماء وممانعتهم؛
فأحبطت اتفاقية "رويتر" بعد تصدّي العالم الجليل في
طهران الحاج ملا علي كني، وأسقطت معاهدة التّبناك
بفتوى المرجع الأعلى الميرزا الشيرازي وموازرة كبار
علماء إيران، وفُضحت اتفاقية "وثوق الدولة" بجهود
[آية الله] مدرّس، كما جرى التصدي للمنسوجات
الأجنبية بمبادرة من آغانجفي الإصفهاني، وموازرة
علماء أصفهان، ومساندة علماء النجف... وحالات
أخرى.

في تلك السنوات المتزامنة مع تأسيس الحوزة
العلمية في قم، كانت أجزاء من العراق وحدود إيران،
بمحورية النجف والكوفة، مسرحاً لمعارك مسلّحة
قادها العلماء ضدّ قوات الاحتلال البريطاني؛ لم
يقتصر الأمر على الطّلاب والمدرّسين، بل إنّ بعض
العلماء المعروفين مثل السيّد مصطفى الكاشاني
وبعض أبناء المراجع، شاركوا في هذه المواجهات،

فاستشهد بعضهم ونُفي كثير منهم إلى مناطق نائية
في المستعمرات البريطانية.

إنّ نشاط المراجع العظام في قضية فلسطين
أيضاً - سواء في أوائل القرن (١٤٠٥ هـ.ش) [١] عندما
كانت تُنفذ سياسة هجرة الصهاينة إلى فلسطين
وتسليحهم، أو في العقد الثالث [٢] منه، عندما
سُلم جزء كبير من فلسطين رسمياً إلى الصهاينة،
وأعلن تأسيس الكيان الصهيوني الزائف - يُعدّ من
الفصول المشرفة للحوزات العلمية. لقد كانت
رسائلهم وبياناتهم في هذا الشأن من أكثر الوثائق
التاريخية قيمةً.

إنّ الدور منقطع النظير لحوزة قم، ومن ثمّ سائر
الحوزات العلمية في إيران، في إحداث النهضة
الإسلامية وإطلاق الثورة وتوجيه الرأي العام
وجذب عامّة الناس إلى الميدان، يُعدّ أيضاً من أبرز
الدلالات على الهوية الجهادية للحوزات العلمية.
وإنّ خريجي الحوزة الذين يملكون عقولاً نشطة
والسنةً بليغة، كانوا من أوائل الذين لبّوا النداء
المُزلزل للأعداء، والذي أطلقه الإمام [الخميني]
المجاهد، وخاضوا الميدان بسرعة وجدّية مع
تحمل الصدمات، وشرعوا في نشر المفاهيم الثورية
وتوعية الرأي العام.

**هواجس الإمام [الخميني] تَدُنُّ وآماله في
ندائه إلى علماء الحوزات المسمى بميثاق
الحوزويين**

انطلاقاً من إدراك هذه الحقائق، وفي ندائه الموجّه
للحوزات العلمية، [٣] المُفعم بالمضامين والمدوّي،
وصف الإمام الراحل تَدُنُّ الحوزويين برواد الشهادة
في جميع الثورات الشعبية والإسلامية؛ وبالمقابل،
عدّ طريق الشهداء وعملهم مصداقاً لبلوغ حقيقة
التفقه. وفي عبارة أخرى، قدّم العلماء بوصفهم
طلائع ميدان الجهاد والدفاع عن الوطن ونصرة

بوساوس فصل الدين عن السياسة والأنشطة الاجتماعية، وأن يقطع الطريق الصحيح أمام التقدم. هذا الهاجس نابغ من الترويج لتيار خطر يصور تدخل الحوزة في القضايا الرئيسة للناس وانخراطها في الأنشطة الاجتماعية والسياسية ومكافحتها الظلم والفساد أمراً يتنافى مع قدسية الدين وساحته المعنوية، ويوصي الحوزويين بالحياد المطلق والابتعاد عن أخطار الخوض في السياسة.

إنّ الترويج لهذا الوهم الباطل يمثل أعظم هدية تُقدّم لقوى الاستعمار والاستكبار، التي لطالما تضررت من حضور علماء الدين وخوضهم معركة الكفاح ضدها، وتكبدت الهزائم في حالات متعددة، ويُعدّ هدية كبرى إلى أتباع النظام الفاسد والفساق والعميل الذي اجتث على يد الشعب الإيراني بقيادة مرجع تقليد.

إنّ قداسة الدين أكثر ما تتجلى في مبادئ الجهاد الفكري والسياسي والعسكري، وترسخ

المظلومين. وفي ما يخص مستقبل الحوزة، علق أكثر آماله على الطلاب والفضلاء الذين حثّتهم هواجس النهضة والكفاح والثورة على التحرك، وعبر عن عتبه على الذين يكتفون بكتبهم ودراساتهم، من دون الاهتمام بهذه القضايا المصيرية. جرت الإشارة مراراً في هذا النداء إلى المتحجرين، وجرى أيضاً التحذير من تغلغل العدو عبر استغلاله لغفلتهم، مُنبّهاً إلى خطر الأساليب المتطورة للتكسب بالدين. وحسب الرأي الصائب للإمام الجليل، يتربّص صيادو الاستعمار في أرجاء العالم ويكمنون للحوزويين الشجعان الملمين بالسياسة، ويخططون لمحاربة المجد والعظمة والنفوذ الشعبي للحوزويين.

القلق بشأن التحجر واجتناب الدخول في السياسة

من الواضح في ذلك النص الحكيم الذي كُتب بمشاعر عرفانية وعاشقة، تخوّف الإمام الجليل من أن يصيب تيار التحجر المتظاهر بالتقدس الحوزة العلمية



بتضحية حاملي معارف الدين وجهادهم وبذل دمائهم الطاهرة. ينبغي مشاهدة قدسية الدين في سيرة النبي الأعظم ﷺ، إذ كان أول عمل أقدم عليه عند دخوله يشرب هو تأسيس الحكومة، وتنظيم القوة العسكرية، وتوحيد ساحة السياسة والعبادة في المسجد.

ينبغي للحوزة العلمية، وحفاظًا على اعتبارها المعنوي ووفاء لفلسفة وجودها، ألا تتفصل أبدًا عن الناس والمجتمع وقضاياها الأساسية، وأن تعدّ الجهاد بكل أنواعه واجبًا قطعيًا عليها عند الحاجة.

هذا هو القول المهم الذي كرره الإمام الجليل مرارًا على مسامع الحوزة وروادها وأجلّائها، وبنحو خاص طلابها وفضلائها الشباب، وشدّد عليه.

المشاركة في إنتاج النظم الاجتماعية وتبيينها وفق مبادئ الإسلام

رابعًا. المشاركة في إنتاج النظم الاجتماعية وتبيينها

تُدار الدول والمجتمعات البشرية في جميع شؤونها الاجتماعية عبر نظم محددة؛ فشكل الحكومة، وأسلوب الحكم (الاستبداد، التشاور و...)، والنظام القضائي والتحكيم في النزاعات والمخالفات والقضايا الحقوقية أو الجزائية، والنظام الاقتصادي والمالي ومسائل العملة وغيرها، والنظام الإداري، ونظام إدارة الأعمال، ونظام الأسرة، وغيرها وغيرها، كلها تُعد من الشؤون الاجتماعية للدولة، والتي تُدار في مجتمعات العالم بأساليب مختلفة وفي إطار نظم متنوعة.

لا شك في أن كل نظام من هذه النظم يستند إلى قاعدة فكرية، سواء كانت نابعة من عقول المفكرين وأصحاب الرأي، أو وليدة العادات والتقاليد المحلية والموروثة.

وفي الحكومة الإسلامية، ينبغي بطبيعة الحال أن يكون هذا الأساس وهذه القاعدة مستمدين من

الإسلام ونصوصه المعتمدة، وأن تُستخرج منها نظم إدارة المجتمع.

على الرغم من أن الفقه الشيعي لم يتناول هذا الأمر بنحو كافٍ إلا في بعض الحالات - كباب القضاء - إلا أنه ببركة القواعد الفقهية المستفيضة المستفادة من الكتاب والسنة، وكذلك بالاستعانة بالعناوين الثانوية، يمتلك الكفاية اللازمة لصياغة نظم متنوعة لإدارة المجتمع.

في ما يتعلق بأساس الحكومة ومنشئها، كان العمل البارز للإمام الراحل في مباحث "ولاية الفقيه" في أثناء نفيه إلى النجف، بدايةً مباركة فتحت طريق البحث أمام فضلاء الحوزة، وقد تكاملت أبعادها المختلفة نظريًا وعمليًا بعد قيام الجمهورية الإسلامية؛ لكن هذا العمل لا يزال غير مكتمل وغير منظم في العديد من النظم الاجتماعية للبلاد. الحوزة هي مَنْ عليه ملء هذا الفراغ؛ وهذا يندرج في عداد المسؤوليات الحتمية للحوزة العلمية. اليوم، وبعد حاكمية النظام الإسلامي وإرسائه، غدت مسؤولية الفقيه والفقاهة ثقيلة. لا يمكن اليوم عدّ الفقاهة الإستغراق في الأحكام الفردية العبادية، كما يفعل الجهلة وفق تعبير الإمام الراحل؛ فالفقه الذي يصنع الأمة ليس محصورًا في حدود الأحكام العبادية والواجبات الفردية وأبعادها.

الحاجة إلى الاستفادة من مكتشفات العالم المعاصر والتعاون مع الأكاديميين

إن الحوزة تحتاج في عملية صياغة النظم الاجتماعية وتنظيمها، إلى أن تكون على دراية كافية بمكتشفات العالم المعاصر بشأن هذه النظم. هذه الدراية ستمكّن الفقيه عبر إدراك صوابية هذه المكتشفات أو خطئها، من الاستحضار الذهني اللازم لتوظيف تصريحات الكتاب والسنة وإشاراتها

الطبقية وتعزيز التربية الروحية والارتقاء العلمي والمعرفة المتزايدة بالطبيعة وترسيخ الإيمان.

الحضارة الإسلامية قائمة على التوحيد وأبعاده الاجتماعية والفردية والروحانية، وعلى تكريم الإنسان من حيث إنسانيته - لا من حيث الجنس واللون واللغة والقومية والجغرافيا -، وتستند إلى العدالة وأبعادها ومصاديقها، وكذلك إلى حرية الإنسان في مختلف المجالات، كما إلى الجهاد العام في جميع الميادين التي تستدعي حضوراً جهادياً.

تقع الحضارة الإسلامية على النقيض تماماً من الحضارة المادية الراهنة؛ فالحضارة المادية بدأت منذ نشأتها بالاستعمار والاستيلاء على الأراضي وإذلال الشعوب الضعيفة، وبارتكاب المجازر الجماعية للسكان الأصليين، وباستغلال العلم لقمع الآخرين، وبالظلم والكذب وإحداث فجوات طبقية، وبالغطرسة، وتدرجياً تسرب إليها الفساد والانحراف عن الأسس الأخلاقية والصيانة الجنسية، اللذين ترعرعا فيها.

وها نحن نرى اليوم الأمثلة الواضحة والكاملة لهذا البناء الأعوج من أساسه في الدول الغربية وبين من سار على خطاها: قمم الثروة بجانب وديان الفقر والجوع، غطرسة المتهتمين بالسلطة على كل من يمكن قهره، توظيف العلم للقتل الجماعي، جر الفساد الجنسي إلى داخل الأسر وحتى الأطفال والصغار، ظلم وقسوة لا مثيل لهما في نماذج من قبيل غزّة وفلسطين، التهديد بالحرب من أجل التدخل في شؤون الآخرين، الذي يبرز في نماذج من قبيل سلوكيات رجال الدولة الأمريكيتين في الحقبات الأخيرة.

من البديهي أن هذه الحضارة الباطلة زائلة وستزال؛ هذه سنة الخلق المحتومة: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ

في صياغة هيئة النظم الاجتماعية لإدارة شاملة وكاملة للمجتمع على أساس الفكر الإسلامي.

وإلى جانب الحوزة، تملك جامعات البلاد أيضاً القدرة والمسؤولية في هذا المجال؛ ويمكن أن يكون هذا أحد مجالات التعاون بين الحوزة والجامعة. المهمة الكبرى للجامعة هي أن تهض بمسؤولية تمييز الآراء الصحيحة والخاطئة في المعارف الرائجة عالمياً في مجال العلوم الإنسانية المرتبطة بالأنظمة الحكومية والشعبية، وذلك عبر الاستعانة بنظرة بحثية ناقدة، وأن تعمل بالتعاون مع الحوزة العلمية على تقديم مضمون الفكر الديني ضمن قوالب مناسبة.

رسم الخطوط الرئيسة والفرعية للحضارة الإسلامية وتبيينها وترويجها وترسيخ ثقافتها في المجتمع

خامساً. الإبداعات الحضارية ضمن إطار الرسالة العالمية للإسلام.

هذا هو أبرز ما يُنتظر من الحوزة العلمية، وقد يُعدّ ذلك نسجاً من الآمال والأمان. ففي تلك الليلة التاريخية عقب الهجوم على [المدرسة] الفيضية عام ١٣٤٢ هـ. ش. (١٩٦٣ م)، حينما كان الإمام الراحل يخاطب جمعاً محدوداً من الطلبة المذعورين، في منزله بعد صلاة العشاء، ربما بدا لبعضنا أن تعبيره السامي: "هؤلاء سيرحلون وأنتم ستبقون" لم يكن سوى نسجاً من الآمال والأمان، لكنّ مرور الزمن أثبت أن الإيمان والصبر والتوكل يقتلع جبلاً من الموانع، وأنّ مكر الأعداء عاجز أمام السنن الإلهية.

إنّ "إرساء الحضارة الإسلامية" أسمى هدف دنيويّ للشورة الإسلامية، أي الحضارة التي يُسخر فيها العلم والتقانة والموارد البشرية والطبيعية وكلّ القدرات وأنواع التقدّم البشري والحكومة والسياسة والقوة العسكرية وكل ما هو في متناول البشر، لخدمة العدالة الاجتماعية والرفاه العام وتقليص الفوارق

كَانَ زُهَوًّا ﴿٨١﴾ (الإسراء، ٨١)؛ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ (الرعد، ١٧). إِنَّ مَسْئُولِيَّتَنَا الْيَوْمَ هِيَ أَوَّلًا المساعدة في إبطال هذا الباطل، وثانيًا الإعداد للحضارة البديلة على المستويين النظري والعملي بقدر الاستطاعة؛ أما القول: "لم يستطع الآخرون، لذا لن نستطيع نحن أيضًا"، فهو مغالطة، فالآخرون حيثما تحركوا بإيمان واستقامة ووفقًا للحسابات، استطاعوا وانتصروا. والمثال الواضح والجلي أمام أعيننا: الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية.

يتخلل هذا الكفاح أضرار وضربات وتجزع آلام وأنواع الحرمان ينبغي تحملها؛ وعندئذ يكون النصر حتميًا. إن الرسول الأعظم ﷺ خرج ليلاً وخفيةً من مكة ومن بين حلقة عبدة الأصنام، واختبأ في الغار، لكن بعد ثمانية أعوام وطأ بقدمه [أرض] مكة بعظمة واقتدار، وطهر الكعبة من الأوثان ومكة من عبدة الأصنام. لقد تجرّع عناء لا يحصى في هذه الأعوام الثمانية، وفقد أصحابًا مثل حمزة، لكنّه انتصر.

وفي دفاعنا المقدس الذي استمر ثماني سنوات في وجه التحالف العالمي للقوى الظالمة والكاذبة مثال آخر على ذلك. كما تُعدّ حوزة قم العظيمة والفاعلة اليوم، والتي واجهت المحن مع انطلاقها، نموذجًا ماثلاً أمام أعيننا؛ ويمكن العثور على نماذج كثيرة مثل هذه.

تقع على عاتق الحوزة العلمية في هذا الجانب مسؤولية قيّمة، تتمثل أولاً في رسم الخطوط الرئيسة والفرعية للحضارة الإسلامية الجديدة، ثم في تبينها وترويجها وترسيخ ثقافتها في المجتمع. وهذا من أسمى مصاديق "البلاغ المبين".

وفي ما يتعلق برسم معالم الحضارة الإسلامية، يضطلع الفقه بدورٍ، والعلوم العقلية بدور آخر. وعلى فلسفتنا الإسلامية أن ترسم امتدادًا اجتماعيًا لقضاياها الأساسية. كما يتعين على فقهنّا، وعبر توسيع

آفاقه والابتكار في الاستنباط، إحصاء المسائل المستجدة لمثل هذه الحضارة وتحديد أحكامها.

الالتفات إلى عنصري الزمان والمكان في الاجتهاد، والفهم الصحيح للموضوع

إن بيان الإمام الجليل الواضح حول الفقهة وأسلوبها في الحوزة العلمية لهو دليل هادٍ؛ ففي هذا البيان، تُعدّ طريقة الاستنباط طريقة الفقه التقليدي ذاتها، أو "الاجتهاد الجواهري" وفق تعبير سماحته؛ وعليه، فإن "الزمان" و "المكان" هما عنصران حاسمان في الاجتهاد، فقد يكون لموضوع ما حكمٌ في الماضي، لكن مع تغيير المعادلات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد، يكتسب الآن حكمًا جديدًا. وهذا التغيير في الحكم ناجمٌ عن أنّ الموضوع، وإن كان ظاهريًا هو الموضوع السابق ذاته، إلا أنه في الواقع، وبالنظر إلى تغيير المعادلات السياسية والاجتماعية وغيرها، قد تغير وأصبح موضوعًا جديدًا، وبالتالي يستدعي حكمًا جديدًا.

علاوة على ذلك، فإنّ الأحداث العالمية المتعاقبة والتقدم العلمي وغيره قد يؤدي في بعض الحالات إلى أن يتوصل الفقيه الحاذق إلى فهم جديد بناء على مدرك من مدارك الكتاب والسنة، فيغدو حجة شرعية لتغيير الحكم؛ كما يحدث غالبًا في تبدل رأي المجتهدين. وعلى أي حال، فلا بدّ للفقه من أن يبقى فقهاً، من دون أن يؤدي الفهم الجديد إلى إدخال شوائب على الشريعة.

أكتفي بما قيل في ما يرتبط بتعريف عنوان الحوزة العلميّة وتفسيره ومضمونها العميق وتوضيحه، وسأتحدث بإيجاز بشأن حوزة قم التي بلغت الآن منوّيتها.

حيوية الحوزة وازدهارها في مختلف المجالات

حوزة قم اليوم هي حوزة حية ومزدهرة؛ فحضور

- يجب أن تكون الحوزة مواكبة للعصر، وأن تخطو دائماً بما ينسجم مع الزمان، بل أن تتعدى الزمان في حركتها.
- يجب الاهتمام بتربية الطاقات في المجالات كلها. فمن يرسم مسار حركة هذا الشعب ومستقبل الثورة الإسلامية هم الطاقات الذين يتربّون اليوم في الحوزة العلمية.
- فليُعزّز الحوزويّون علاقتهم بالناس، وليجرّ التخطيط لحضور فضلاء الحوزة بين الناس وإرساء علاقات وديّة معهم.
- يجب على مديري الحوزة، وعبر التدبير المناسب، أن يحبطوا المغالطات المغرضة التي تجعل الطلاب الحوزويّين الشباب محبطين تجاه المستقبل. يتمتّع الإسلام وإيران والتشيع اليوم بعزّة وحرمة على مستوى العالم لم يسبق أن كان لهما مثيل في الماضي. على الطالب الحوزوي الشاب أن يدرس ويتنامى وهو يمتلك هذا الشعور.
- ينبغي أن يُنظر إلى جيل الشباب في المجتمع بعين التفاؤل، وأن يجري التعامل معهم من هذا المنظور. إنّ فئة واسعة من شباب اليوم، الذين يمتلكون معدّل ذكاء مرتفع، أوفياء للدين ومدافعون عنه، بالرغم من كلّ المغالطات الهدامة للفكر والإحساس الديني؛ وثمة كثيرون آخرون أيضاً ليس لهم أيّ معاندة مع الدين والثورة الإسلامية. يجب ألاّ تؤدي الأقلية الضئيلة جداً المُعرضة عن المظاهر الدينية إلى وقوع الحوزة في التحليلات غير الواقعية.
- يجب أن تُصاغ المناهج الدراسية في الحوزة بنحو يُدرّس فيه الفقه النير والمُجيب والمواكب للعصر، والمبني طبعاً على المنهج الاجتهادي، إلى جانب الفلسفة الواضحة ذات الامتداد الاجتماعي والرؤية المؤثرة في هيئة الحياة المجتمعية، ومعها علم الكلام البليغ والمتين والقادر على الإقناع،

آلاف المدرسين والمؤلفين والمحققين والكتّاب والمتحدثين والمفكرين في المعارف الإسلامية، ونشر المجالات العلمية والبحثية، وكتابة المقالات المتخصصة والعامة، يكون مجتمعاً ثروة عظيمة لحاضر المجتمع، وطاقته هائلة لغد البلاد والأمة. إنّ شيوع دروس التفسير والأخلاق، وزيادة دروس العلوم العقلية ومراكزها، هي نقطة قوة بارزة لم تكن متاحة للحوزة قبل الثورة. لم تشهد حوزة قم قطّ هذا العدد من الطلاب والفضلاء أصحاب الفكر. وإنّ الحضور الفعّال في جميع ميادين الثورة، وحتى في الميدان العسكري، وتقديم الشهداء الأجلاء في فترة الدفاع المقدس وما قبلها وما بعدها، لهو من المفاهيم الكبرى للحوزة ومن حسنات الإمام الراحل التي لا تحصى. كما أنّ تشريع الطريق إلى ساحة التبليغ العالمي، وتربية آلاف طلاب العلم من مختلف الشعوب، وحضور خريجها في العديد من البلدان، لهو عمل عظيم آخر وغير مسبوق يستحقّ التقدير. إنّ اهتمام الفقهاء الغُضاض بالمباحث المعاصرة المبتلى بها، والدروس الفقهية المرتبطة بها، يبشّر بمستقبل منسود في التقدّم والتحوّل العلميين. كما أنّ إقبال الفضلاء الشباب على التدقيق في النقاط المعرفية للنصوص الإسلامية المعتبرة، وخاصة كلام الله المجيد، يبشر بدوره بروج القرآن بنحو أوسع في الحوزة العلمية. إنّ تأسيس الحوزات العلمية للسيدات هو مبادرة مهمّة ومؤثرة يصل ثوابها الدائم إلى الروح المُطهّرة للإمام الراحل. حوزة قم، بهذه النظرة، هي مؤسسة حية وديناميكية، تبعث الآمال.

توصيات من أجل تقليص المسافة بين الحوزة الحالية والحوزة الرائدة

مع ذلك، يظهر هذا التوقّع المنطقي بأن تكون حوزة قم رائدة وفي الطليعة، هو على مسافة ملحوظة من الوضع الحالي. ويساعد الالتفات إلى النقاط الآتية في تقليص هذه المسافة:

وذلك على يد أساتذة ماهرين، وتكسب هذه الثلاثية كشفًا ونورانية وعمقًا في ظل فهم القرآن ودروس التفسير.

• لطالما كان الزهد والتقوى والقناعة والاستغناء عن غير الله، والتوكل، وروحية التقدم، والاستعداد للجهاد، من توصيات الإمام الجليل وأبرز الشخصيات الأخلاقية والمعرفية إلى الطلاب الحوزويين الشباب، والآن أنتم أيها الشباب الأعزاء في الحوزة العلمية مخاطبون بهذه التوصيات ذاتها.

• توصيتي الدائمة والحالية أيضًا بشأن الشهادات الدراسية في الحوزة، هي أن تتولّى الحوزة بنفسها - لا جهة خارجية عنها - منح الشهادات العلمية إلى خريجيها. ويمكن بطبيعة الحال استخدام تسميات مألوفة ومعروفة في الأوساط العلمية داخل البلاد وخارجها، مثل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه البحثية وما إلى ذلك، بدلًا من المستويات الحوزوية ١ و ٢ و ٣ و ٤.

أختم كلامي هنا، سائلًا الله المتعالي أن يمدّ الإسلام بعزة وشوكة متزايدتين، ويمنح الأمة الإسلامية قوة وصلابة متعظيمتين، ويُفيض على الشعب الإيراني تقدّمًا وازدهارًا متناميين، ويمنّ على الحوزات العلمية برفعة وفاعلية متعاليتين، ويحقق النصر على الأعداء والمغرضين والمعاندين. سلام الله على حضرة بقيّة الله (أرواحنا فداء وعجل الله فرجه) و تحياتنا الخاصة إلى أرواح الشهداء والروح المطهرة لإمام الأمة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الخامنئي

٢٠٢٥/٤/٢٨

١. عشرينيات القرن العشرين ميلادي.
٢. أربعينيات القرن العشرين ميلادي.
٣. صحيفة النور (النسخة الفارسية)، ج. ٢١، ص. ٢٧٣ (مع اختلاف طفيف)؛ نداء إلى العلماء، المراجع، المدرسين، الطلاب وأئمة الجمعة والجماعة (١٩٨٩/٢/٢٢).



رسالة آية الله العظمى مكارم الشيرازي: صيانة كيان الإسلام والتشجيع فخر الحوزة العلمية في قم



وكالة أنباء الحوزة - في حفل إحياء الذكرى المئوية لإعادة تأسيس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، بعث سماحة آية الله مكارم الشيرازي برسالة تمّت قراءتها نيابةً عنه من قبل نجله، بيّن فيها المكانة التاريخية العريقة لمدينة قم والدور المحوري الذي اضطلعت به الحوزة العلمية في هذه المدينة في مسيرة التحولات الدينية والسياسية في البلاد، مؤكداً على ضرورة الحفاظ على المبادئ الأصيلة للحوزة وواجبات العلماء والطلاب في ظل الظروف الراهنة.

وأشار سماحته إلى أن تاريخ مدينة قم يمتد لأكثر من ألف ومئتي عام، حيث كانت وما زالت منطلقاً لمحبي أهل البيت (عليه السلام) ومركزاً لنشر المعارف الإسلامية النقية، مضيفاً: "إن تأسيس الحوزة العلمية، وتربية العلماء والفضلاء،

والتعريف بالعلماء، وتقديم القراءة الصائبة لتعاليم الإسلام المحمدي الأصيل، كان من الأسباب الرئيسة في صيانة كيان الإسلام والتشجيع من الانحرافات والتشويهات." كما أشاد بالدور الإحيائي الذي قام به المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في إعادة بناء الحوزة العلمية، مشيراً إلى أن "الحوزة وقفت صامدةً في وجه المؤامرات الخارجية وضعف الحكام غير الأكفاء، وكانت سنداً للشعب الإيراني، حتى تحقق النصر العظيم للثورة الإسلامية التي انبثقت من مهد التشيع بقيادة الإمام الخميني قدس سره، لتصبح نقطة تحول فارقة في تاريخ الأمة المعاصر."

وأكد سماحته على أهمية الواجبات الملقة على عاتق العلماء والطلاب في الحفاظ على إرث الحوزة واستمرار

مسيرة الثورة الإسلامية حتى ظهور صاحب العصر (عليه السلام)، مشدداً على وجوب تزكية النفس، والتمسك بالقيم الحوزوية الأصيلة، وتعزيز الحركة العلمية، وتجنب الدراسة السطحية، ورفع مستوى الوعي والبصيرة، والاستفادة الحكيمة من التقنيات الحديثة، ودعم الطلاب، وتعزيز التواصل مع الجماهير، والحفاظ على استقلالية الحوزة عن السلطات الحاكمة، ومواجهة الشبهات التي تثار بين الشباب، وتعزيز روح الأمل والتفاؤل.

وفي ختام رسالته، شدّد على ضرورة تعميق الصلة الروحية والعملية بالإمام الحجة بن الحسن (عليه السلام)، معتبراً رضا ذلك الإمام الشريف الهدف الأسمى لكل الجهود العلمية والحوزوية.

رسالة

رسالة آية الله العظمى نوري الهمداني إلى الذكرى المئوية
لتأسيس حوزة قم.. دعوة للوحدة والنهوض بالمسؤولية



وكالة أنباء الحوزة - (نقلا عن وكالة الاجتهاد في تقرير خاص) شهد الحفل الختامي للمؤتمر الدولي للذكرى المئوية لإعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، والذي أقيم عصر اليوم في قاعة مؤتمرات مدرسة الإمام الكاظم (عليه السلام) بث رسالة من المرجع الديني آية الله نوري الهمداني. وقد جاء في نص الرسالة ما يلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا أَبِي الْقَاسِمِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ [لا] سَيِّمَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِينَ.

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فُؤْقَةٍ مِنْهُمْ فُتَاتَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (التوبة: ١٢٢)

تحية مباركة لذلك الاجتماع المحترم المنعقد بحضور العلماء والفضلاء والشخصيات المؤثرة.

إن المؤسس الأول للحوزات العلمية هو الله سبحانه وتعالى، الذي أمر بهجرة جماعة من المسلمين من مختلف البلدان إلى مركز العلم، وقرر عودتهم بعد التحصيل إلى بلدانهم لإنذار قومهم. ويُعتبر الرسول الأكرم (عليه السلام) أول من أسس لحوزة إسلامية، حيث جعل المدينة المنورة مركزاً للعلم والفضيلة يقصده طلاب المعرفة من كل مكان ليتعلموا ويهذبوا أنفسهم ثم يعودوا لهداية أقوامهم. والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، الذين جعلوا من الكوفة والمدينة وبغداد مراكز لتعليم وتهذيب العلماء، هم المؤسسون الآخرون للحوزات العلمية. ولذا، ازدهرت حوزات الإمامية في عصر الغيبة في النجف وسامراء ومشهد وقم حول مراقدة أهل البيت النورانية.

ومن هذه الحوزات، حوزة قم العلمية التي تأسست قبل مئة عام في أصعب الظروف التاريخية لإيران، بفضل حكمة آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (رحمته)، ونظرته العميقة

كما تجدر الإشارة إلى ضرورة صيانة علوم ومعارف الحوزة القيّمة، التي تمثل خلاصة جهد يزيد على أربعة عشر قرناً من الحضارة الإسلامية والشيعية، وعدم التفريط فيها بأي مقابل، مع ضرورة المتابعة المستمرة للاحتياجات العالمية واحتياجات المسلمين والشيعية في شتى بقاع الأرض واحتياجات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإعادة إنتاج المعارف الإسلامية وتبيينها بما يستجيب لمتطلبات العصر.

ومن الأمور ذات الأهمية البالغة، التأكيد على أن يكون المصدر الرئيس للمعارف الحوزوية هو القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم وأهل بيت العصمة عليهم السلام، مع ضرورة الاستعانة بحجة الله العقل، بالمنهجية التي يرتضيها المجتهد، إلى جانب هذين المصدرين الثريين، وذلك لتجنب الوقوع في براثن الإفراط والتفريط في فهم المعارف الحوزوية.

ومما لا شك فيه أن البيئة الخصبة التي ستنمو فيها هذه الجهود، والتي إن تم إغفالها فلن تحقق الجهود مبتغاها، هي الروحانية والإخلاص والتوجه الدائم نحو حضرة الحق تبارك وتعالى وحضرة وليّه الأعظم صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. ونأمل أن يتعزز هذا العنصر القيم ويزداد تأثيره في مسيرتنا نحو المستقبل المنشود.

والنقطة الأخيرة هي أن حوزة قم العلمية اليوم، بتاريخها العريق الذي يمتد لقرون وإعادة تأسيسها قبل مئة عام على يد فقيه شامخ كآية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمته، يجب أن تسعى لترسيخ صورة لدى الأجيال القادمة مفادها أن رجال الدين الأصيل كانوا ولا يزالون سنداً للشعب، يتفهم آلامه ويسعى جاهداً لتخفيفها، وتشهد على ذلك المشاريع الخدمية المتعددة في

والحذرة إلى السياسات المعادية للدين آنذاك. وتلك النظرة السياسية العميقة للشيخ المؤسس رحمته، التي كانت تهتم بمصير الإسلام والتشيع ومكانتهما في العالم الجديد، تحولت تدريجياً بجهاد علماء كبار كآية الله العظمى البروجردي وتلاميذه المجاهدين إلى "شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا".

لقد خطط الحاج الشيخ رحمته ببصيرته المستقبلية للحوزة المباركة تخطيطاً لا يحصر العمل بفضائلها العلمية في نطاق جهاد النفس فحسب، بل يتجاوزه إلى الانخراط الواعي في معترك الجهاد الخارجي، وتحمل الصعاب الجمة، وتقديم التضحيات الجليلة، ليمنح معنى لنضالات الشعب الإيراني العادلة، ويدفع بها نحو تحقيق النصر للثورة الإسلامية وتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث كان دور الإمام الخميني رحمته في هذا السياق دوراً لا يُضاهى وباقياً على مر الزمان.

واليوم، وقد اجتازت هذه الشجرة الطيبة مسيرتها المليئة بالتحديات والمنعطفات، وبلغت قرنها الأول، يتعين على الرواد أن يأخذوا بأيدي الجيل الشاب في هذه الحوزة، وأن يقفوا سوياً على قمة إنجازات المئة عام، وأن يتطلعوا جميعاً نحو المستقبل، ويضعوا النقاط التالية في اعتبارهم:

أولاً: استيعاب الجذور الثابتة وغير القابلة للتغيير للحوزة، وتمييزها عن العادات والتقاليد المؤقتة التي ينبغي تعديلها بتغير مقتضيات العصر، بحيث لا يُتَهاون في صيانة الأصالة الحوزوية الراسخة، ولا يُندم على التخلي عن الممارسات الحوزوية المتغيرة.

ثانياً: الانفتاح على العصر مع التمسك بالأسس الحوزوية، وفهم عمق متطلبات العالم الحديث مع الحذر من التفكير السطحي، لئلا تجد الحوزة نفسها في مسار انعزالي غير مرغوب فيه، والذي لا يفضي إلا إلى الاضمحلال التدريجي.

المجتمع. وقد تجسدت هذه الروح في زمن الحاج الشيخ نفسه في ظروف عصيبة، واستمرت هذه العطاءات القيمة حتى يومنا هذا بفضل جهود رجال الدين والحوزة.

وقد أثمرت هذه المؤسسة عن تخريج قامات علمية وفكرية، وكان من أبرز ثمار فطنة وحكمة مؤسسها الراحل وتديره وصبره، قيام ثورة إسلامية عظيمة بقيادة أحد تلاميذه، التي أسقطت عرشاً ملكياً دام ألفين وخمسمئة عام إلى مزبلة التاريخ، وأعزت الشعب الإيراني ومنحته الاستقلال والحرية، وكان لها صدى على الساحة الدولية أيضاً، ويتجلى ذلك بوضوح في تفعيل تعاليم القرآن الكريم وسنة المعصومين، خاصة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، في مقارعة الظالم ونصرة المظلوم دون الالتفات إلى الحدود الجغرافية، وتحويل قضية فلسطين إلى الأولوية القصوى للعالم الإسلامي، وكان لها تأثير بالغ من خلال التوعية والتواصل مع الجامعات وإفساح المجال للشباب، وكانت الحوزة في كل هذه الميادين رائدة.

وعليه، فإن الحفاظ على هذه الثمرة المباركة وإبراز آثارها وبركاتها وإنجازاتها، فضلاً عن تشخيص مواطن الضعف فيها، يقع على عاتق هذه الحوزة المباركة نفسها. وبالنظر إلى ميثاق رجال الدين الذي تفضل بإرساله اليوم قائد الثورة الحكيم، فإن هذا التجمع الكريم، الذي يحيي ذكرى إصدار ميثاق رجال الدين من قبل الإمام الراحل (عليه السلام)، يمكن أن يكون نبراساً للحوزات العلمية والطلاب والأساتذة والفضلاء الأجلاء. وأغتتم هذه الفرصة السانحة لأقدم أسمى آيات التقدير والإجلال للعلماء الأعلام الذين نذروا أنفسهم لترويج ثقافة القرآن وأهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام)، وخاصة أعظم أعلام عصرنا الحائري والبروجردي والإمام الراحل.

وفي الختام، أتوجه بالشكر والثناء إلى جميع القائمين على هذا الاحتفال البهيج بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس الحوزة العلمية، والذين بذلوا جهوداً مضيئة لفترة طويلة في جمع الآثار القيمة للمرحوم الحاج الشيخ، والتي طبع منها عشرون مجلداً، وكذلك المؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع، ومنها جمع ثلاثين مجلداً من المقالات، وأخص بالشكر والتقدير الإدارة الكريمة والعالمة للحوزة العلمية في قم.

أتمنى من الله العلي القدير التوفيق والسداد للجميع.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

١٣ من شهر ارديهشت ١٤٠٤

الخامس من شهر ذي القعدة ١٤٤٦

حسين نوري الهمداني

كلمة سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين،
والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً وهدايةً للعالمين
أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنُ
الدائم على أعدائهم أجمعين..
أما بعد..

فقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه
وَمُنِيفٍ خُطَابِهِ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

نحتفي معكم اليوم، أيها العلماء الأعلام والحضور
الكرام، بمرور قرنٍ من الزمن على الانطلاقة المباركة
والعظيمة لحوزة قم المقدسة، التي أُسِّسَتْ على يد
عالمٍ عاملٍ وقائدٍ من قادة الحوزات العلمية في العالم،
ألا وهو المرجع العظيم الشيخ عبد الكريم الحائري
اليزدي (أعلى الله درجاته في عليين)، وقد استمرت
هذه الحوزة حتى أضحت حصناً منيعاً من حصون
الدين.

إنَّ هذا الإنجاز والانتصار الكبير والمهم للطائفة
قد جاء استمراراً للمسيرة المباركة، برعاية ولي الله
الأعظم - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - التي بدأها
الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، حيث فتحو
أبوابهم لطلبة العلم من مختلف أصقاع الأرض،
بحسب ما سنحت الظروف لكل منهم، لنشر العلوم
والمعارف، وحثوا شيعتهم على استحصال العلم
ونشره. ثم نهض بعدهم بأعباء تلك المسؤولية
العظيمة علماء الطائفة ومشايخها، أمثال الشيخ
المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي،
والمحقق الحلي، في بغداد والحلّة والنجف الأشرف.
فأسسوا تلك الحصون التي لآذ بها العلماء
وطالبو الحق وخُددَّامُ شريعة سيد المرسلين ﷺ،
فأنتجت ما أنتجت وأثمرت ما أثمرت، حتى
التحقت حوزة قم المقدسة الشريفة بهذا الركب
المبارك منذ قرنٍ من الزمن، وأثبتت جدارتها
وقوتها وأهمية دورها، خصوصاً في الصراع الثقافي
والديني في العقود الأخيرة.



جميع النواحي؛ لما لها من أثرٍ بالغٍ على نوعيّة النتاج واستمراره.

٣. ضرورة توجيه الراغبين في الالتحاق بركب الحوزات إلى تحديد الهدف من دخولهم إلى الحوزة، هل هو الاجتهاد أو التبليغ أو التفقه، وذلك لتحديد المنهج المناسب لهم، استثمارًا للطاقات وتنظيمًا للجهود.

٤. التأكيد على اعتماد مناهج علميّة رصينة ودقيقة تؤهل طلاب العلم لحياسة قصب السبق والمراتب العليا في جميع الحقول العلميّة التي تُعنى الحوزات العلميّة بتهيئة المتخصّصين لرفدها.

٥. الاستفادة من الوسائل الحديثة العلميّة بما ينسجم مع العلوم والمعارف الحوزويّة، لتكون معيّنًا صالحًا لرواد الحوزات العلميّة.

ختامًا، نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبّل الجهود الكبيرة والمخلصة للقائمين على إقامة هذا المؤتمر المبارك، وأن يسدّد خطاهم.

كما نرجوه تعالى أن يتغمّد علماءنا الماضين بوافر رحمته ونعمته وكرامته، ويرزقهم جوار النبيّن في جنّته، وأن يوفّق العاملين والمشتغلين للعلم والعمل الصالح.

ونسألّه تعالى أن يحفظ حصون الدين، الحوزات العلميّة الشريفة المباركة في كلّ مكان، وأن يوفّقنا وإياكم لإكمال المسيرة بما يرضي الله، ويُسِرُّ مولانا صاحب الزمان (صلوات الله وسلامه عليه).

..والسلام

بشير حسين النجفي

النجف الأشرف

المصدر: موقع مكتب آية الله بشير حسين النجفي

ونحن وإياكم، إذ نبارك لإمام زماننا وقائدنا الحجّة بن الحسن (صلوات الله وسلامه عليه)، هذا الإنجاز المستمرّ بإذن الله تعالى في هذه الحوزة المباركة وباقي الحوزات الشريفة، نجدّد الثناء للعلماء الأعلام الذين قدّموا أرواحهم الزكية، وصرفوا أعمارهم المباركة وأوقاتهم، وكلّ ما جادت به أيديهم المباركة، لإقامة هذا الصرح العظيم، وهم شركاء في أجر وثواب العلماء والمتعلّمين.

وإنّا نغتنم اجتماع العلماء والفضلاء وممثلي الحوزات العلميّة، وكلّ المعنيين بشأنها، في هذا المؤتمر المبارك المنعقد لهذه المناسبة العزيزة، كي نعرض بعض الأمور المهمّة، مستلهمين الدروس من نجاح هذه الحوزة المباركة.. وغيرها.

١. ضرورة العمل على تأسيس ودعم الحوزات الموجودة بجوار مراقد الأئمة الأطهار وذرائعهم في مختلف أصقاع الأرض، لما لوجودهم من بركة وأثر في أن تكون مراقدهم حاضنة مناسبة للحوزات العلميّة.

٢. التأكيد على استقلاليّة الحوزات العلميّة من

رسالة سماحة آية الله السيد ساجد علي النقوي إلى المؤتمر

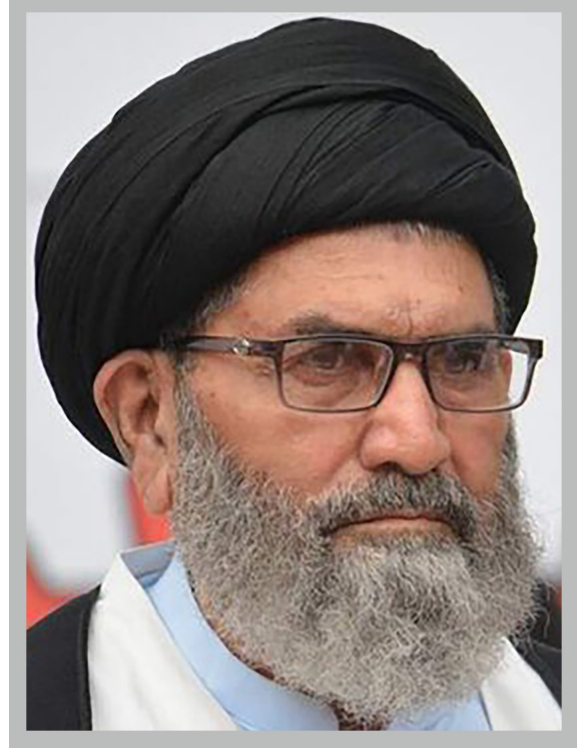
رسالة

خلال فترة دراستي في باكستان، كنت أحصل على معلومات موثوقة عن المكانة التاريخية لمدينة قم، باعتبارها المركز العلمي والفكري للتشيع في العالم، من مصادر معتمدة، إضافة إلى ما كان ينقله إلي الطلبة الذين كانوا يدرسون آنذاك في الحوزة العلمية من معلومات وافرة عن تطورات هذا المركز العلمي. وقبل انتصار الثورة الإسلامية، وبعد أن أنهيت دراساتي الحوزوية حتى مرحلة الخارج في النجف الأشرف، دخلت مدينة قم وواصلت دراستي في مرحلة الخارج تحت إشراف "مجلس رعاية الطلبة غير الإيرانيين" الذي أصبح لاحقاً يُعرف بـ "المركز العالمي للعلوم الإسلامية"، والذي يُعرف اليوم بـ "جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية".

وخلال هذه الفترة، سنحت لي الفرصة لرؤية هيئة التدريس في قم عن كثب، وأقمت علاقات وثيقة مع هذا المركز العلمي. وبعد عودتي إلى باكستان وتولّي مسؤولية شؤون الشيعة القومية، شعرت أكثر بأهمية التواصل مع هذا المركز العلمي. وطيلة هذه المدة، أُقيمت علاقات جيدة مع إدارة هذا المركز، ومن خلالهم تم التعرف بشكل أعمق على مختلف جوانب الحوزة العلمية، وكانت هذه الفترة فرصة ثمينة للاطلاع على آثارها العلمية والاجتماعية والثقافية.

لقد جعل الشيخ حائري في فترة إدارته، إحياء استقرار الحوزة وتوسعتها من أولوياته. وقد أولى اهتماماً خاصاً بإصلاح أساليب التربية الحوزوية، وإدخال الدراسات التخصصية في الفقه، والارتقاء بالمستوى العلمي للطلبة، بل وحتى تعليم اللغات الأجنبية. وقد أدى هذا إلى الانتشار السريع لمعارف أهل البيت (عليهم السلام) في العالم في تلك الحقبة. وكان هدفه الأساس هو تربية باحثين ومجتهدين مهرة.

لم يطرح الشيخ حائري نفسه كمرجع تقليد، ولم



بسمه تعالى

إلى سماحة آية الله الشيخ علي رضا أعرافي زید عزه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المدير المحترم للحوزات العلمية في أرجاء إيران

مع فائق الاحترام والتقدير إلى مقامكم الكريم، أحيطكم علماً بأن دعوة المؤتمر الدولي قد وصلتني. أتقدم بجزيل الشكر على عنايتكم الكريمة، ولكن نظراً لانشغالي في الشؤون الوطنية في باكستان، فإن مشاركتي في هذا المؤتمر غير ميسورة.

وبهذه المناسبة، أرفق لجنابكم الكريم مقالة موجزة، سائلاً الله تعالى أن يوفقكم ويوفق إخوانكم المخلصين العاملين معكم لردّ التوفيق والسداد.

والسلام

السيد ساجد علي النقوي - الحوزة العلمية في قم

يكن لديه رغبة في ذلك. وبعد وفاة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي عام ١٣٣٧ هـ ش، رفض قبول مقام المرجعية، وفُضِّل الإقامة في إيران بدافع الشعور بالواجب. ومع ذلك، جذبت شهرته في قم مؤيدين من إيران وسائر البلدان.

ورغم أن الشيخ حائري كان يتجنب عمومًا التدخل في السياسة ويتبعد عن قضايا الثورة الدستورية، فإن مكاتته الاجتماعية البارزة أجبرته في النهاية على الاهتمام بالشؤون السياسية. ففي عام ١٣١٤ هـ ش، عارض سياسة كشف الحجاب التي انتهجها النظام الشاهنشاهي، مما أدى إلى توتر علاقته مع رضا شاه طوال حياته.

ويتمثل تراث الشيخ حائري في تربية تلامذة من الفقهاء المؤثرين، مثل الإمام الخميني، ومحمد علي الأراكي، والسيد محمد رضا موسوي الكلبيكاني، وشريعتمداري، والخوانساري. كما شارك في مشاريع الرعاية الاجتماعية.

أما عن دوره في مجال التبليغ، فكان تلامذته يأتون إلى قم من مختلف أنحاء العالم لتأسيس الحوزة العلمية، وكانوا بعد أن يُتقنوا العلوم يعودون إلى بلدانهم ويؤثرون تأثيرًا كبيرًا؛ ويمكن رؤية أثرهم في صفحات التاريخ في مناطق مختلفة من العالم، كالقارة الهندية، وأفريقيا، وأوروبا، وحتى أمريكا اللاتينية. وقد ازداد هذا التأثير أضعافًا بعد انتصار الثورة الإسلامية.

وبعد وفاة الشيخ الحائري، قدم السيد حسين البروجردي (طاب ثراه)، وهو ابن السيد علي الطباطبائي رحمته الله، إلى قم في شهر محرم سنة ١٣٢٣ هـ ش (آذر ١٣٢٣ هـ ش)، تلبية لدعوة المراجع الثلاثة (الحجت، الخوانساري، الصدر)، وتولى رئاسة الحوزة العلمية فيها، وظلّ زعيمًا لها سبعة عشر عامًا، ومرجعًا عالمًا للشيعة في العالم خمسة عشر عامًا.

وكان للإمام الخميني دور بارز في تعزيز مكانة السيد البروجردي ومرجعته في قم.

مع دخول السيد البروجردي إلى الحوزة العلمية في قم، زادت حيويتها وازدهارها العلمي، وتززت بنيتها العلمية. وتدلّ أعماله خلال فترة زعامته على حرصه البالغ على صيانة هذه الحوزة وتعزيزها. فعندما جاء إلى قم عام ١٣٢٧ هـ ش، كان درس الخارج في الفقه والأصول مقتصرًا على عدد قليل من العلماء، مثل آية الله البروجردي نفسه، والآيات العظام حجت، وفيض، وخوانساري، وصدر؛ لكن في نهاية حياته، ازداد عدد أساتذة الخارج في الحوزة، وكان لكلّ منهم بين ٢٠ إلى ٢٥٠ طالبًا.

وكان من بين هؤلاء عدد من تلامذة الشيخ الحائري البارزين، مثل الشيخ محمد علي الأراكي، والسيد محمد رضا الكلبيكاني، والسيد محمد داماد، والإمام الخميني، والسيد كاظم شريعتمداري، والسيد شهاب الدين مرعشي النجفي، الذين أصبح لكلّ منهم درس خارج مستقل.

ومن أجل الحفاظ على المستوى العلمي للحوزة ورفعها، ابتكر السيد البروجردي أسلوبًا جديدًا في البحث والتدريس الفقهي لم يكن له سابق في قم، وخرّج جيلًا من الطلبة الموهوبين الذين أصبحوا أساتذة ومراجع المستقبل في الحوزة.

وقد بذل جهودًا كبيرة لإحياء وطباعة الكتب الحديثية والفقهية والرجالية الشيعية. وكان يهتم بمواصلة طلبة العلوم الدينية لدراساتهم، ويشجّع الموهوبين بوسائل شتى، ويدفعهم إلى فهم أصول المسائل والمباحث الفقهية والرجالية، وبيان مآخذ كل منها، وشرح متى ولماذا دخلت كل مسألة إلى دائرة الفقه الإسلامي.

وكان سماعته قد نظّم كذلك أنشطة دولية في الحوزة العلمية في قم، من بينها أنه أرسل

الرشيد، قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي، هذا المسار ذاته. ومع التطورات السريعة والضخمة في العلوم الحديثة، شدّد بدوره على الفقه الحيوي، وأكد على ضرورة محورية الأبحاث العلمية الجديدة والمستحدثة في الحوزة العلمية. وقد أسّس قائد الثورة مؤسسة تُعرف بـ "الحوزة والجامعة"، وهي من أكثر المراكز العلمية تفرّدًا في جامعات العالم.

كما أشرنا، قبل الثورة لم يكن جزءٌ كبير من النشاط العلمي لطلبة الحوزة يركّز على المسائل السياسية والجديدة، وكان بعضهم فقط منشغلاً بمقارعة النظام الشاهنشاهي وكانت الحوزة العلمية تزرع تحت ضغوط شديدة من قبل ذلك النظام، وكانت الأجواء يسودها الكبت ولم تكن الحوزات العلمية واسعة أو منتشرة بشكل ملحوظ، وكانت تناقش مسائل محدودة فقط. أمّا بعد الثورة الإسلامية، فقد تغيّر موقع الحوزة، وبدأت تُطرح فيها بحوث علمية معمّقة تتعلّق بالحكم والقوانين الإسلامية، وازدهرت المواضيع العلمية الشاملة بين المثقفين وعلماء الحوزة. هذا التحول أدّى إلى تطور سريع في الحوزات العلمية، لا سيما في مجالات العلوم الإنسانية.

وبعد الضغوط التي فرضها نظام حزب البعث في النجف، أصبحت حوزة قم العلمية المركز العالمي لعلوم أهل البيت، فتوجّه الطلاب من أقصى نقاط العالم إلى قم لطلب العلم، لكي يعودوا بعد الاستفادة من علومها إلى بلادهم، وينقلوا للناس - إلى جانب معارف أهل البيت - إنجازات الثورة الإسلامية، ويعرّفوا النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للإسلام الأصيل بأسلوب عقلاني وبلغة العصر، تلك النظريات التي تمتلك كل الخصائص اللازمة لإنقاذ البشرية.

السيد محمد تقى الطالقاني آل أحمد سنة ١٣٣١ هـ ش لرعاية شؤون الشيعة في المدينة المنورة، وبعد وفاته أرسل السيد أحمد اللواساني، ثم الشيخ عبد الحسين فقيهي الرشتي. كما أرسل السيد زين العابدين الكاشاني إلى الكويت، والسيد محمد حسن ناشر الإسلام الشوشتري إلى زنجيان، وشريعتزادة الإصفهاني إلى باكستان، ومهدي الحائري اليزدي إلى أمريكا، وصدر بلاغي كمبعوث متجول له إلى أوروبا. ومن أبرز نشاطاته الدولية محاولته في جلب دعم وتأييد الشيخ محمد تقى القمي لتأسيس "دار التقريب" في مصر. وبفضل جهود القمي، اعترف شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت في عام ١٣٣٧ هـ ش بالمذهب الجعفري كمذهب فقهي رسمي إلى جانب المذاهب السنية الأخرى.

أما الإمام الخميني قدسُ ومن منطلق وعيه العميق بالشؤون السياسية والدولية، فقد أدّى دورًا أساسيًا في تحوّل الحوزات العلمية. فكان يؤكّد على الفقه الحيوي انطلاقًا من متطلبات العالم، وكان يعتقد بأنّ مبادئ الإسلام تمتلك القابلية على معالجة جميع المشكلات من مختلف الأبعاد.

بعد انتصار الثورة الإسلامية، أصبحت الأحكام الإسلامية نافذة ومطبقة على شكل قوانين في البلاد، وانتعشت المسائل الفقهية المرتبطة بالسياسة والحكم داخل الحوزة العلمية. هذا التحوّل البارز ترك آثارًا واسعة على جميع المجتمعات، لا سيما على الحوزات العلمية والجامعات.

وقد اعتبرت المراكز العلمية الغربية هذه الثورة العلمية والمعرفية ذات أهمية كبرى، فجعلت من الإسلام العلمي موضوعًا لدراساتها، واعتبرت الإسلام متميزًا عن باقي الأديان. كما أدّت نهضة الإمام إلى بروز مفكرين كبار قدّموا آثارًا قيّمة للغاية.

وبعد رحيل الإمام جليله، واصل تلميذه ووصيه

والحمد لله، فإن المنتفعين من هذه الحوزة قد أدوا واجبهم، ونقلوا رسالة هذه الحوزة إلى شتى أنحاء العالم. ومما لا شك فيه أنَّ هذه الحوزة قد أثَّرت تأثيراً عميقاً في أوساط المفكرين والشعوب الأخرى.

واليوم، في جميع الأوساط العلمية، قد استؤنفت مجدداً مناقشة الدين كخطاب، وهذه من أهم إنجازات حوزة قم العلمية. لقد أدركت الثقافات الأخرى فراغها الروحي، وبدأت بمراجعة ذاتها.

أهم أبعاد العلاقة بين حوزة قم العلمية والمفكرين والشعوب، هي الاجتماعات السنوية التي يلتقي فيها الشخصيات من أنحاء العالم الإسلامي كل عام في أسبوع الوحدة أو في مناسبات أخرى، فيتبادلون وجهات النظر بشأن قضايا العالم الإسلامي، ويفكرون معاً لإيجاد الحلول لها.

اقتراحات لتطوير أداء الحوزة العلمية في قم

- التعاون المفيد والمستمر مع المراكز التعليمية العالمية، مثل البرامج المشتركة والمبادرات البحثية
- إنشاء برامج ومشاريع بحثية وورشات عمل مشتركة لتبادل الموارد والتخصصات
- التنسيق مع مراكز تعليمية أخرى في العالم لتطوير المناهج الدراسية
- تسهيل وصول جميع الراغبين في معارف أهل البيت (عليه السلام) في العالم إلى المختبرات والمكتبات وغيرها من الموارد لزيادة فرص التعلم
- إطلاق مجالات علمية وبحثية في دول أخرى
- كذلك إنشاء كرسيات للتنظير
- تشجيع تبادل الأساتذة والطلاب لرفع التنوع وتوسيع الآفاق
- المشاركة في برامج تعالج التحديات الاجتماعية والتعليمية
- تعزيز التفاعل مع علماء الدول الأخرى

- زيادة التعاون البحثي مع المراكز العلمية الإسلامية في الدول الأخرى
- التعاون مع الباحثين لإجراء بحوث ومنشورات متعددة التخصصات
- عقد مؤتمرات وندوات دولية تستضيف وتشارك في فعاليات تجمع العلماء للحوار الفكري
- استخدام المنصات الرقمية لعقد الويبنارات والمحاضرات عبر الإنترنت والمؤتمرات الافتراضية
- الحفاظ على اتصال وثيق مع الخريجين
- جذب الخريجين غير الإيرانيين
- جمع الدعم المالي وإنشاء علاقات مع الخريجين لدعم المنح الدراسية والوقفات
- تنظيم لقاءات الخريجين، الويبنارات، والاجتماعات الأخرى للحفاظ على الروابط وتقويتها
- توفير فرص دراسية
- تحديثات منتظمة عبر النشرات البريدية والبريد الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي لإطلاع الأطراف المعنية على أخبار وإنجازات وفرص الحوزة
- إنشاء بوابات إلكترونية مركزية للتعاون والتواصل المتكامل
- الاستفادة من الخبرات الجماعية لمعالجة التحديات الوطنية والعالمية
- بناء ثقافة الابتكار من خلال الموارد والأفكار والتجارب المشتركة
- إحياء اللغة الفارسية في الدول الإسلامية وتنظيم التفاعل بين اللغة الفارسية واللغات الأخرى.

محاضرات



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على
جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى الأئمة
الهداة المهديين، وفاطمة الزهراء سلام الله
عليها وعليهم أجمعين. بهم تتوَلَّى، ومن
أعدائهم تنبَرَأ إلى الله.

أُحيي حضوركم الكريم من العلماء،
والنخب، والمثقفين، والباحثين من داخل
البلاد وخارجها، وأعلام النجف الأشرف
الذين قدّموا على مدى عشرة قرون هذا
الكوثر العلمي إلى العالم الإسلامي، كما
أكرم كل من شرفنا بحضوره في هذا
المحفل النوراني من قريب أو بعيد.

أتوجّه بالشكر إلى العلماء والمفكرين في
قم المقدسة الذين سعوا في تكريم وتعريف

وتبيين آثار سماحة آية الله العظمى الحائري
ومؤلفاته وتلامذته، وقاموا بطباعتها.

وأشكر كبار الحوزة العلمية في هذا
العصر الذين سعوا في تأسيس هذا المؤتمر
الثقافي العظيم، كما أتقدم بالشكر والعرفان
إلى قائد الثورة الإسلامية الذي أرسل كلمة
توجيهية قيمة إلى هذا الملتقى.

وأعبر عن تقديري القلبي للمراجع
العظام الذين أغنوا هذا المؤتمر ببركة
كلماتهم ورسائلهم.

وفي الختام، أكرر شكري وامتناني
لحضور كل واحد منكم، أيها الأعزّاء.

السؤال الجوهرى: من هو مؤسس
الحوزة؟

ولكن ينبغي أن نطرح هذا السؤال: ما
هو الذي يُمكنه أن يؤسس للإسلام حوزة؟

ومن هم الذين يمتلكون القدرة على تأسيس
الحوزة؟

**الحوزة ما هي؟ ومؤسس الحوزة
من هو؟**

إنّ الإسلام دينٌ سماويّ، وكتابه القرآن
الكريم هو دستوره الأعلى. وفي الخطبة
الثانية من نهج البلاغة، بيّن أمير المؤمنين
عليه السلام هذا الدستور بأنه قرآنٌ لا مثيل
له ولن يأتي له مثيل، وأهل البيت عليه السلام
هم المفسرون الحقيقيون له. "فأنزلوهم
بأحسن منازل القرآن". فإذا كان للقرآن
مراتب في المعرفة، والولاية، والعلم،
والعروج، ودرجات الجنة، فإنّ قيمة هذه
المراتب هم عليّ وأولاده عليه السلام.

وبالتالي القرآن، كتابٌ وأهل البيت عليه السلام
هم المفسرون المعصومون لهذا الكتاب.

• التعليم قبل التعلّم واجبٌ.

• لا تتكلّم ولا تُفَتِّ بما هو فوق علمك.

• العالم لا يكون مستودعاً ساكناً، بل يجب أن يكون نبغاً جارياً.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): "علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفريع". أي: نحن نُقدّم الأصول، وأنتم عليكم أن تجتهدوا وتُبدعوا.

صفات المؤسّسين الحقيقيّين للحوزة

من كان أمينَ الله، يمكنه أن يتحمّل عبء تأسيس الحوزة. كاشف الغطاء، المحقّق الخوانساري، آية الله العظمى الحائري، الإمام الخميني قدس... جميعهم ساروا في هذه الطريق.

قال الإمام الخميني قدس: "والله، لم أخف أبداً في حياتي". فالموّحد الخالص لا يخشى أحداً سوى الله.

وقد قام الشيخ الحائري بحكمةٍ وتدبيرٍ يأنقاز الحوزة حين كان بقاء الحوزة في خطر. لكن لم يواجه رضاخان مواجهةً صريحة، بل مارس سياسةً وحافظ بها على جذور الحوزة من الاقتلاع.

واليوم إذا كنا نملك ما نملك، فببركة أولئك العظام، الذين سلّموا كتاب الله وعترته أهل البيت إلى المجتمع في أعلى المستوى.

ذكر العلماء والأمل في الخاتمة الحسنة:

وفي الختام، لا ننسى الأساتذة والعلماء الذين أناروا هذه الطريق بالتأليف، والتدريس، والشرح، وكتابة التعليقات على آثار المرحوم الحائري.

كما نُعبّر عن شكرنا لعلماء العراق، ولأسر المراجع الكرام، وللضيوف الكرام من الدول المختلفة الذين شرفونا بحضورهم.

ونسأل الله أن يكون حشرنا وحشرهم مع عليّ وأولاد علي (عليه السلام).

غفر الله لنا ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من الذين يملكون أهلية تأسيس الحوزة؟

إنّ من يستطيع أن يدير حوزةً علمية عظيمة كحوزة النجف التي تمتد لألف سنة، أو ققم المُعاد تأسيسها، لا بدّ أن يكون: حافظاً للقرآن، تلميذاً لأهل البيت (عليهم السلام)، ومتمتّعاً بالعقل، والعلم، والبصيرة.

وفي الرواية المعروفة، سأل ابنُ السكّيت الإمام الرضا (عليه السلام): "ما حجة الله على خلقه في هذا الزمان؟". فأجاب الإمام (عليه السلام): "العقل، العقل، العقل". فقال ابن السكّيت: "هذا هو الجواب".

من بين الكتب الأربعة، يُعتبر كتاب الكافي ذا مكانةٍ خاصّة. وفي مقدّمة الكتاب، كتب الشيخ الكليني: "إنّ سبب بدء الكتاب بباب العقل والجهل، هو أنّ قطب الثقافة الإسلامية هو العقل".

فالعقل، إذا كان حيّاً وفعّالاً: يحفظ القرآن، ويعرف العترة، ويُقيم حوزات علمية كحوزتي النجف وقم. أمّا إذا تعطلّ العقل وساد الجهل، فلا يمكن تأسيس الحوزة، ولا حفظ الدين.

القرآن، كتاب حي وجاري

قال الله تعالى: "وعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون". (بالفعل المضارع، وهو يفيد الاستمرار). أي أنّ القرآن دائماً يحمل رسائل جديدة، ويتحدّث بأقوالٍ حديثة. وإذا أراد المجتمع الإسلامي أن يكون رجل الميدان، فعليه أن يغوص في بحر الوحي.

وفي القرآن لا نقرأ فقط: "علّمك" فحسب، بل نقرأ أيضاً: "ما لم تكن تعلم" - أي: علّمك ما لا يمكن أن تتعلّمه من غيره. وهذا يُحمّل أهل الحوزة مسؤولية عظيمة: يجب أن يكونوا يناعي، لا مجرّد أحواض؛ أن يُبدعوا، لا أن يُكرّروا المحفوظات.

كلام الإمام الصادق (عليه السلام)

في المصادر الروائية للشيعة، وخصوصاً في كلمات الإمام الصادق (عليه السلام)، ورد ما يلي:

• طلب العلم واجبٌ.

آية الله العظمى السبحاني: الحاج الشيخ الحائري.. قراءة معاصرة لرجل أدرك زمانه



العلمية الشيعية: أسست أول حوزة للحديث والفقه في المدينة بعد النبي الأكرم ﷺ، وكانت حتى واقعة فخ مركزاً لتربية علماء كبار مثل عبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود. ومع ظهور المروانيين، تراجع هذا الازدهار، لكنه عاد في عصر الإمام الباقر ﷺ والإمام الصادق ﷺ، وتابع طلابهما هذا المسار.

وتابع آية الله السبحاني: "الحوزة الثانية تأسست في مسجد الكوفة، حيث كان تلامذة الإمام الباقر ﷺ والإمام الصادق ﷺ يدرّسون الفقه والحديث. وبعد ذلك، ومع انتقال الإمام الرضا ﷺ قسراً إلى خراسان، أسست الحوزة الشيعية الثالثة في هذه المنطقة، والتي لعبت دوراً مهماً في نشر المعارف الإسلامية.

واعتبر سماحته الحوزة العلمية في قم امتداداً لهذا المسار النوراني، مبيّناً: منذ دخول الأشعرين إلى قم، أصبحت هذه المدينة إحدى أهم القواعد العلمية والفقهية للشيعية. وكان من بين كبار علمائها

خاص الاجتهاد: ضمن استعراضه للمسار التاريخي لتشكيل حوزات الفقه والحديث، انطلاقاً من المدينة المنورة وصولاً إلى قم، صرح المرجع الديني آية الله الشيخ جعفر السبحاني بأن المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي كان المصدق الأبرز لمقولة "العالم بزمانه"، وأنه بفضل معرفته الدقيقة بعصره واحتياجاته، قام بتأسيس الحوزة العلمية في قم.

في كلمة ألقاها عصر اليوم خلال المؤتمر الدولي بمناسبة الذكرى المئوية لإعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، والذي أقيم في مدرسة الإمام الكاظم ﷺ العلمية، أشار آية الله العظمى جعفر السبحاني إلى حديث "العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس"، قائلاً: هذه الرواية تشير إلى الصفة البارزة للعلماء والمجتهدين العارفين بأحوال زمانهم، وآية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي كان مصداقاً كاملاً لهذا الحديث الشريف.

وأضاف سماحته، مستعرضاً تاريخ الحوزات

وفي الختام، أشار آية الله السبحاني إلى الآثار العلمية للمرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري رحمة الله عليه، ومنها كتاب الصلاة والأصول، قائلاً: كان المرحوم آية الله العظمى البروجردي يعتبر الحاج الشيخ عالماً ينقل أكبر قدر من المعارف بعبارات موجزة. كما أكد آية الله السيد محسن جبل عاملي في كتابه "أعيان الشيعة" على صفات الزهد والدقة ومعرفة الزمان لدى الحاج الشيخ، وكل هذه الصفات هي دروس قيمة لنا.

محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري، وأحمد بن أبي عبد الله البرقي.

وأشار آية الله السبحاني إلى فترة تراجع الحوزة في قم في القرن السابع الهجري بسبب الغزو المغولي، ثم إلى أسباب إحيائها في العصر الصفوي وازدهارها في القرن الحادي عشر بحضور شخصيات مثل الشيخ البهائي، والملا صدرا، والفيض الكاشاني، والفياض اللاهيجي.

واعتبر سماحته القرن الثالث عشر فترة تألق الميرزا القمي في قم، وعن القرن الرابع عشر قال: في هذا القرن، أدرك المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري بعمق احتياجات عصره، فأسس الحوزة العلمية في أراك، ثم أعاد تأسيس الحوزة العلمية في قم بدعوة من علمائها.

وأضاف: أظهر الحاج الشيخ، بتجنبه الانحيازات الحزبية في فترة المشروطة، أن همه الوحيد هو الحفاظ على الحوزة وتربية علماء الدين. وكان يعتقد أنه في ظل الاضطرابات السياسية، يجب الحفاظ على حصن الدين والمرجعية من خلال تربية العلماء والمبلغين.





المؤتمر الدولي بمناسبة الذكرى المئوية لإعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، وتكريماً لشخصية عظيمة مثل سماحة آية الله العظمى الحائري.

ولا يفوتني أن أعبر عن بالغ امتناني للضيوف الكرام الذين وفدوا من بلدان متعددة إلى هذا المحفل النوراني، مرحباً بكل واحد منهم.

رسالة القائد؛ الميثاق الثاني للحوزات

في هذا الجمع المبارك، ينبغي أن تُعتبر رسالة قائد الثورة الإسلامية بحق، الميثاق الثاني للحوزات العلمية بعد رسالة الإمام الخميني قدس. فهذه الرسالة مليئة بالنقاط القيمة والرؤى الاستراتيجية، وهي كنز ثمين لأعوام طويلة، ليس فقط لحوزة قم، بل لجميع الحوزات العلمية.

لم يتحدث القائد الحكيم للثورة من موقع القيادة فقط، بل كناظر بصير ومتيقظ، راقب بدقة ووعي حاجات الحوزات، ولم يكتفِ بعرض المشكلات، بل قدّم حلولاً عملية لكل قضية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الهداة المعصومين.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): "علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا."

قبل الشروع في الكلام، أرى من الواجب أن أقدم أصدق التهاني والتبريكات، بتواضع ومحبة، إلى مقامكم الكريم من العلماء والفضلاء والآيات والحجج، بمناسبة ولادة الإمام الرؤوف، علي بن موسى الرضا (عليه آلاف التحية والثناء). وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لجميع العلماء والحاضرات الكريمات من الأخوات المثقفات المشاركات في هذا المجلس المبارك. كما أخص بالشكر سماحة مدير الحوزات العلمية وأعضاء المجلس الأعلى للحوزة، على تنظيم هذا

وفي الفترة الحرجة التي سعد فيها الدكاتور رضاخان، اجتمع عدد من العلماء وقالوا: لا بد من تعيين شخصية مرموقة لقيادة الحوزة. وبعد دراسة أسماء ثلاثة من العلماء، استقر رأيهم على الحاج الشيخ الحائري، بناءً على صفاته المميزة.

الخصائص البارزة للحاج الشيخ عبد الكريم الحائري

١. الورع والتقوى:

كان أكثر زهدًا وورعًا من غيره؛ ليس لأن الآخرين لا يمتلكون هذه الصفات، بل لأنها كانت أشد وضوحًا في شخصه.

٢. ثقة الكبار به:

كان من تلامذة الميرزا الشيرازي (صاحب فتوى التنبك) والشيخ فضل الله النوري، وكان محلّ ثقتهم.

٣. التفوّق العلمي:

تألّق سماحته في سامراء وكربلاء والنجف، وكان قبل مغادرته العراق معروفًا بين علماء إيران والعراق كشخصية علمية موثوقة.

٤. الخبرة في إدارة الحوزة:

قبل قدومه إلى إيران، تولّى إدارة الحوزة في العراق بديارته وتجربته، وكان له أداء ناجح في مجال الإدارة العلمية.

٥. البصيرة السياسية والاجتماعية:

رغم ما زعمه بعض المؤرخين، لم يكن الحاج الشيخ مَهْمَلًا للسياسة، بل كان يدرك بعمق الواقع السياسي والاجتماعي. وكان متألمًا للغاية من تدخل الأجانب في شؤون البلاد، ويرى أن العلماء هم من حملوا عبء الثورة الدستورية، لكن الأجانب سرقوا ثمارها.

٦. التواضع والشعبية:

بساطته وتواضعه وتواضله القريب من عامة الناس كانت تشكل صفة أخرى من صفاته. كان أحيانًا يحمل عباءته تحت إبطه ويمشي في الشوارع كطالب علم عادي، لا يُعرف أنه مرجع تقليد أم مجرد طالب. وهذا درس عملي لنا في التواضع والزهد.

خاتمة الكلام

احترامًا لمقام الأستاذ الجليل، أختصر حديثي هنا، رغم أن في البال الكثير مما يُقال، لكننا الآن نجلس لننهل من بياض المبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نجد في سطور هذه الرسالة عرضًا شاملاً لتاريخ تأسيس الحوزة وإعادة إحيائها، إضافة إلى بيان التحديات المعاصرة التي تواجه الحوزة والمجتمع الديني، وكذلك أساليب التفاعل مع الدولة الإسلامية والجامعة الحديثة. من القضايا المحورية التي تناولتها الرسالة، مسؤولية الحوزات في التصدي للشبهات الداخلية والخارجية، وهذا يتطلب دورًا مختلفًا عما كانت عليه الحوزة قبل مئة عام.

الدور التاريخي للحاج الشيخ في صحة الحوزة

ما قام به المرحوم حاج الشيخ عبد الكريم الحائري، لم يكن مجرد عمل في نطاق العلم والأخلاق، بل شكّل تحولًا عظيمًا في مجالي السياسة والمجتمع أيضًا. ولو تأملنا بدقة، لرأينا أن ما يجري اليوم في نظام الجمهورية الإسلامية إنما هو انعكاس مصغّر لتلك الجهود والجهادات التي خاضها الحاج الشيخ في عصره.

قال قائد الثورة الإسلامية: "هذه الثورة هي ثمرة حركة الحاج الشيخ".

كما قال الإمام الخميني قدس سره: "إعادة تأسيس الحوزة على يد الحاج الشيخ لم تكن أقل شأنًا من تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية".

حتى رضاخان الطاغية نفسه اعترف قائلاً: "استطعت أن أخضع الجميع، لكنني لم أتمكن من التغلب على شيخ قم". وهذا لم يكن إلا ثمرة لبصيرته ودرايته وتدبيره العميقة؛ فقد حال دون اقتلاع جذور الحوزة العلمية في قم. ولو لم يصمد، لما بقيت اليوم أي معالم للحوزة.

العلماء؛ مرابطو الإيمان

وكما ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): "علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته".

أي أن العلماء الربانيين يقفون في مواقع الحراسة والمراقبة، يمنعون إبليس وجنوده من النفوذ إلى قلوب المؤمنين الشيعة.

لقد كان الحاج الشيخ، مُحِيًّا وبصيرا ومرباطا على ثغر الإيمان لإعادة تأسيس الحوزة في قم قبل مئة عام، لم تكن إلا امتدادًا لجذور تمتد إلى عصر الأئمة (عليهم السلام). فقد تألّق الأشعريون، والشيخ الميرزا القمي، وسائر الأعلام في هذه الديار، لكن عوامل التاريخ وتقلباته أوقعت الحوزة أحيانًا في حالات من الركود والانكماش.



اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون. ثم الصلاة والسلام على أفضل بريته و خاتم رسله، العبد الخالص المؤيد، سيدنا أبي القاسم المصطفى محمد (اللهم صل على محمد و آل محمد و عجل فرجهم)، و على آله الطيبين الطاهرين المعصومين، لاسيما بقية الله في الأرضين، أرواحنا له الفداء، و عجل الله تعالى فرجه الشريف، و اللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

أبارك أيام العشرة الكريمة المباركة، التي تعود إلى وليين عظيمين من أولياء الله تعالى: الإمام الثامن، علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وشقيقته الكريمة السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)، لجميع شيعتهما ومحبيهما، ولكم أنتم الأعزاء.

حقاً، بعد كلمات المراجع العظام، وسماحة قائد الثورة الإسلامية، واليوم أيضاً بعد تصريحات المرجع الأعلى آية الله العظمى سبحاني (دامت ظلته)، لا يبقى لي ما أقول؛ ولكن بناءً

على أمره، أقدم إليكم بعض النقاط التي ستكون إن شاء الله مختصرة.

من الأمور التي يطرحها المؤرخون والباحثون في تاريخ الإسلام، والتي تؤكدتها التجربة، هي أن الإسلام "محمديّ الحدوث وحسينيّ البقاء".^١ لأنه إذا بقي الإسلام ولم يحذف من ساحة التاريخ أمام مؤامرات الأعداء وأهل الجهل والعداء، فذلك بفضل جهاد سيد الشهداء (أرواحنا له الفداء) وسائر الأئمة الأطهار (عليهم السلام). ويبدو أنه يمكن إضافة جزء ثالثة لهذه العبارة، وهي: "وفي عصر الغيبة، الإسلام حوزويّ البقاء". حيث إن استمرار الإسلام وانتشاره، بحمد الله، في عصر الغيبة، إنما هو ببركة العلماء والباحثين والمبلغين والمدافعين عن الدين والمراجع العظام. ورغم أن نشأة الحوزات العلمية تعود إلى عصر ما قبل الغيبة، فإننا إذا تأملنا في حوزة الإمام الصادق (عليه السلام)، وراجعنا ما ورد في كتب التاريخ مثل "رجال الكشي"، سندرك أنه (عليه السلام) أسس حوزة واسعة وشاملة.

ولم يقتصر الإمام على الفقه، بل ربّى تلامذة في

دقيق لكتاب "الكافي"، أو الموقف الصارم الذي اتخذته الإمام الراحل قدسُ حيال تصرف غير مناسب لطالب علم شاب، بعد أن رأى مضرًا بكيان الحوزة.

وهذه الصيانة تشمل أيضًا مواجهة الانحرافات الفكرية، كأن يُصدر شخص فتوى متساهلة في موضوع الإنجاب تتجاهل الحدود الشرعية بما يُضعف الأسس الدينية، فيجب مواجهته، لأن مثل هذه الانحرافات تتسلل تدريجيًا إلى الحوزة وتصبح خطيرة.

إن كلمات سماحة قائد الثورة في بيانه الأخير تُعدُّ بحق بيانًا استراتيجيًا للحوزات العلمية في عالم التشيع بأسره، ويجب دراسة كل فقراته بدقة وإمعان، تمامًا كما يُدرس القانون وتوضع له اللوائح التنفيذية.

والأمر المهم الآخر في كلماته هو أهمية مراعاة الزمان والمكان في الاجتهاد. فبعض من لا يدركون عمق الفقه يتوهمون أن تتغير الزمان والمكان يغير الأحكام الإلهية، في حين أن حلال محمد (ص) حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة. فالذي يتسبب في تغيير الأحكام هو تغيير الموضوعات وليس مجرد مضي الزمن.

اليوم، تواجه البشرية قضايا مستحدثة، ومجلس صيانة الدستور يعالج مسائل لم تُطرح في الفقه التقليدي. فيجب على الحوزات أن تكون قادرة على تلبية هذه الحاجات. فلاشغال بالمباحث المطوّلة وعديم الفائدة التي لا تحل مشاكل الناس لا يمكن أن تتماشى مع نية القرب إلى الله. وقد أشار سماحة القائد مرارًا إلى أن نشر المؤلفات الضخمة بلا داع لا فائدة فيه.

وفي الختام، نسأل الله تعالى أن يمنّ على العلماء والأساتذة وأعضاء المجلس الأعلى ومدراء الحوزات العلمية، بالتوفيق لخدمة خالصة وصادقة، لفهم هذا الميثاق المبارك وتنفيذه بصورة صحيحة.

وفي النهاية، ورد عن المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري (رضوان الله عليه) أنه في أواخر عمره الشريف، حين سُئل عن سبب حزنه، قال: "لستُ قلقًا من الديون، بل قلقي من أن يسألني الله: كان لك من الواجهة بين الناس ما يكفي لتقترض أكثر وتفتقه على الحوزة، فلماذا لم تفعل؟"

هكذا كان كبار علمائنا، لا يعيشون إلا لله وحده.

والحمد لله رب العالمين

الأدب، والكلام، وغيرهما من العلوم. فكان يحيل في المسائل الأدبية إلى أبان بن تغلب، الذي كان يناظر الخصوم ويهرهم، وفي الفقه إلى زرارة، وفي الكلام إلى هشام، وفي كل علم إلى تلاميذه المختصين.

ولولا هذه الحوزات، لاندثرت آثار النبوة، كما جاء في الرواية: "لولا هؤلاء لاندثرت آثار النبوة"، والمقصود من هؤلاء، أمثال زرارة ومحمد بن مسلم. كما ورد في موضع آخر: "لولا زرارة لاندثرت آثار وأحاديث أبي"، يعني أحاديث الإمام الباقر (عليه السلام). وهذا يبيّن واجب الحوزات العلمية من ذلك العصر إلى عصرنا هذا، بل حتى عصر ظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نقول بكل يقين واطمئنان: إن الإسلام حوزويّ البقاء، كما أنه محمديّ الحدوث وحسينيّ البقاء. واستمرار الإسلام اليوم مرهون ببقاء الحوزات العلمية وصمودها.

وهذه الحقيقة تفرض علينا واجبين مهمين:

١. الارتقاء بالحوزات وتطويرها بما يتناسب مع حاجات مجتمع في حالة التقدّم. فالإسلام دين كامل وشامل، ولديه حلول لكل قضايا الإنسان، وهذه المهمة تقع على عاتق الحوزات التي يجب أن تتقدّم بعزم راسخ في هذا الطريق.

٢. صيانة الحوزات العلمية؛ فقد كانت الحوزة دومًا عرضة للتهديدات الداخلية والخارجية ويجب أن تكون يقظة. كما جاء في الرواية الشريفة: "شيعتنا لهم عينان في الرأس وعينان في القلب". فبعبون القلب يجب إدراك الخفايا والتفكير في معالجتها.

وقد كان كبار علمائنا هكذا في التاريخ. فمثلاً، أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي نفى العالم الكبير أحمد بن محمد بن خالد البرقي صيانةً للحوزة، ذلك على الرغم من خطئه في التشخيص وتداركه بمشاركته في جنازته وتكريمه، إلا أن أصل الحرص على صيانة الحوزة مبدأً ثمين.

وفي العصور اللاحقة، تصدى أمثال الوحيد البهبهاني قدسُ للتيار الأخباري حين رآه يشكل تهديدًا للفهم الصحيح للدين، فكان يناقش الأخباريين حتى السحر.

وفي عصرنا أيضًا، هناك أمثلة عديدة، مثل ما قام به المرحوم آية الله العظمى الكلبايكاني من منع اختصار غير



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مع أنّ لغتي الأم هي العربية، إلّا أنّ لي معرفة باللغة الفارسية أيضاً، فقد عشتُ سنوات في هذا البلد، وعلى أيّ حال أتكلّم بالفارسية، وإن كانت فارسيّتي ضعيفة وتعاني من كثير من النواقص والقصور. فأعتذرُ سلفاً من الحضور الكرام عن هذا الضعف اللغوي.

مع خالص التحية والتقدير لجميع الحاضرين، ولا سيما سماحة آية الله جوادي آملي الذي شرف هذا المجلس بحضوره المبارك، أود أن أدلي بكلمات يسيرة. وسأحاول ألاّ تتجاوز كلمتي عشر دقائق، وإن طالت، أرجو أن تُبْهوني، وسأقبلُ ذلك بكل سرور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

لقد تفضّل المتحدّثون قبلي بإيراد الكثير من النقاط وقد استوفوا الكلام ولم يتركوا مجالاً للحديث، ومع ذلك أود أن أتأول - بإيجاز - سرّ نجاح المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري (رضوان الله عليه).

إذا أردنا أن نتّخذة قدوة لنا، فلا بدّ أن نحدّد العوامل التي أدّت إلى نجاحه، لكي نقنّدي بسيرته ومسيرته العظيمة. ومن وجهة نظري، فإن هناك أربعة أسرار رئيسية لنجاحه:

١. الارتباط بالله تعالى

أول وأهمّ عامل هو علاقته العميقة والدائمة مع الله سبحانه وتعالى.

علينا أن نتعلّم من سماحته كيفيّة بناء هذا الارتباط، وأن نربّي أنفسنا تربيةً إلهيّة، روحية، معنويّة، في طريق التكامل إلى الله. فبدون الارتباط بالله، لا قيمة لأيّ فضيلة أخرى، ولا يمكن إنجاز أي عمل دائم أو مؤثّر. وهذا الأصل هو أهمّ أسرار النجاح في الطريق الإلهي.

عصره فحسب، بل كان يخطط لمئة سنة قادمة. وأعتقد أنه عند تأسيسه للحوزة، كان يرى مستقبلاً مشرقاً لها، ولهذا أسس حوزة تكون نافعة ومؤثرة ليس في زمنه فحسب، بل للأجيال القادمة أيضاً. وفي الختام، لا بد من التنويه إلى نقطتين:

أولاً: نسيث في بداية كلمتي أن أذكر اسم الإمام الراحل، سماحة الإمام الخميني (رضوان الله عليه). إن استمرار وازدهار الحوزة العلمية في قم إنما هو بفضل همة ذلك الإمام العظيم وله فضل كبير على جميع الشيعة في العالم.

ثانياً: في عصرنا هذا، أدى سماحة القائد الأعلى، الإمام الخامنئي دام ظلّه دوراً بالغ الأهمية في صون الحوزة العلمية وتقويتها. وقد أظهرت رسالته الأخيرة بوضوح أنه، من خلال توجيهاته العميقة ونظريته الاستراتيجية، قد حفظ الحوزة من الانحراف.

نسأل الله تعالى أن يحفظ هذه الطريق المبارك مستقبلاً ببركة إرشادات سماحة القائد، وأن تستمر ميزات الحوزة العلمية في الأجيال القادمة أيضاً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢. الإخلاص، والطهارة، والورع، والتقوى

السّر الثاني هو إخلاصه العملي ونقاؤه وتقواه. وأقول بكل صراحة وتواضع: إنني لا أجِد في نفسي حتى نصف ذلك الإخلاص والتقوى. ذلك النقاء والسموّ الروحي كان أساساً في رسوخ وتأثير حركته الإصلاحية.

٣. الهمة العالية

العامل الثالث هو همّته العالية. وقد قال الشاعر: ارفع همّتك، فإنّ رجال الدهر / إنّما بلغوا المراتب بعلوّ الهمم.

لقد كان يحمل في قلبه إرادة الأعمال العظيمة، وكانت هذه الهمة العالية هي مفتاح انطلاقاته الكبرى. ومن لا يملك همة عالية، لا يستطيع إنجاز أعمال عظيمة. ولذلك، إن أردنا الاقتداء بالشيخ الحائري، يجب أن نربّي في أنفسنا إرادة وهمة الأعمال الكبيرة.

٤. بُعد النظر

السّر الرابع هو بعد نظره وتطلّعه إلى المستقبل. حين أسس الحوزة العلمية في قم، لم يكن يفكر في





مميزات مدينة قم المقدسة

أرى من اللازم في بداية حديثي في هذا الاجتماع العظيم لأهالي قم الأعزاء أن أتطرق إلى أهمية هذه المدينة لنا وللمجتمع الإسلامي، وإن كان بينكم الكثير ممن يقف على أهمية هذه المدينة، لكن يلزم التصريح بذلك في هذه الفرصة المتاحة.

إنّ إحدى الخصوصيات المهمة لهذه المدينة العزيزة، هي أنّها بُنيت حول مرقد شريف لإحدى النساء المنتجبات من آل البيت عليه السلام وهي السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وإن كان ماضي هذه المدينة يرجع إلى أبعد من هذا، إلا أنّ هذه المدينة معروفة طوال الإثني عشر قرناً الماضية بالمدينة المحتضنة لمرقد بنت موسى بن جعفر عليه السلام. وهذه ميزة مهمة.

وهناك ميزة أخرى لهذه المدينة المقدسة علاوة على الميزة المذكورة، وهي وجود قبور المئات

من العلماء الكبار والعظام والأولياء والمحدثين والشخصيات الإسلامية الفدّة.

هاتان ميزتان قيمتان، لكنهما لا تنحصران بمدينة قم، فهناك مدن أخرى في إيران أو في سائر البلدان الإسلامية تتمتع بميزات شبيهة لهاتين الميزتين، إلا أنّ لمدينة قم مميزات منحصرة فيها، لا تشاركها فيها أية مدينة أخرى:

إحداها هي الماضي الطويل أي (١٢٠٠ عاماً) أو أكثر، لا تباعها وارتباطها بأهل البيت عليهم السلام. فقم كانت تُعرف بمدينة أهل البيت عليهم السلام دوماً، ولا أعلم مدينة أخرى بهذه الميزة. نعم كانت بعض المدن كالكوكة والمدينة المنورة مرتبطتان بأهل البيت عليهم السلام قبل قم، إلا أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام سلبوا منهما هذه الميزة. أمّا مدينة قم، فقد اشتهرت في العالم الإسلامي - منذ أن أسس فيها الأشعريون

الأعظم، وكان الأهالي والشباب والتجار والمتقنون وطلبة المدارس في مدينة قم أول من بايعه، وتضامن مع الحوزات العلمية، لقد تحمّل أهالي قم عام ١٣٤١ هـ. ش [١٩٦٢م] الكثير من المشاق في سبيل الثورة.

كذلك في عام ١٣٤٢ هـ. ش [١٩٦٣م] عندما فرض عملاء النظام الملكي يارعا بهم الناس حظر التجول في هذا الصحن الشريف والمدرسة الفيزية وساحة "الآستانة" [ساحة الروضة الشريفة] وشارع "إرم"، وضربوا المعممين بهدف قتلهم إن وجدوهم في الشوارع، وأطلقوا النار على من يدافع عنهم. ففي ذلك اليوم مدّ أهالي قم يد الأخوة والبطولة إلى الحوزة العلمية ودافعوا عن الإمام العظيم الراحل وعن الثورة.

والثانية: عام ١٣٥٦ هـ. ش [١٩٧٧م] حيث بدأ القميون التحرك والكفاح العام للشعب الإيراني ضد النظام البهلوي العميل والفساد، وسقط أول شهداء الثورة في شوارع "جهارمردان" و"إرم" و"صفائية" وفي ساحة "الآستانة"، وكان أول أب وأم للشهداء من أهالي هذه المدينة الذين وثّقوا وحدثهم وأخوتهم مع الحوزة العلمية.

أيها الأعداء! يا شباب قم! أيها الرجال والنساء المؤمنون والثوريون في عش أهل البيت (عليهم السلام) وحرم الولاية، إنني أود اليوم أن ألقى نظرة على الثورة التي أنتم أهلها، وأقوم بتقييمها منذ الانتصار حتى يومنا هذا، ومن اليوم فصاعدًا. إنّ الخيمة الرئيسية للحركة العظيمة للثورة الإسلامية مستقرّة هنا، لهذا فإن أنظار العالم متّجهة نحو قم. فأنصار الثورة والإسلام يحبّون قم، والمستكبرون والظالمون والأشرار يعادوها ويقبّحون كل شيء فيها.

المصدر: دار الولاية للثقافة والإعلام

والمحدّثون والعلماء الكبار والأعيان أول حوزة علمية شيعية محضة - بأنّها مدينة أهل البيت (عليهم السلام). لهذا ترون هجرة الشخصيات من مناطق مختلفة في العالم الإسلامي إلى قم للتوطن فيها، فقد هاجر الكثير من تلامذة المحدثين المعروفين، ومن جملتهم تلامذة "يونس بن عبد الرحمن" و"إبراهيم بن هاشم" من الكوفة إلى قم وتوطنوا فيها، وإن كان فيها الكثير من المحدثين قبل أن يهاجر هؤلاء إليها، فهؤلاء ليسوا من مؤسّسي هذه الحوزة، بل انجذبوا إليها.

ولو ذهبنا أبعد من ذلك، فعندما توجه الإمام علي بن موسى الرضا (عليه آلاف التحية والثناء) في أواخر القرن الثاني الهجري نحو إيران وقصد خراسان، كانت قم معروفة بولائها لأهل البيت (عليهم السلام)، فهذه ميزة متجذرة ومختصة بأهالي قم طوال (١٢٠٠ عامًا)، والثقافة الإسلامية والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، ليست ظاهرة جديدة على هذه المدينة. إنّ ولّاء أهالي قم والعلماء وكذا الأمراء الذين حكموا هذه المدينة كآل صفي متجذّر على مدى إثني عشر قرنًا، أي منذ أن بُنيت إحدى معالم حقائق الإمامة والولاية في هذه المدينة وفاح عطرها في أرجاء العالم الإسلامي.

الميزة الثانية التي تخصّ هذه المدينة هي احتضانها لأكبر حوزة علمية شيعية طوال التاريخ، فلم تكن لدينا في أي بقعة من العالم وطوال تاريخ الحوزات العلمية الشيعية حوزة علمية أكبر من هذه الحوزة المباركة التي أسّسها المرحوم آية الله الحائري (رحمه الله)، وتعاظمت وعلا شأنها في عصر المرحوم آية الله العظمى البروجردي، ثم بلغت القمة ببركة الإمام العظيم والثورة الإسلامية العظمى.

والميزة الثالثة لهذه المدينة هي التحرك العظيم لأهالي قم من أجل الثورة، فالثورة ابتدأت في مقطعين تاريخيين:

الأولى: عام ١٣٤١ هـ. ش [١٩٦٢م] عندما نطق مدرس وعالم مجهول لدى جماهير الشعب ومبتعد عن المناصب الدينية، بكلمة الحق في المسجد

زکریا



جهوده. في رؤية الإمام، كان نمو حوزة قم وازدهارها عملاً صعباً ومعقداً بدأ بهمة آية الله الحائري. اعتبر الإمام جهود آية الله الحائري لتنمية التدين والحفاظ على الحوزة العلمية في عصر رضا شاه وفترة تصاعد السياسات الاستعمارية البريطانية مهمة للغاية، كما أكد على أن نهج آية الله العظمى الحائري منع السلطة من التعرض للحوزة العلمية؛ لأن آية الله الحائري كان يسعى للحفاظ على حدوده مع الحكومة حتى لا يلحق الضرر بإحدى الخطوط الحمراء لها، وهي ساحة الحوزة. ربما لهذا السبب قال الإمام الخميني قدس سره: "لو كان المرحوم الحاج الشيخ موجوداً الآن، لكان سيقوم بما قمت به، وتأسيس الحوزة العلمية في ذلك اليوم، من الناحية السياسية، لم يكن أقل من تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران اليوم".

الآفاق - كان الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره من كبار الفقهاء ومراجع التقليد الشيعية المعاصرين، وقد لعب دوراً مهماً في مؤسسة التشيع خلال فترة القمع في عهد رضا شاه، وكان من أكثر علماء الدين الشيعة المعاصرين تأثيراً وأبرزهم. ويعتبر علماء كبار مثل الإمام الخميني، وحجت كوه كمرى، وبافقي وغيرهم من تلاميذه البارزين.

هذا المقال هو استعراض موجز لوجهة نظر الإمام الخميني قدس سره حول مواقف وأنشطة آية الله العظمى الحائري قدس سره خلال فترة استبداد رضا شاه.

تأسيس الحوزة العلمية في ذلك اليوم لم يكن أقل أهمية من تأسيس الجمهورية الإسلامية

لقد أيد الإمام الخميني قدس سره دائماً مبادرة آية الله الحائري قدس سره لتأسيس الحوزة العلمية في قم وقدّر

لقد قدّر الإمام الخميني آية الله الحائري لحمايته للتشيع، وفي الوقت نفسه أكد أن الظروف والعصر الذي عاش فيه آية الله الحائري لم يسمح له بالنشاط السياسي.

عدم رغبة الشيخ عبد الكريم الحائري في رئاسة الحوزة

ينقل آية الله العظمى شبيري ذكرى عن الإمام الخميني رحمه الله حيث يقول: عندما نفى البريطانيون علماء العراق (السيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد النائيني رحمهما الله) إلى إيران في عام ١٣٤١هـ، قبل وصولهم إلى قم، أصر آية الله السيد محمد تقي الخونساري على الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله بتعطيل الدروس لبضعة أيام. لم يكن الحاج الشيخ راغباً في تعطيل الدروس وقال بكفاية تعطيل الدروس في يوم وصولهما فقط.

كان السيد محمد تقي يلحّ والحاج الشيخ يرفض. أخيراً قال السيد الخونساري للحاج الشيخ: "مولاي! الناس سيتركوك!"

حزن الحاج شيخ عند سماعه هذا الكلام وقال: "يا سيدي! هل تعتقد أنني أطمع بهذا المنصب أم أرغب في أن أصبح رئيساً؟ أشهد الله على أنني لو عشتُ في إحدى هذه القرى، لكان ذلك أحبّ إليّ من أن أتحمل مسؤولية الرئاسة. ليس لي أي رغبة في هذه الأمور."

شعر آية الله الخونساري بخجل شديد وقال: "لا يا مولاي! لم أقصد أن أكون وقحاً وأقول إن الناس سيتركوك. ما قصدته هو أن الناس سوف يبتعدون عن الدين وتضعف عقائدهم."

خطاب مكتوب من الإمام الخميني رحمته الله إلى الحاج الشيخ

الإمام الخميني رحمته الله في عام ١٣٠٩ش، بعد إتمام تعليقه على كتاب "فوائد الرضوية" للمرحوم القاضي سعيد القمي، كتب بياناً عبّر فيه عن الأوضاع المتردية

التي كانت سائدة في ذلك الزمان والظروف الصعبة التي كانت تحيط بالدين وأهل العلم، ورفع دعاءً مخلصاً لحفظ ورفعة أهل قم وزعامة الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري. وقد قال فيه:

"أنهي كتابة هذه الأوراق، وأنا أرى كيف يُحقّر الدين وأهله، ويُظلم أهل الشريعة، وتُنتهك حرمة الإسلام وكرامة القرآن علناً، وتُسن قوانين مخالفة للقرآن، وتُضيّق السبل على أهل العلم ويُجبرون على الهروب، ويُعتبر لباسهم لباس شهرة، ولا يجدون مكاناً للبقاء. أسأل الله أن يجعل مدينة قم لنا دار أمن وسرور، وأن يحفظها في عهد زعامة الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري من شرور الزمان."

مزاح آيت الله العظمى حائري رحمته الله مع الطلاب والناس

الإمام الخميني رحمته الله تناول في الباب الرابع من كتابه الشريف "الأربعون حديثاً" إحدى الرذائل الأخلاقية التي تُسمى "الكبر"، وأوصى بضرورة مجاهدة النفس الأمارة بالسوء. وقال في هذا السياق:

"إذا طلبت منك نفسك أن تتصدر المجلس أو تتفوق على أقرانك، فخالف رغبتها. وإذا شعرت بالتعالي عن مجالسة الفقراء والمساكين، فأذل نفسك وجالسهم، وشاركهم الطعام، وكن في صحبتهم، وامزح معهم. قد تحاول النفس إقناعك بحجة أنك صاحب مقام وعليك الحفاظ على مكانتك لترويج الشريعة، وأن مجالسة الفقراء تُضعف مكانتك في القلوب، وأن المزاح مع من هم أقل منك قد يُقلل من قدرك. اعلم أن كل هذا من مكائد الشيطان وفخاخ النفس."

الأستاذ الجليل، الفقيه الكبير، الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، الذي كانت له القيادة الكاملة والمرجعية التامة للشريعة من عام ١٣٤٠هـ إلى عام ١٣٥٥هـ، رأينا جميعاً سيرته العظيمة.

مع تخلص باسم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي

لطالما اعتبر الإمام الخميني خدمات
الدينية لآية الله العظمى الحائري مفيدة للغاية،
وفي قصيدة طويلة بعنوان "بهارية" تتعلق بتزامن
عيد النيروز والنصف من شعبان، أشار إلى مؤسس
الحوزة العلمية في قم في القرن الأخير، آية الله
الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، كممهد
للظهور.

ما يفهم من وجهة نظر الإمام الخميني حول
السياسات الدينية لآية الله الحائري هو أن
طريقة الإمام هي نفس طريقة آية الله الحائري؛
لكن أسلوب عمل الإمام اختلف قليلاً بسبب
التغيير في ظروف وأحوال الزمان.

🌟 المصدر: موقع "مئوية تأسيس
حوزة قم العلمية" الإلكتروني

كان يتناول طعامه مع خادمه، ويجلس على الأرض،
ويمزح مع طلابه الصغار بطريقة عجيبة. في أيام
مرضه الأخيرة، كان يخرج بعد صلاة المغرب دون
عباءته، وقد لف حول رأسه قطعة قماش بسيطة،
منتعلاً حذاءً عادياً، ويتجول في الأزقة. كان هذا يزيد
من مكانته في القلوب ولم ينقص من مقامه شيئاً.

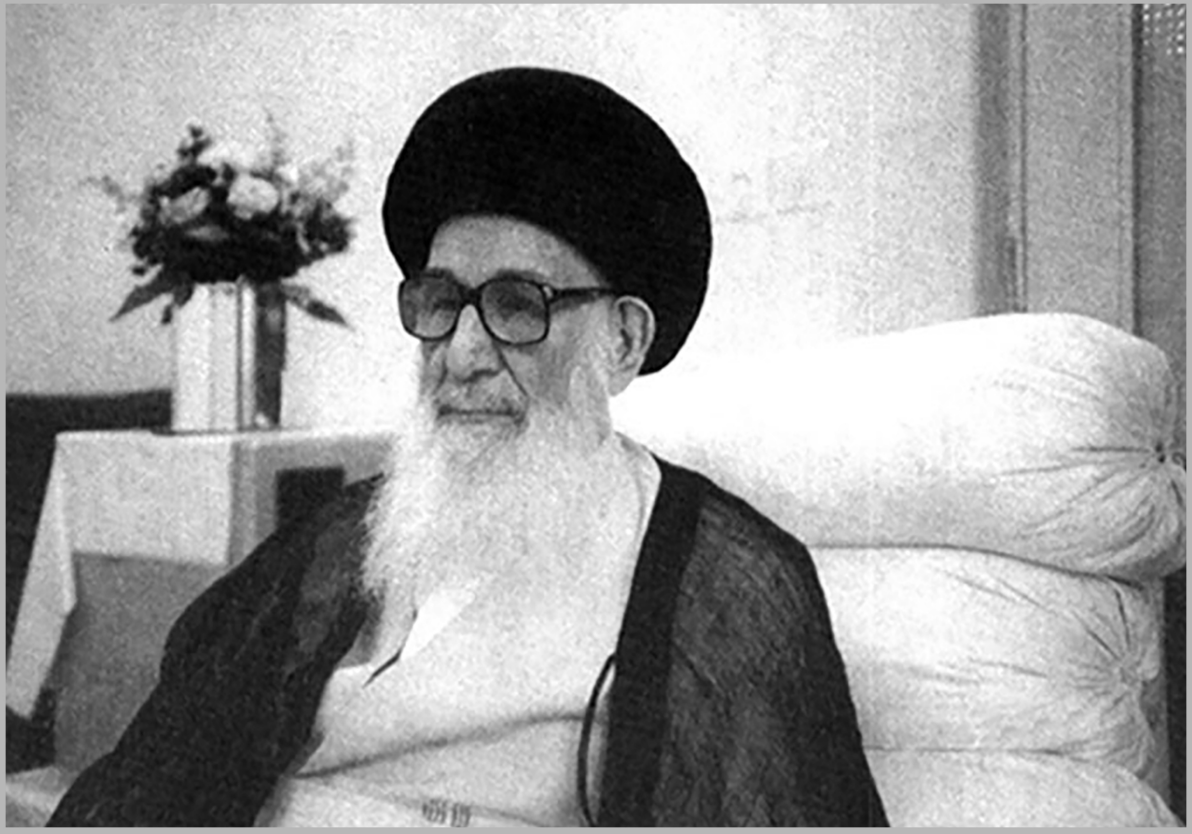
علاوة على ذلك، كان هناك علماء في قم،
محترمون وأحرار من القيود النفسانية، يشتركون
حاجياتهم بأنفسهم من السوق، ويجلبون الماء
لمنزلهم من الخزانات العامة، ويقومون بأعمال
منزلية بأنفسهم. كانوا يرون الجميع، سواء المتقدم أو
المتأخر، المتصدر أو غيره، بمنظار واحد. تواضعهم
كان مدهشاً للغاية، ومع ذلك كانت مقاماتهم
محفوظة، بل وكانت مكانتهم في القلوب ترتفع.

قصيدة "بهارية" في مدح الإمام المهدي



آية الله الحائري اليزدي يضع حجر الأساس لـ "مقبرة نو" في مدينة قم التي اشتهرت في ما بعد بـ "مقبرة الحاج الشيخ"

ذكرى ذكريات آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني عن الحاج الشيخ



في مدرسة الفيضية، رأيت في المنام شخصاً يقول لي: "من المقرر أن تحضر عند السيد فلان في منزله لتلقى صاحب الزمان عليه السلام". ثم جاءنا خبر أن حضور الإمام عليه السلام إلى منزل ذلك الشخص قد تأخر. لكنني سمعت صوتاً يقول: "يا سيد محمد رضا! قل للحاج ميرزا مهدي أن يُبلغ الشيخ عبد الكريم أنه: "ببركة دعاء الإمام المهدي عليه السلام، توجهت الأموال الشرعية إلى قم".

عندما استيقظت، ذهبت إلى الحاج ميرزا مهدي كما أوكل إلي، ورويت له الرؤيا. وكان من الأمور التي أثارت تساؤلنا في الرؤيا هو أنه لماذا نُعت الشيخ عبد الكريم بـ 'آقا الشيخ عبد الكريم' مع أنه قد حجَّ إلى مكة، بينما نُعت الحاج ميرزا مهدي بـ 'الحاج'؟!

ينقل آية الله العظمى الكلبايكاني رحمته الله قائلاً: عندما استقر الحاج الشيخ في قم، كتب إلى تلميذه آية الله الكلبايكاني رسالة يقول فيها: "تعال أنت أيضاً إلى قم، وإذا كان هناك خبز شعير فسنتقسمه سوياً، وإن شاء الله لن تمرَّ بأوقاتٍ صعبة". فاستجاب الشيخ الحائري وانتقل من أراك إلى قم.

عناية الإمام المهدي عليه السلام بالحوزات العلمية

روى آية الله العظمى الكلبايكاني رحمته الله: «ذات مرة في زمن الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله، تأخرت رواتب الطلاب الشهرية. فأولئك الذين لم تكن أحوالهم المعيشية جيدة بدأوا يتفرقون شيئاً فشيئاً من الحوزة، مما سبب حزناً وقلقاً للجميع. فتوسلتُ عندئذ إلى صاحب الزمان (أرواحنا فداءه)، واستغثت به لحل هذه المشكلة. فبينما كنت نائماً

الشيخ! ففي يوم من الأيام، كنا أنا وسبعة أو ثمانية من أصحاب الاستفتاء عنده في الدار، وكانت هناك بطيخة أمامنا. بينما كنا نأكل، أخبرنا بأن وفدًا من تبريز قد وصل. فقال بعضنا: "لنبعد البطيخة أولًا ثم يدخلون". فقال الحاج الشيخ: "أيظنون أننا ملائكة لا نأكل؟ لا، دعوهم يدخلون". فدخلوا، وعرض عليهم الأكل، ثم انصرفوا بعد اللقاء.

وكان سبب ذكر هذه القصة أن آية الله الكلبايكاني كان أمامه كوب كبير من خليط لسان الثور، وكان يعصر نصف نارنج صغير شبه ذابل ليضيفه إليه، بينما كان الناس يدخلون ويخرجون، ومن بينهم بعض أئمة الجمعة مع حرسهم. فقال أحد الحضور: "من الأفضل أن تشرب أولًا ثم تسمح للآخرين بالدخول." فتذكر قصة أستاذه المرحوم مؤسس الحوزة وروى هذه الواقعة.

السياسي البصير

قال آية الله العظمى الكلبايكاني رحمه الله في ١٧ ذي الحجة ١٤٠٤ هـ. ق: «حَلَّ عيد الفطر، وكان من المقرر أن يأتي الحاج الشيخ لإقامة الصلاة. حضر جمعٌ كبيرٌ من الناس بانتظاره، لكنه لم يأتِ، حتى تعب الناس وانصرفوا. وقبيل الظهر حضر وصلى مع من بقي. ولما سأله البعض عن تأخره، قال: "ألم يكن بإمكانني أن أعلن وأصلي بصوتٍ مرتفع مع جموع كبيرة؟ لكنني خشيت أن يسبب هذا مشاكل وخطرًا على الحوزة."».

الإخلاص واجتناب طلب الشهرة

كان الأستاذ الكبير آية الله العظمى الكلبايكاني رحمه الله يروي: "ذهب أحد علماء ساوة إلى الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله وقال: "لقد حولتُ أهل ساوة من تقليد آية الله المامقاني (من مراجع النجف) إلى تقليدك، والآن يقلدونك."

فغضب الحاج الشيخ عبد الكريم وقال: "لماذا

عندما ذهبنا إلى الحاج الشيخ، قال: "رؤياك من الرؤى الصادقة، لأن تاجرًا من مدينة مشهد قرر إرسال ألفي تومان شهريًا. أما سبب تسميتي بأقا الشيخ رغم أنني حجبت، فهو أن حجي كان نبيًا".».

فعليكم بالشيخ عبد الكريم

كان المرحوم آية الله الكلبايكاني يروي عن ضغوط تلك الفترة قائلا: "إنه في إحدى المرات، أرادوا أن يصطحبوا والدتي إلى منزل والدها الحاج ميرزا مهدي البروجردي، وفي السوق صادفوا شرطياً اعترض على أنها ترتدي العباءة. فغضب المرحوم الكلبايكاني وحدث شجار، فانتزع السلاح من يد الشرطي، الذي توسل إليه ليعيده إليه، فأعاده إليه.

وفي هذا الموقف، توسل المرحوم آية الله الكلبايكاني إلى صاحب الزمان عليه السلام وطلب منه المخرج. وفي المنام، جاءه مكتوب: "إذا ظهر عليكم البدع فعليكم بالشيخ عبد الكريم". وفي الصباح ذهب إلى الحاج الشيخ وأخبره بالرؤيا، فقال الحاج الشيخ بلهجته البيزدية: "إن كانت من الرؤى الصادقة، فيجب أن نسكت ونتحمل الأذى ولا نعترض". ولما سأله عن السبب، قال: "إذا قمنا بأي مبادرة احتجاجية، فسيقوم هؤلاء بإغلاق الحوزة، وإذا أغلقت فلن يكون من السهل إعادة فتحها".

ثم سأله المرحوم الكلبايكاني: "ألم تحج؟ فلماذا لم يُنادَ بك 'الحاج الشيخ' في الرؤيا؟" فأجاب: "لأن حجي كان نبيًا". وعلى أي حال، لم يتخذ الحاج الشيخ أي إجراء يمكن أن يفهم منه المواجهة، لكي لا يُعرض الحوزة للخطر".

الإخلاص وتجنب التظاهر

روى آية الله كريمي الجهرمي أن آية الله العظمى السيد محمد رضا كلبايكاني رحمه الله في يوم ٢١ جمادي الثانية ١٤٠٥ هـ. ق قال لمناسبة: "رحم الله الحاج

فعلت ذلك؟ هل وزنت علمي فوجدته أكثر من علمه ثم قمت بتحويلهم عنه إلي؟". فظل منزعجا وقلقا حتى طرح السيد الكلبيكاني مسألة علمية ليشغل باله عن الموضوع".

كما روى «أن امرأة من أهل ... كانت ذات ماضي سيئ، تابت وجاءت لتقدم مالا كثيرا كسبته من ذلك الطريق. فقال لها الحاج الشيخ: "توبتك مقبولة، لكنني لا أقبل هذا المال. خذيه إلى السيد أبي الحسن الإصفهاني في النجف وقدميه له، ولا تخبره من أين أتيت به" ثم قال: "لم أخذه لئلا يقول الناس: هؤلاء يأخذون المال حتى من النساء الفاسقات. فيتسبب في وهن مقام العلماء."».

الاقتصاد والقناعة

روى آية الله كريمي الجهرمي أن آية الله العظمى الأراكي رحمه الله قال: «عند تصحيح ومراجعة كتاب 'درر الأصول' - على ما أتذكر - قبل طباعته، كان الحاج الشيخ أحيانا يدقق في كلمة ويقول: "وجود هذه الكلمة هنا لا أثر له، وحذفها لا يضر بالمعنى ولا يخل بالمطالب وفهمها، فلماذا نصرف المال على القرطاس وطباعة هذه الكلمة؟! احذفوها."».

صاحب مقام اليقين

روى آية الله العظمى الأراكي رحمه الله أن الحاج الشيخ قال: "كنت حاضرا في مجلس وعظ وخطابة الشيخ جعفر الشوشتری رحمه الله، فقال على المنبر: "أريد اختباركم، هل أنتم مؤمنون؟ القرآن يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾"، فتقلبت في مكاني وجلست مستعدا وأخذت أفكر: إذا تلا الآيات ولم تؤثر في، فماذا سوف أفعل؟ ثم بدأ يتلو، فحمدا لله لقد أثرت الآيات في قلبي".

عاشق أهل البيت عليه السلام

قال آية الله العظمى الأراكي رحمه الله: "كان الحاج الشيخ في شبابه ينشد النواح والمراثي في مجالس

العلماء في سامراء، لأن السيد ميرزا حسن الشيرازي رحمه الله أمر بأن يخرج موكب عزاء من العلماء في يوم عاشوراء. وكان الحاج الشيخ هو المنشد لهذا الموكب وكان شابا قوي البنية جهوري الصوت، وكان أول ما ينشده:

يا علي المرتضى غوث الوري كهف الحجي
قم مغيثا لك الأمجاد عن حد الطبي

وكان الناس يُردّدون هذا البيت. وقد كانت القصيدة صفحة كاملة، نظمها المرحوم السيد إسماعيل، والد السيد عبد الهادي المعروف، وهو أعظم شعراء العرب، في رثاء الإمام الحسين عليه السلام. وفي إحدى الليالي، وبعد هذه المراثي، تشرف الحاج الشيخ برؤية الإمام الحسين عليه السلام في المنام، فقدم له الإمام قبضة من الحلويات (نقل)، فتناولها. وكانت بلاغته وبيانه الجذاب في الدرس وحلاوة مجلسه من بركات تلك العناية التي أفاضها الإمام الحسين عليه السلام عليه."



«حين كان الحاج الشيخ في كربلاء، رأى في المنام هاتفاً يقول له: "لم يتبق من عمرك أكثر من عشرة أيام". ولما استيقظ من نومه، تجاهل المنام لأنه كان مرناً يأخذ الأمور ببساطة، حتى نسيه تماماً.

واتفق أن اليوم العاشر كان يوم الخميس وليلة الجمعة، فقال له بعض الأصدقاء: هيا بنا ننتزه في بساتين كربلاء. فخرجوا من الصباح الباكر، وأصيب الحاج الشيخ بالبرد، واشتد عليه حتى وضعوا عليه عباءة فلم تفده. ثم قرروا أخيراً إعادته إلى المنزل، فلم يكن يستطيع حتى المشي، فأتوا له بحمار، ولما لم يستطع الجلوس عليه بمفرده، جلس أحدهم خلفه ليمسكه. وما إن وصل إلى المنزل حتى دخل في سكرات الموت. عندئذ تذكر المنام الذي رآه قبل عشرة أيام، وأدرك أنه كان حلمًا صادقًا. وفجأة رأى سقف الغرفة ينشق وينزل منه ملكان من أعوان عزرائيل جاؤوا لقبض روحه. فإذا به يشعر أنه لا يزال حيًا، ففي تلك الحال ونفس الموقف توسل بالإمام الحسين (عليه السلام) إذ كان بينه وبين الإمام علاقات قديمة يطول ذكرها. فخاطب الإمام (عليه السلام): "يا أبا عبد الله! إنني سأموت حتماً، لأن الموت حق، لكن يداي خاليتان! أرجوك، إن كان ممكناً، امنحني مهلة لأستعد". وإذا

لقد شارك آية الله العظمى الأراكي سنوات عديدة في درس آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره، واستفاد كثيراً من علم هذا المرجع الكبير وتقواه، وألف رسالة الاستفتاءات وكتاب "النكاح والطلاق" و"تقارير دروس الفقه والأصول لآية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي".

كان آية الله العظمى الحائري (رحمته الله) يكنّ محبةً كبيرة لآية الله الأراكي (رحمته الله)، وقد لفت نبوغ الأراكي الفكري انتباه أستاذه، وبناءً على توصيته، ارتدى العمامة. وكان المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري يقول لآية الله الأراكي: "أنت ثمرة عمري".

عندما أسس المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي الحوزة العلمية في قم، كان آية الله الأراكي يبلغ من العمر عشرين عاماً، وقد انتقل إلى قم برفقة أستاذه واستفاد من دروسه في الفقه والأصول مدة ثماني سنوات. وخلال تلك الفترة، كان يتباحث علمياً مع حضرات الآيات السيد محمد تقي والسيد أحمد الخوانساري.

وروى آية الله الأراكي (رحمته الله): "عندما جاء الحاج الشيخ (رحمته الله) إلى أراك عام ١٣٣٢ هـ.ق، التحقنا به بمحبة، وكنا نحضر مجالسه الخاصة والعمامة وحين الدرس وبعده وعند محاضراته وتبليغه على المنبر، نسجل كل ما يصدر عن شفثيه من علم وحكمة".

وفي إحدى جلسات الدرس، قدّم آية الله الأراكي تقاريره لدرس الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري، فقال له الحاج الشيخ: "أعجبتني كتابتك، على أن تكون أفضل في المرة القادمة".

الحاج الشيخ عبد الكريم: ولادته وبقاؤه كانا خارجين للعادة

كان الحاج الشيخ عبد الكريم شخصية خارقة للعادة في ولادته وبقائه. فقد كان والده جزائراً ولم يكن يُرزق بأولاد، حتى تزوج بامرأة زواجاً مؤقتاً بنية الحصول على الذرية، وبفضل تقواه وسلوكه المعروف، رزقه الله تعالى الحاج الشيخ عبد الكريم من زوجته الأولى.

وكان الحاج الشيخ يقول: "عندما كنت طفلاً، وكنت أرتكب بعض الأفعال الطفولية، كانت والدتي تقول بمزاح: "طفل تحصل عليه من الله بمشقة وجهه، لا يكون أفضل من هذا!".

هذا ما يتعلق بولادته الخارقة، وأما بخصوص بقاءه: فقد سمعت بسند صحيح من المرحوم السيد فريد قدس سره، أنه قال:

بملك جاء قائلاً: "الإمام يقول: مُدِّدَت المهلة، فدعوه"، وهناك روايتان: واحدة تقول إنهما قالاً: "نحن موكلون"، وأخرى تقول: "الدخيل والعين". ثم جاء الإمام بنفسه وقال: "أنا قلت إن المهلة مُدِّدَت"، فبدأت حالته تتحسن. ثم أشار بإصبعه أن يُحَضَّر له الماء. فصرخت زوجته التي كانت تبكي عند رأسه: "لقد عاد إلى الحياة! لقد عاد إلى الحياة!".

وصاياه للطلاب

كان المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم يقول: "يجب أن يكون الطالب في سلوكه مرنًا لا يعقّد الأمور، أن يكون لا شرطاً. إذا أصبح مقيداً ومهتماً بأن يكون غداءه وملبسه ومنزله... بهذا أو ذلك الشكل الخاص، فلن ينجح. يجب أن يكون مرنًا وسهلاً في كل الظروف، ولا يترك درسه مهما حصل". وقد كان هو نفسه كذلك، لا يهتم بهذه الأمور. إنما كان يتألم فقط من الحوادث والمشكلات الدينية، وأما الحوادث الأخرى فلم يكن يهتم بها. فعلى سبيل المثال كان يحكي أن غرفته كانت فيها أربع قطع من السجاد (غطاء، سجادة جانبية، وسجادة رئيسية)، فجاء رجل وقال: هذه السجادات لي وقد سُرقَت. فقال له الشيخ: خذها! دون أن يطلب منه شاهداً أو دليلاً، فأخذها كلها ولم يعترض له الشيخ بشيء.

رجل الدين مثل الثلج

كان يقول: "الفرق بين رجل الدين وغيره كبير؛ فرجل الدين مثل ثوب ناصع البياض كالثلج، وأما غيره فمثل الثوب الأسود كالفحم. فإذا ارتكب شخص عادي خطيئة، فلا يؤثر ذلك في سواده، كالغبار الذي يحطّ على الفحم ولا يلاحظه أحد؛ لأنه لا يوجد لون أغمق من السواد، فالسواد يبقى على ما هو عليه. فمثلاً إذا ارتكب شرب الخمر أو الغيبة أو قتل النفس أو الاعتداء بالسكين أو أي ذنب آخر، فلا ينزعج منه الناس ويعتبرونه عملاً عادياً. أما رجال الدين، فمثلهم كالثلج، إذ كلّ غبار يحطّ على الثلج يجعله أسوداً، لأنه ناصع البياض، فحتى ذرة صغيرة من الغبار تظهر عليه بوضوح. فإذا اغتاب رجل الدين، ينتشر خبره بين الناس بأن رجل الدين الفلاني قد اغتاب، أو شتم، أو فعل كذا. أما الشخص العادي، فلو قتل أحداً، لا أحد يتحدث عنه. فعلى رجال الدين أن يتصرفوا بحذر، وإلا سينفض الناس من حولهم".

شرط اعتبار الإجازة

لم تكن لدى الحاج الشيخ إجازة من الآخوند الخراساني، ولا من السيد محمد كاظم، ولا من الحاج ميرزا حسن الشيرازي،

ولا من السيد محمد الفشاركي (قدس الله أسرارهم)، مع أنه كان مقرباً منهم جميعاً وكانوا يعطونه ما يشاء. إذ كان يعتقد أن الإجازة لا قيمة لها ما لم يكن صاحبها أهلاً لها. فإن كان له ألف إجازة من أعلم العلماء ومن أول شخص في العالم، وهو ليس أهلاً لها، فلا قيمة لها ولا تفيده تلك الإجازات شيئاً.

الاعتبار من مصير السابقين

كان الحاج الشيخ عبد الكريم (أعلى الله مقامه) يقول: "إذا أراد أتقى أهل زماننا أن يمدح أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلن يجد ما هو أبغ وأعلى من مدح عمرو بن العاص له. لقد قال في شعره من الفضائل والمناقب لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) لا يحصى، ومع ذلك كان في صفّ معاوية بعد أن استلم معاوية الحكم.

عندما تسلم معاوية الحكم، كتب إليه رسالة يدعوه فيها إلى مبايعته والانضمام إليه. وكان يعلم عمرو بن العاص أنه إن أجابه، فإنّ مطامعه الدنيوية ستتحقق: سيُعطي بيتاً، وزوجة، وطعاماً، وكلّ ما يشتهي. كلّ شيء سيكون له ناعماً ولذيذاً. فأرسل إليه جواباً كتب فيه:

أتدري يا معاوية إلى ماذا تدعوني؟! تدعوني إلى أن أتولّى عن الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه". أتدري إلى ماذا تدعوني؟! تدعوني إلى أن أتولّى عن الذي قال فيه النبي: "عليّ مني وأنا من عليّ". أتدري إلى ماذا تدعوني؟! تدعوني إلى أن أتولّى عن الذي قال فيه النبي: "عليّ مني بمنزلة هارون من موسى". وأخذ يذكر مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) واحدة تلو الأخرى، حتى قال في ختام رسالته: "تدعوني إلى أن أنزع حبل الإيمان من عنقي! كيف أكون معك؟! أيعقل هذا؟!"

قال هذه الأشعار وكتب هذا الرد، ومع ذلك، استطاع معاوية بخدعه وتلبيسه، أن يجذبه تدريجياً إلى جانبه، حتى أصبح من خاصّته ومستشاريه.

هكذا هي الدنيا... من كان مادحاً لأمر المؤمنين (عليه السلام)، يتحوّل فجأة إلى صديق خالصٍ لمعاوية - معاوية! هذه طبيعة الدنيا؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يخاف ويرتجف من أن يؤدي به أمر الدنيا إلى أن ينحرف عن طريق الحق كعمرو بن العاص.

من سيرة الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره على لسان آية الله العظمى السيد موسى الشيرازي الزنجاني دام ظلّه

إن مستوى هذا الشيخ أعلى منا، فلو طلبنا منه البقاء في قم ستصبح حوزة قم حوزة قوية جداً! قال الشيخ أبو القاسم: لقد أردت أن أقول لك هذا الكلام فقال الميرزا أرباب: فلنرجع الآن له. وقد رجعا وقالوا للشيخ: لقد جئنا لنتطلب منك هذا الطلب.

إن لهؤلاء العظماء حق كبير على الحوزة هما والسيد صدر الدين الصدر، وبقيّة العلماء قدموا تضحيات في هذا الطريق. كان الميرزا محمد أرباب - مع أنه أكبر من الشيخ ب ١٥ سنة - يتواضع ويتصاغر أمامه!

وأما نقل الحاج سعيد ابن الميرزا محمد، فإنه يقول: في اللقاء الأول لم يعتن والدي بالشيخ كثيراً. سألوه لماذا لم تحترمه كثيراً؟ قال: يجب أن أرى مستواه العلمي أولاً حتى أعامله بما يناسبه. فلما تابحا فيما بعد وتبينت له مكانة الشيخ وأنه على درجة كبيرة أخذ يتصاغر أمامه بمختلف الأشكال.

سمعت السيد الخميني - عليه الرحمة - يقول: علماء قم هؤلاء كانوا رجالاً صالحين، ولذلك سلّموا للشيخ وخضعوا أمامه كل ذلك الخضوع. لو ذهب الشيخ لمكان آخر لم يتواضعوا له ويسلموا بهذا الشكل. لقالوا له: شيخنا لماذا جئت إلى هنا؟! كان علماء قم هؤلاء رجالاً ممتازين للغاية.

في ذلك الوقت كان الشيخ أبو القاسم القمي إذا قيل له: (آية الله) يمنع القائل ويقول: آية الله شخص واحد فقط - يقصد الشيخ عبد الكريم الحائري - ولا ينبغي أن تقولوا لنا هكذا.

كان يذهب لزيارة الشيخ في الأعياد والمناسبات، وقد سمعت أنه أحياناً ينظر إلى باب بيت الشيخ ويقول: إن النظر إلى باب العالم عبادة. كل ذلك من أجل تقوية موقف الشيخ عليه الرحمة.

كان الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته من أهل الفكر، لكن محفوظاته لم تكن قوية جداً. يقول الشيخ الأراكي قدس سره كان الشيخ قدس سره يقول: كنا نحضر درس السيد محمد الفشاركي رحمته كان الشيخ النائيني يهتم بضبط المطلب وحفظه، وكنت أهتم بتنقيحه فلو سألت الشيخ النائيني بعد ستة أشهر عن مطلب فإنه ينقله بالضبط، كأنه سمعه أمس!

خضوع علماء قم

عندما جاء الشيخ عبد الكريم الحائري إلى قم سكن في بيت الشيخ مهدي الحكمي، الذي كان من أصحاب سامراء في زمان الميرزا الشيرازي، والميرزا محمد تقى الشيرازي. كان الشيخ أيضاً من أصحاب سامراء فنزل عنده. وجاء إلى زيارته شخصيتان من رؤساء قم: أحدهما الميرزا محمد أرباب، والثاني الشيخ أبو القاسم الكبير عليهما الرحمة.

أما الميرزا محمد أرباب فقد كان من أهل الأملاك، وكان أكبر سناً من الآخرين فكانوا يتواضعون له، وقد درس كثيرون عنده، وهو أكبر من الشيخ الحائري بحوالي ١٥ سنة، وطبقته مقدمة على طبقة الشيخ، وقد كان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية، وكان زعيماً.

وأما الشيخ أبو القاسم فقد كان أيضاً استثنائياً ووجيهاً في قم وله المقام الأول في التقوى والأخلاق والجهات العلمية.

وقد سمعت قصتين عن هذا اللقاء، ينقلهما حفيد الميرزا محمد الحاج شهاب ووالده الحاج سعيد ابن الميرزا محمد.

أما الحاج شهاب فيقول: حيث كان الرجلان أهلاً لأن يتباحثا في المسائل العلمية مع الشيخ، فقد طرحت مسألة علمية وتناقشوا فيها، فلما خرجا قال الميرزا محمد للشيخ أبو القاسم في الطريق:

فبقي الشيخ، وأخذ يدفع الرواتب فجاء الطلاب من المناطق المجاورة وتأسست حوزة قوية من الدرجة الأولى.

إدراك حياة الشيخ

أنا لم أر الشيخ. كنت صغيراً جداً حتى أنني كنت في التشيع لا أرى الجنازة. كان عمري تسع سنوات عندما توفي الشيخ. هذا ما أتذكره. كنت قد أكملت تسع سنوات قمريّة ولم أكمل تسعا شمسية.

كان الحاج الميرزا عبد الله جهلستوني في ذلك الوقت ساكناً بالقرب من منزلنا، وأتذكر أنني رأيته صباح اليوم الذي توفي الشيخ في ليلته خارجاً من بيته مفجوعاً ومتأثراً بشكل خاص، هذا فقط ما أتذكره.

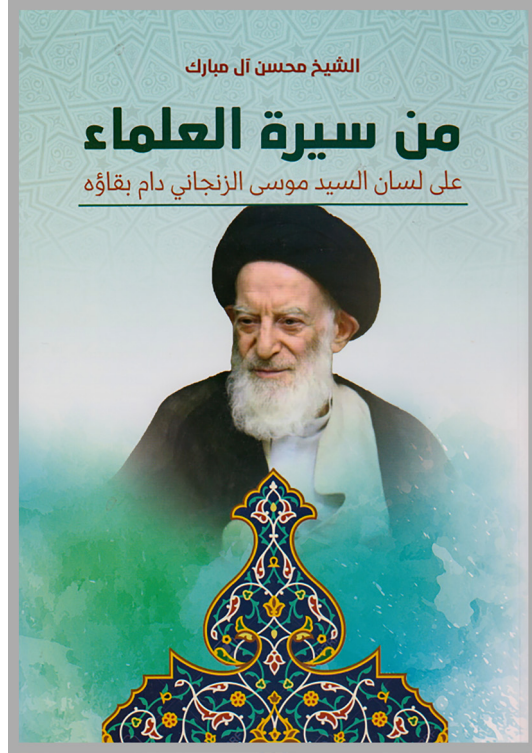
جاذبية منبر الشيخ

كان السيّد الكلبيكاني ينقل ذات مرة في بيت السيد الخميني أن "كيوان" الخطيب المعروف - والذي كان يسحر الناس بكلامه - جاء إلى مدينة أراك لترويج الصوفية، فكان يرتقي المنبر ويتكلم في ذلك. فأخذ الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله يرتقي المنبر بعد انتهائه من صلاة الجماعة ويرد على الصوفية بشكل جميل جداً، حتى أن "كيوان" على الرغم من حلاوة خطبه لم يتمكن من البقاء في أراك.

توقف السيل بتربة الإمام الحسين عليه السلام

عندما جاء السيل في زمان الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله وإنهدمت بعض الأماكن كنت صغيراً، كان صوت السيل مهيباً. كان الوالد يدخل ويخرج ويراقب لكي يساعدنا على الفرار فوراً عند مجيء السيل.

وقد سمعت فيما بعد أن الشيخ أمر بإلقاء مقدار من التربة الحسينية في السيل فهذا!



الشيخ محسن آل مبارك

من سيرة العلماء

على لسان السيد موسى الزنجاني دام بقاءه

صفّ قوي أمام المتوجهين للغرب

كان في قم شخص اسمه الحاج الميرزا محمد وكيل، كان من المحترمين ومن أهل الفهم عندما رأيناه لم يكن معمماً، لكن لحيته كانت مرتبة، وكان شخصية معروفة.

كان للميرزا محمد أرباب مؤسسة قضائية، وكان الميرزا محمد هذا يتصدى للوكالة فيها. يقول: كنت يوماً عند الميرزا محمد - عليه الرحمة - فجاء الشيخ عبد الكريم الحائري لزيارته، فقال له الميرزا محمد: إن المستغربين اليوم يشكلون صفّاً واحداً مجهزاً لنشر ثقافتهم، فيجب علينا نحن العلماء أن نشكل صفّاً قوياً أمامهم، وهذا ليس في مقدورنا نحن، فقد فقدنا رائحتنا (وهذا تعبيره).

لكن أنت قادر على أن تقوم بهذا العمل، قم بالتصدي لمسؤولية الحوزة، وادفع للطلبة رواتب. قال الشيخ: أنا الآن لا أملك القدرة على ذلك. فقال الميرزا محمد: أنا أقترض من التجار مبلغاً يكفى لعدة أشهر.

فانزعج، قال: يا رب! أنت قادر على أن تعطيني الذرية من زوجتي الدائمة، ولا أكون سبب في بكاء طفل يتيم.

عاد بعد ذلك إلى بيته وحملت زوجته، وهكذا كان بداية مجيء الشيخ إلى الدنيا. كان الشيخ هو الطفل الوحيد لدى والديه، وكان مشاكساً للغاية في صغره. سمعت أن والدته كانت تقول: الطفل الذي يؤخذ من الباري بالقوة والإصرار لا بد أن يكون هكذا.

أما بالنسبة إلى بقاءه فقد كان مدة في كربلاء فرأى في النوم أو بين النوم واليقظة أنه يُقال له: إن عمرك سينتهي بعد عشرة أيام. نسي الشيخ ذلك وفي اليوم العاشر ذهب مع أصدقائه إلى إحدى المزارع وفجأة أصابته رعدة شديدة وكلما غطوه بالملاحف لم يسكن. تذكر الرؤيا، وعرف أنه ذلك اليوم الموعود. وضعوه على حمار وأمسكوه من الجهتين وذهبوا به إلى المنزل ووضعوه في هيئة المحتضر، وفي اللحظات الأخيرة أخذ الشيخ يتوسل بسيد الشهداء بأنني لم أقدم عملاً صالحاً ويدي خالية فأعطني فرصة حتى أقوم بالأعمال الصالحة، بعد ذلك توفي الشيخ فغطوه بقماش خفيف وأخذ من حوله ليكون ويصرخون ويستعدون لتكفينه ودفنه.

في ذلك العالم عندما جاؤوا لقبض روح الشيخ رأى الشيخ السقف ينشق فدخل منه شخصان وقالوا سيد الشهداء (عليه السلام) يقول: توقفوا عن قبض روحه. قال الملك الموكل بقبض الروح: "أنا مأمور بقبض روحه." وبعد قليل جاء سيد الشهداء (عليه السلام) بنفسه، وقال: "توقف." فتوقف الملك الموكل. عند ذلك حرك الشيخ القماش الموضوع عليه بإصبعه فعرف من حوله أنه حي.

★ المصدر: كتاب "من سيرة العلماء على لسان السيد موسى الزنجاني" دام ظله للشيخ محسن آل مبارك، ص ٢٣٩-٢٤٤

سمعت ذلك من والدتي: أن سيلاً عظيماً جاء إلى قم فدفع الشيخ الحائري قدس سره مقداراً من تربة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ابنه الشيخ مرتضى ليلقيه في الماء. فلما ألقاها توقف السيل!

طلاب الشيخ

سمعت الميرزا عبد الله المجتهدي قدس سره يقول: كان في درس الشيخ اثنان من أفاضل طلبته يقابلهما اثنان آخران: فالسيد الخميني والسيد شريعتمداري من جهة والحاج ميرزا خليل الكمري والحاج ميرزا باقر الكمري من جهة أخرى.

يقول: الميرزا خليل والميرزا باقر كانا متأثرين بشدة بالحضارة الغربية الجديدة، وكانا يوليئها أهمية كبيرة، لكن السيد الخميني والسيد شريعتمداري لم يتأثرا لتلك الدرجة. كانا على اطلاع على إنجازات تلك الحضارة، لكنهما لم يكونا يقولان ما أعظمهم! وما أضعفنا! فيحقران أنفسهم أمام الأجانب. أما الميرزا خليل والميرزا باقر فقد كانا معجبين جداً بالغربيين. كلهم كانوا أصدقاء الميرزا المجتهد. فكان يقارن بين أصدقائه - الذين كانوا تلامذة الشيخ - وقد كان الميرزا عبد الله المجتهد دقيقاً.

الاستخارة

كان الشيخ الحائري قدس سره لا يستخير بالقرآن الكريم، وكذلك كان الشيخ الأراكي عليه الرحمة.

كرامة الولادة والبقاء

سمعتُ الشيخ الأراكي يقول: وجود الشيخ عبد الكريم الحائري كان كرامة في بدايته واستمراره، وكان والده اسمه محمد جعفر ولم يُرزق بالولد. كانت لديه امرأة متعة وكان يذهب أحياناً إليها. كان لتلك المرأة ولد من زوجها السابق، فكانت ترسله إلى بيت خالته ليخلو البيت للشيخ، وذات مرة جاء إلى البيت فسمع بكاء الطفل؛ لأنه لا يريد الذهاب إلى بيت خالته،

مقالات

ملخص

الحوزة العلمية الإيرانية تمثل الواجهة التي تصدّت للغزو الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري الغربي لإيران. فهي - بعلمائها المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بعامة الشعب - قد قادت المعركة أمام النفوذ السياسي البريطاني والروسي ثم الأمريكي. ولم تكن مواقفها نظرية فكرية فحسب، بل اقترنت بمواقف عملية سقطت على أثرها حكومات وأدت في النهاية الى سقوط النظام الملكي بأجمعه وإقامة نظام إسلامي.

مقدمة

الحوزة في اصطلاح الشيعة تعني حوزة العلوم الدينية أو مركز دراسات الفقه والأصول والحديث وما يرتبط بتربية مجتهدين أو دعاة في الشريعة الإسلامية. أهم الحوزات العلمية في إيران بمدينة قم، وثمة حوزات علمية أخرى في مشهد وطهران وأصفهان وشيراز وسائر المدن الإيرانية. جدير بالذكر أن الحوزات العلمية الإيرانية ذات ارتباط وثيق بالحوزات الأخرى وخاصة حوزات النجف وكرلاء وسامراء في العراق حيث كثير من علمائها إيرانيون.

ويرتبط الناس بالحوزة عن طرق مختلفة:

- التقليد: حيث يجب على كل إنسان أن يقلّد في أعماله الدينية مجتهداً كي تكون هذه الأعمال وفق منهج الشريعة، ويرتبط الناس بمقلديهم عن طريق "الرسالة العلمية" وهي مجموعة الأحكام الفقهية التي يحتاجها المقلّد في عبادته ومعاملاته.

- أئمة المساجد: الذين ينتخبهم الناس لإمامتهم في الصلاة، وتعليمهم أصول دينهم، وحلّ قضاياهم ومشاكلهم، ويتولى الناس عادة الإنفاق على الأمور المعيشية للإمام.

- خطباء المنبر: وعقد المجالس سنّة شائعة في إيران، ويتولى المنبر فيها عادة علماء وطلاب الحوزة، وتزداد بشكل واسع في شهر رمضان وشهري محرم وصفر.

- الكتب والمجلات التي تصدرها الحوزة العلمية.

وهذه الحوزات كان لها في إيران منذ الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي مواقف مهمة في صيانة البلاد من التدخل الأجنبي في مقدرات البلاد، وحفظ هويّة الأمة وعزّتها.

أشهر مواقفها في نهاية القرن التاسع عشر كانت في قضية انتفاضة التباك، التي قطعت الطريق أمام الشركات الأجنبية من التلاعب بمقدرات البلاد. وفي القرن العشرين توالى مواقفها الراضية للتدخل الأجنبي حتى توجت هذه المواقف بالتحول الإسلامي الكبير في إيران.

إيران في مطلع القرن العشرين

الأوضاع التي سادت إيران في مطلع هذا القرن يمكن تلخيصها بما يلي:

انحطاط في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعدم وجود مشروع حقيقي للنهضة، وتدخل الدول الغربية للسيطرة على كل شؤون البلاد بما في ذلك توجيه الحركات الإصلاحية لتكون وفق مصالحها، أو ضرب تلك الحركات إن تعذر احتواؤها.

كتاب "سياحتنامه إبراهيم بك" لزين العابدين المرائي يصور أوضاع إيران قبل هذا القرن بأسلوب روائي، فهو يحكي قصة رجل إيراني رحل

إلى مصر وأقام فيها خمسين عامًا يعمل في التجارة بصدق وإخلاص، ولم يفارقه حب وطنه وإخلاصه لشعبه، وُلِدَ له إبراهيم فرَبَّاه على حبِّ إيران، وحين اقترب أجلُ الوالد وصى ابنه أن يعمَّق في نفسه حبَّ الوطن وأن يعرض عمَّا يُشاع بشأن تدهور الحالة فيه، وبهذه الروح والمعنويات يسافر إبراهيم لزيارة "مشهد" في إيران ويرى ما يرى من خراب البلاد في جميع مناحي الحياة، ويصف ما يرى بأسلوب أخاذ مؤثر.

وينتشر الكتاب بين الناس، ويفعل فعله في دفع الجماهير نحو حركة "المشروطة" (الحركة الدستورية) حتى قيل إن تأثيره في هذه الحركة يشابه تأثير كتاب "العقد الاجتماعي" لروسو في الثورة الفرنسية. وشتان بين حركة المشروطة والثورة الفرنسية، فقد كانت الثورة الفرنسية مشروع حركة شاملة لكل مجالات الحياة، قائمًا على أصالة التراث الأوروبي، وبعيدًا عن كل مؤثرات القوى الأجنبية، بينما كانت حركة المشروطة مستوحاة من الأسلوب الغربي للحياة السياسية، ولم تكن قائمة على أصالة، ولم تقدم مشروعًا كاملًا للنهضة، وما كانت بعيدة عن التدخل الروسي والبريطاني لدفع الأحداث نحو ما تقتضيه مصلحة كل من الدولتين الكبيرتين. فالبريطانيون كانوا يستهدفون إضعاف الحكومة المركزية عن طريق دعم الحركة الدستورية لأن الحكومة كانت خاضعة لسيطرة روسيا القيصرية، والروس كانوا يعارضون الحركة الدستورية، لنفوذهم في بلاط الشاه، وكان كل شيء في إيران بين فكِّي رحى هاتين الدولتين. وما حققت الثورة الدستورية هدفها في إقرار الدستور سنة ١٩٠٥م إلا حين انهزمت روسيا في حربها مع اليابان، فانشغلت بنفسها ولم تتدخل عسكريًا لدعم سلطة الشاه.

إن ضعف العالم الإسلامي كان من الممكن أن يتبدل إلى قوة، بسبب وجود عناصر الدفع والحركة

في مكوناته الفكرية والعقائدية والتاريخية، لكن الصراعات الداخلية فوّتت عليه فرصة النهضة واستعادة القوة، وفتحت المجال أمام القوى الطامعة لتجد لها موضع قدم، ثم لتحكم السيطرة على مجريات الأحداث. وكان أول صراع فتح المجال أمام التوغل الأوروبي هو الصراع الصفوي العثماني، والخطوة الأوروبية كانت تقضي بتقسيم أراضي الدولتين الإيرانية والعثمانية. واستمرت مساعي تجزئة إيران في العهد القاجاري إلى مناطق نفوذ تقاسمتها روسيا في الشمال وبريطانيا في الجنوب حتى أن ناصر الدين شاه القاجاري قال: "إن أردت السفر إلى شمال إيران يعترض السفير البريطاني، وإن أردت السفر إلى الجنوب يعترض السفير الروسي، سحقًا لهذا البلد الذي لا يحق للشاه فيه أن يسافر إلى جنوب مملكته أو شمالها".

لقد انتصرت الحركة الدستورية في إقرار الدستور وإقامة مجلس الشورى الوطني، لكنها لم تستطع أن تقى البلاد من كارثة التدهور المستمر في التكوين السياسي والاقتصادي. في أغسطس من عام ١٩٠٧ حين كان مجلس الشورى الوطني يدشن دورته الأولى، انعقدت بين روسيا وبريطانيا معاهدة قسمت بموجبها إيران إلى ثلاث مناطق: الشمالية تحت نفوذ روسيا، والجنوبية تحت نفوذ بريطانيا، والمنطقة الوسطى محايدة.

موقف الحوزة من هذه الغارة

كانت خطة القوى الأوروبية تتجه بوضوح إلى تجزئة العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته، وكانت الفئة الوحيدة التي تحسّست هذا الخطر، وحذّرت منه ودعت إلى التصدي له علماء الدين ووراءها عامة الشعب المتدين، ولدينا وثيقة على غاية من الأهمية صدرت قبل سنوات من الحرب العالمية الأولى التي أعقبها تنفيذ خطة تمزيق العالم الإسلامي. الوثيقة تتحدث عن لقاءات

العثمانية والإيرانية، أدام الله شوكتها بمحمد عليه السلام وصحبه خير البرية. غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٨. النجف الأشرف: الخراساني، المازندراني، شريعت أصفهاني. كربلاء المعلاة: الصدر، حاج نور الدين الاصفهاني، الحاج الشيخ حسين، الحاج شيخ العراقيين. سامراء: الميرزا محمد تقي الشيرازي. "منطق التيار الديني الذي مثلته الحوزة العلمية يتلخص في أن يتحد المسلمون متجاوزين الأطر الطائفية الضيقة، والالتزام بتعاليم الدين المبين والابتعاد عن كل عوامل التفرقة. وهو منطق يقوم على أساس أن علاج الأمة في المحافظة على هويتها وكرامتها، وإذا فعلت ذلك فإن كل اتجاه إصلاحى سيكون أصيلاً مرتبطاً بالجذور الحضارية، ومتفاعلاً مع معتقدات الناس وعواطفهم. ولا يمكن إصلاح وضع الأمة بدون ذلك.

بينما قام منطق الإصلاحيين الإيرانيين المتغربين على أساس تقليد النظم الغربية في السياسة، والتخلص من نفوذ الدين في الحياة الاجتماعية، وتغيير الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وتخليص اللغة الفارسية من المفردات العربية، ومحاربة العمامة وتبديلها إلى قبعة، ومحاربة مجالس ذكر الحسين بن علي عليه السلام، ومكافحة الحجاب و... أمثال هذه الأمور التي تدل على هزيمة داخلية وانفصال عن الجذور وكلها فتحت ثغرات جديدة في جسم المجتمع الإيراني المنخور لتنفيذ منها قوى الهيمنة العالمية.

موقف الحوزة من الحركة الدستورية

تنبت الحركة الدستورية معارضة استبداد الشاه، وجعل الحكم شورى، من هنا طالبت بالدستور ومجلس الشورى. والشورى المخالفة للاستبداد من أصول الشريعة الإسلامية نصاً وعقلاً، ولذلك هبّ علماء الحوزة إلى تأييد حركة المشروطة.

بين علماء الشيعة الإيرانيين وعلماء أهل السنة في بغداد، وعلى أثر هذه اللقاءات أصدر علماء الشيعة بياناً هذه ترجمته:

بسم الله الرحمن الرحيم. بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد عليه السلام خاتم النبيين وصحبه المنتجبين، لمّا شاهدنا أن اختلاف الفرق الخمس الأساسية الإسلامية في أمور لا تتعلق بأصول الديانة والشقاق بين فئات المسلمين الكبرى، فمن أجل أن نكون على الكلمة الجامعة الدينية وأن نتفق على الدفاع عن الشريعة الشريفة المحمدية عليه السلام، فقد اتحدت آراء المجتهدين العظام من زعماء الشيعة الجعفرية وعلماء أهل السنة الكرام من المقيمين في دار السلام ببغداد، على وجوب التمسك بحبل الإسلام كما أمر الله تعالى في كتابه المجيد: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"، ووجوب اتحاد كافة المسلمين لحفظ بيضة الإسلام وصيانة الممالك الإسلامية والإيرانية من تشبث الدول الأجنبية.

اتفق رأينا جميعاً على صيانة حوزة الإسلام وعلى بذل كل قوانا ونفوذنا في هذا السبيل وأن لا نألوا جهداً يقتضيه المقام، بينما أملنا بكمال الاتحاد بين الدولتين العليتين الإسلاميتين ورعاية كل منهما لحفظ استقلال حكومتها العلية وحماية مملكتها وصيانة ثغورها من تدخل الأجانب، وأن يتسبعا ما قال الله في كتابه العزيز: "أشداء على الكفار رحماء بينهم".

ونذكّر عامة المسلمين بعقد الأخوة الذي أبرمه الله بينهم، وبوجوب الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الشقاق والنفاق، وأن يبذلوا الجهد في حفظ نواميس الأمة، وأن يتعاونوا ويتعاضدوا من أجل اتفاق الكلمة عن طريق حسن المواظبة، كي تحفظ الراية الشريفة المحمدية ويصان مسؤولو الدولتين العليتين

وكتب المجتهد الكبير محمد حسين النائيني (١٨٦٠ - ١٩٣٦م) في هذا الصدد كتاباً تحت عنوان "تبيين الأمة وتنزيه الملة" عبّر فيه عن الموقف الديني تجاه المشروطة ويتلخص في أن الحاكم - إن لم يكن معصوماً - لا بد أن يستند إلى دستور يحدد حقوق الدولة وواجباتها، وإلى مجلس من حكماء الأمة ومخلصيها يتولى الإشراف على تطبيق الدستور، شرط أن لا يتضمن الدستور ما يخالف أحكام الشريعة.

من هنا كان موقف الحوزة مجمعاً تقريباً على الوقوف إلى جانب الحركة المشروطة في بداية الحركة، لكننا نشاهد انسحاباً تدريجياً من قبل بعض العلماء، وما كان هذا الانسحاب تأييداً لاستبعاد الشاه، ولكن المنسحبين وجدوا في هذه الحركة بعض الظواهر التي تدل على وجود يد أجنبية وراءها تريد أن تسوقها إلى عزل الدين عن الحياة الاجتماعية.

لقد تلمس هؤلاء العلماء بالتدريج:

١- أن الحركة الماسونية في إيران وقفت بكل ثقلها وراء الحركة الدستورية.

٢- أن السفارة البريطانية في طهران أصبحت معقلاً لثوار الحركة الدستورية يلوذون بها متى ما ادلهمت الخطوب.

٣- أن الجنرال أسعد بختياري وهو من أكبر الإقطاعيين (خان) ورئيس عشيرة البختياري يعود من أوروبا بعد اندلاع حركة المشروطة إلى إيران ويقود خيالة عشيرته ويهجم على طهران للدفاع عن أنصار المشروطة، بينما كان شعار المشروطة أنها ضد الإقطاع وضد الخانات (النظام العشائري)!! هذه وغيرها من مظاهر تدخل العناصر المشبوهة جعلت بعض عناصر الحوزة تتردد في تأييدها. ثم أدى الأمر بأحد علماء الدين المناصرين للحركة إلى أن يدق أجراس الخطر بشأن ما ستسفر عنه المشروطة وهو

"آية الله فضل الله نوري" ورفع شعار "المشروعة" بدل المشروطة، مؤكداً أن الشريعة فيها ما يستطيع أن يثبت قواعد الشورى ويحول دون الاستبداد، ولا حاجة لمشروع المشروطة الذي ينطوي على فساد ظاهر. وأخيراً انتصرت المشروطة وأعدم الشيخ فضل الله نوري، وظن المتفائلون أن طريق التقدم والازدهار قد تمهد لإيران، ولكن ظنهم سرعان ماخاب كما سنرى.

الدورات الثلاث الأولى للمجلس رافقت أشد الأزمات التي حلت بالبلاد، فالدورة الأولى انتهت بقصف المجلس بالمدمع وإعلان انحلاله وإلغاء الدستور، ثم استؤنفت الثورة الدستورية ونجحت في إرغام الشاه القاجاري على إعادة نظام المشروطة. وانعقدت الدورة الثانية للمجلس في نوفمبر ١٩١٠م، وانحلت هذه الدورة بفعل الضغوط الأجنبية. وصادفت الدورة الثالثة نشوب الحرب العالمية الأولى، وتوقف المجلس قبل انتهاء مدة هذه الدورة، وبقي متوقفاً لسنين، وبعدها انعقدت معاهدة ١٩١٩م. هذه المعاهدة كانت بين إيران وبريطانيا، وكانت باختصار تقديم إيران بكل مرافقها للتدخل البريطاني.

موقف الحوزة من معاهدة ١٩١٩

كانت بريطانيا تستهدف تحقيق هذه المعاهدة عن طريق البطش العسكري ضد أية معارضة، وعن طريق ممارسة نفوذها في مجلس الشورى لإقرارها. من هنا مارست الحوزة العلمية مقاومتها لهذه المعاهدة عن طريق انتفاضات مسلحة، وعن طريق دفع علماء الدين المجتهدين ليرشّحوا أنفسهم في انتخابات المجلس.

من الانتفاضات المسلحة ذات العلاقة بالحوزة انتفاضة الغابة، بدأت على يد رجل دين هو "ميرزا كوجك خان" بإنشاء لجنة "اتحاد إسلام" سنة ١٩١٥م. وصعد نشاطه ضد الحكومة بعد اتفاقية

المدرس في مجلس الشورى الوطني تتحول إلى نهضة عامة ضد أي تدخل أجنبي. من هنا اتجهت الخطة البريطانية إلى إبطال مفعول المجلس وتحويله إلى دمية لا حول له ولا قوة. وثانيًا، إلى إلغاء دور الحوزة في الساحة الاجتماعية.

مهدت لذلك بانقلاب عسكري سنة ١٩٢٠، دفع "رضا خان" إلى أن يكون قائدًا للجيش، ثم سادت الأوضاع في اتجاه أن يصبح "رضا خان" رئيسًا للوزراء سنة ١٩٢٣م. وفي السنوات الثلاث بين ١٩٢٠ - ١٩٢٣ ظهر "رضا خان" بمظهر رجل وطني يحاول أن يعمل على استتباب الأمن في البلاد ويقضي على قطاع الطرق، وينهي الفوضى ويقف بوجه تقسيم إيران. في سنة ١٩٣٤ رفع شعار إقامة الجمهورية وإنهاء الحكم الملكي. وفي سنة ١٩٣٥ استطاع أن يحصل من مجلس الشورى الوطني على قرار يقضي بخلع أحمد شاه (آخر الملوك القاجاريين) من السلطنة ويفوض حكم البلاد إلى "رضا خان" (رضا بهلوي)، حين استلم مقاليد السلطة أعلن أنه يستهدف رفعة الإسلام ومنع بيع الخمر، وخفض أسعار رغيف الخبز. ونفى ولي العهد القاجاري، وأقام احتفالات متواصلة كان آخرها تتويج "رضا خان" ليصبح "رضا شاه بهلوي"، ولتصبح السلطنة البهلوية بدلا من السلطنة القاجارية!

استمر "رضا بهلوي" في الحكم حتى سنة ١٩٤١م، وفيها مارس أبشع ألوان الدكتاتورية، وخلال ستة عشر عامًا انحبست الأنفاس في الصدور، ولم يسلم على رأسه من حام حوله أدنى شك. وفي جو البطش هذا عقد البريطانيون اتفاقية سنة ١٩٣٣ وبموجبها أصبحت بريطانيا قادرة على استثمار نفط إيران حتى سنة ١٩٩٣، وأمست كل مقدرات هذه الثروة بيد بريطانيا، لاتال منها إيران سوى النزر اليسير وما كان أمام مجلس الشورى الوطني

١٩١٩ في غابات شمال إيران بمحافظة جيلان. وبعد سنوات من الكر والفرّ وتشديد الضغط والمحاصرة تم القضاء على هذه الحركة.

ومن الانتفاضات المسلحة، نهضة الخياباني، أسسها الشيخ محمد الخياباني في تبريز سنة ١٩٣٠م. وكان تاجرًا انخرط في الحوزة، كان من ثوار حركة المشروطة، ثم نهض بحركته بعد اتفاقية ١٩١٩م. سيطر على تبريز وشكل فيها لجنة وطنية بقيادته، لكنه واجه هجومًا عسكريًا شرسًا شتت أفراد وأباد الحركة.

وثمة انتفاضات مسلحة أخرى نراها في هذه الفترة يمكن أن نتلمس فيها دور الحوزة بدرجة وأخرى. منها: حركة محمد تقي بسيان سنة ١٩٣١ في خراسان، وحركة البوشهرين ضد بريطانيا، وكان من زعمائها الشيخ حسين جاكوتاها المعروف بـ "سالار إسلام" بمعنى قائد الإسلام. وكانت هذه الحركة قد بدأت ضد الاحتلال البريطاني لميناء "بوشهر" سنة ١٩١٤م، واستمرت حتى سنة ١٩٣٣م.

ومن جانب آخر حثّ علماء الحوزة من يستطيع أن يدخل مجلس الشورى ويقف بوجه انحرافه، ومنهم آية الله المدرّس الذي دخل المجلس كما يقول هو: "بحسب أمر حجج الإسلام في العتبات العليا". وكان انتخابه في الدورة الثانية للمجلس ليكون من علماء الطراز الأول المراقبين على صحة القوانين وعدم مخالفتها للشريعة الإسلامية. وهذا الرجل كان أسطورة في مقاومته للانحراف، إذ تواصل حضوره في الدورات التالية، وتوالت مواقفه الصلبة أمام أي اعتداء على مصالح الشعب، وأي تدخل أجنبي في البلاد.

المشروع البريطاني الجديد

لقد واجهت اتفاقية ١٩١٩م معارضة عارمة كان العامل الديني وعلماء الحوزة الطاقة المحركة لها. وأوشكت الانتفاضات الشعبية ووجود أمثال آية الله

إلا أن يصادق على هذه الاتفاقية، ومن الذي يجرؤ على معارضتها؟!

تحقق لبريطانيا أهم أهدافها في إيران وهو السيطرة التامة على النفط، بقيت العقبة في وجود الحوزة العلمية التي تشكل قنبلة موقوتة قد تنفجر في أية لحظة وتلهب الشارع أمام البريطانيين، كما ألهمته في حركة التنبك، وحركة المشروطة، والاعتراض على اتفاقية ١٩١٩ وثورة العشرين (١٩٢٠) في العراق.

”رضا شاه“ والحوزة

المشروع البريطاني الذي أوكل لـ”رضا خان“ تنفيذه يشبه مشروع ”أتاتورك“ في تركيا، ويتلخص بالانفصال التام عن الدين في الحياة مع تبعية تامة للغرب. تظاهر في بداية سلطنته بالدين واهتمامه بالمظاهر الدينية الشعبية، لكنه بعد أن توج نفسه اتجه بسرعة إلى محاربة كل مظاهر الدين ابتداء من محاولة إلغاء الخط العربي بتبديل الحروف العربية إلى حروف لاتينية، ومروراً بنزع العمامة وإبدالها بالقبعة، وعدم إعفاء طلبة العلوم الدينية من الجندية أسوة ببقية الطلبة، ومصادرة كل الأوقاف التي تمول الحوزة العلمية، وفرض السفور الإجباري على المرأة، ومنع مجالس الذكر، وعشرات القرارات التي نفذها أو حاول تنفيذهـا ”رضا شاه“ لإنهاء وجود الدين في الساحة الاجتماعية، وبلغ به الأمر أن وضع القرآن الكريم على ظهر بعير، وأخرجه من بوابة فارس (دروازه شيراز) قائلاً: أخرج من حيث أتيت.

لقد يؤسست الحوزة من مجلس الشورى الوطني بعد أن أخصاه ”رضا شاه“ وألغى وجود العلماء المراقبين فيه كما نص على ذلك الدستور، وزوّر الانتخابات بكل وقاحة، حتى أن آية الله المدرس (وهو الرجل الأول بين النواب عادة من حيث عدد أصوات الناخبين) رشّح نفسه فلم يحصل ولا على صوت واحد، مما حدى به إلى أن يقول: لقد صوتت

أنا - على الأقل - لنفسى فأين صوتي؟! اعتمدت الحوزة العلمية في مواجهة ”رضا شاه“ على محوريين:

الأول - الضغط الشعبي عن طريق استشارة عواطف الناس.

الثاني - التصدي المباشر بواسطة البيانات واتخاذ الواقف.

الثالث - التركيز على مظلومية علماء الدين أمام البطش والإرهاب، مع الصمود أمام هذه المحاولات. وهذه المظلومية كانت على مر تاريخ الشيعة بشكل خاص سلاخاً هاماً لمقارعة الخصم، لأنها تستقطب كل المظلومين والمقهورين، وتتحوّل سياسة البطش إلى طاقة مخزونة مرشحة للانفجار متى ماسنحت لها الفرصة.

في بداية تحرك ”رضا خان“ على طريق السلطة، واستلام مهام رئيس الوزراء لم تتطل على التيار الديني الروح الدكتاتورية التي يحملها الرجل، فهب آية الله مدرس للوقوف من خلال مجلس الشورى الوطني بوجه طيشه، ومع اشتهاه ”رضا خان“ بالدموية والقمع حين كان قائداً للجيش، تجرأ المدرس ممثلاً للحوزة العلمية أن يستدعي ”رضا خان“ للمشول أمام المجلس للإجابة على التهم التالية:

- ١- سوء السياسة الداخلية والخارجية.
 - ٢- نقض الدستور والحكم الدستوري، وإهانة مجلس الشورى الوطني.
 - ٣- مصادرة أموال المقصرين وغيرهم وعدم تسليمها إلى خزانة الدولة.
- وكان من الواضح أن مدرّس ومجموعته لا يحققون سحب الثقة من حكومة ”رضا خان“، لكنهم أرادوا أن يكسروا جوّ الإرهاب ويسجلوا موقفاً للتاريخ.



إقامة صلاة العيد بإمامة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري - مرقد السيدة فاطمة المعصومة (ع)

أردبيلي، والسيد هاشم نجف آبادي وغيرهم. ومن الخطباء الذين اشتهروا في إشعال نار الثورة بمشهد: بهلول، والشيخ واعظ، والشيخ عباس علي محقق، والشيخ علي أكبر مدقق، والشيخ محمد القوجاني وغيرهم.

ومدينة مشهد ذات مكانة مؤثرة في كل إيران باعتبارها مزارًا لجميع الإيرانيين لاحتضانها مرقد الإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت، وعلمائها ذوو نفوذ كبير بين جميع المتدينين. ومن هنا فإن موقف حوزة مشهد زلزل عرش "رضا شاه" الذي اضطر إلى إرسال وفد من البلاط والحكومة إلى الشيخ عبد الكريم الحائري في قم والتعهد بالكف عن كثير مما اعترض عليه علماء الدين مؤكّدًا "أننا لم يكن لدينا في أي وقت من الأوقات

وحيث توجّ "رضا خان" نفسه وأصبح "رضا شاه" بهلوي وصرح بنواياه تجاه الحوزة ومظاهر الدين، تحركت الحوزة العلمية في اتجاهين:

الأول - يتمثل في حوزة قم بزعامة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري الذي اهتم بالمحافظة على الحوزة من التمزق والانحيار أمام ضغوط "رضا شاه" محتفطًا بقدر أدنى من العلاقة مع الحكومة رأى هذا التيار أنها ضرورية لعملية صيانة الحوزة.

والثاني - تمثل في حوزة مشهد بخراسان، وكان اتجاهًا ثائرًا مارس تعبئة الجماهير عن طرق إصدار البيانات الراضية ودفع خطباء المنبر لاستشارة الناس.

ومن علماء مشهد الذين دخلوا ساحة مواجهة "رضا شاه" وواجهوا السجن والنفي والإهانة: آية الله السيد عبد الله الشيرازي، وآية الله سيد يونس

هدف سوى عظمة الإسلام وشوكنه ورعاية مقام واحترام رجال الدين". ولكنه يستمر في مشروعه لفصل إيران عن دائرة الحضارة الإسلامية.

لا يفوتنا هنا أن نذكر أن المتغربين الذين ظهرت بداياتهم منذ العصر الصفوي والماسونيين، كانوا يناصرون "رضا شاه" ويؤقرون له الأجواء المطلوبة في مجلس الشورى الوطني والمحافل الأدبية والإعلامية. ثم تشب الحرب العالمية الثانية وتعلن إيران حيادها في هذه الحرب، لكن الحلفاء تذرعو بأموار واهية فدخل الجيش السوفييتي ليجتاح شمال إيران، والجيش البريطاني ليسيّطر على الجنوب، وفي سنة ١٩٤١ اتجه الجيشان إلى طهران، وفي نفس اليوم قدّم "رضا خان" استقالته تاركاً العرش لابنه محمد رضا بهلوي، وأخذ إلى جزيرة موريس.

محمد رضا بهلوي والحوزة

تولى محمد رضا العرش في فترة بائسة من فترات تاريخ إيران، حيث الجيوش السوفييتية والبريطانية تحتل البلاد، والجوع والفوضى عامة. حاول الابن أن يصلح ما أفسده والده، فألغى حظر الحجاب ومجالس الذكر، وحاول إعادة ما نهبه والده من الناس وخزائن الدولة، ومثل أمام القضاء مرتكبو جرائم عصر رضا بهلوي. لكن الأمور كانت بيد بريطانيا والاتحاد السوفييتي يسيّران الأوضاع وفق مصالحهما، وقد يختلفان في الأمر لكنهما يعودان إلى الاتفاق نظير اتفاقهما مع حكومة إيران على الانسحاب بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب، على أن تضع الحكومة تحت تصرفهما كل الطرق والإمكانات للحركة والتنقل.

وفي هذه الفترة بالذات نشطت العناصر الإيرانية الموالية للغرب في إشاعة فكرة عزل الدين عن الحياة تحت عنوان ضرورة عدم تدخل الدين في السياسة، وفي إشاعة حرب نفسية ضد الحوزة العلمية، كي

يعتقد الناس ويعتقد علماء الحوزة أنفسهم أنهم متخلّفون ولا يصلحون لإبداء أي رأي في السياسة والمجتمع.

في مثل هذا الجو المفعم بالنظرة السلبية إلى علماء الدين نهض آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني ليكسر الطوق المفروض على الحوزة. وما كان الكاشاني بحاجة إلى مقوم لنهضته سوى مقاومة الهزيمة النفسية، وكان يمتلك ذلك لأنه -إضافة إلى خصائصه الذاتية- قد مارس مقاومة المحتلين منذ شبابه حين اشترك في ثورة العشرين في العراق ضد البريطانيين، وتحقق بجهد علماء الدين انتصار الدم على السيف أو "المكوار على الطوب" بتعبير العشائر العراقية. وهذا الانتصار منح الكاشاني معنوية نرى آثارها منذ وروده إيران. فبدأ بإيقاظ الناس ضد الاحتلال البريطاني، مما استفز الجيش البريطاني المحتل. في سنة ١٩٣٤ اقتحم عدد من الضباط البريطانيين بيت الكاشاني لاعتقاله لكنهم لم يعثروا عليه. ثم اعتقلوه في فترة تالية وأبدى من الصمود في المعتقل ماشاع على الأفواه واستقطب المشاعر والعواطف. ومن هنا بدأت حركة جماهيرية جديدة في إيران أدت إلى نهضة تأميم النفط.

منذ سنة ١٩٤٣ بدأت أمريكا بالبحث عن موضع قدم لها في إيران، وبدا ذلك عن طريق استخدام مستشار اقتصادي لإنقاذ أوضاع البلاد المتدهورة، ثم تقاطر المستشارون العسكريون. في أذربيجان وكردستان ظهرت حركات يسارية انفصالية قوية، وكان ارتباطها بالاتحاد السوفييتي لا يحتاج إلى استدلال كثير. ونشط حزب "توده" ليدافع عن مصالح الاتحاد السوفييتي في إيران، من هنا ازداد الاعتماد على أمريكا للقضاء على المطامع السوفيتية في إيران. قدرة بريطانيا وأمريكا في

بعد توالي سقوط الوزارات وقع الاختيار على "عبد الحسين هجير"، وكانت له من القدرة والتجربة والحنكة ما ظن أنه قادر على أن يعيد دكتاتورية "رضا شاه" إلى البلاد، ويكّم الأفواه. قال له الشاه: لا تستطيع أن تحكم إلا إذا استطعت أن ترضي الكاشاني، لكنه لم يستطع أن يحصل على موعد لقاء من الكاشاني!

كان هجير واثقاً من قدرته على الحكم، لأنه مسنود من بريطانيا، ولذلك فإنه سيحصل على ثقة مجلس الشورى الوطني الذي سيطرت بريطانيا على أكثرية أعضائه سوى أقلية سميت بكتلة الأقلية، ومنهم الدكتور مصدق. كما أنه أعد نفسه للبطش بكل معارضة.

في هذه الأجواء أصبح بيت الكاشاني خلية نحل تموج حوله الجماهير المعارضة الساخطة. وحين انعقد المجلس ليمنح الثقة لوزارة هجير، تحركت مسيرة جماهيرية صاحبة من بيت الكاشاني إلى مقر المجلس ترفع أمامها مصحفا كبيرا وراية خضراء، وشعار الناس: "نصر من الله وفتح قريب" و "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً".

لكن المسيرة واجهت إطلاق النار، فقتل جمع وجرح آخرون وحصل هجير على ثقة المجلس.

في تلك الأيام كانت حركة "فدائيان إسلام" قد تشكلت بقيادة "نواب صفوي". وهو رجل دين من الحوزة العلمية، تبنى نفس أهداف الكاشاني لكنه لم يكتف على الصعيد العملي بالخطب، بل مارس أيضاً عمليات الاغتيال كما سنرى. والكاشاني كان يؤيد حركة فدائيان إسلام بما في ذلك عمليات اغتيالها.

وفي هذه الفترة بالذات خلقت السياسة البريطانية كارثة أخرى في فلسطين، فقد قامت دولة إسرائيل تحقيقاً لوعده بلفور، وكانت كل

إيران أفشلت سياسة الاتحاد السوفيتي في السيطرة على نفط شمال إيران، وبقي النفط الإيراني بيد بريطانيا تنافسها أمريكا.

مشروع الكاشاني في مواجهة بريطانيا وأمريكا

شعار الكاشاني تلخص في طرد الإنجليز من إيران. وكان يقرن شعاره هذا بما يرتبط بعقيدة المسلمين القاضية بعدم جواز سيطرة الطامعين على بلاد المسلمين. ثم إن هذا الشعار كان يصدر من "آية الله" بكل مالهذه الكلمة من عمق في الوجدان الديني الإيراني. ومن مظلوم يعيش بين السجن والنفي، و المظلومية تذكر الشيعة بكل دماء المظلومين من أهل البيت. ومن هنا كانت كلمة الكاشاني تفعل فعلها كالنار في الهشيم، كما صور ذلك خبر تصوير محمد حسنين هيكل الذي عاش بنفسه في إيران إبان تلك الأحداث وصورها في كتابه "إيران فوق بركان".

منذ تولي محمد "رضا شاه" أمور البلاد تشكلت عدد من الحكومات لم يبق كل منها أكثر من بضعة أشهر، وكانت تسقط أمام الضغوط الشعبية ووراءها الكاشاني. كان مشروع الكاشاني في الظاهر تأميم نفط إيران، لكنه كان يتجه نحو تخليص إيران من النفوذ الأجنبي وإعادة إيران إلى حضيرة العالم الإسلامي.

من هنا نراه في كل خطبه ونداءاته يركز على ضرورة التخلص من كل عوامل انحطاط إيران النفسية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ولا يمكن ذلك إلا بعودة الأمة إلى أصالتها وهويتها الدينية. كان يرى أن مشكلة الشعب الإيراني هي هزيمته النفسية بشكل عام، وتبعية مثقفيه بشكل خاص أمام الغزو الاستعماري. من هنا اهتم كثيراً أن يعيد الثقة إلى نفوس الجماهير ويعيد إليها إيمانها بقدرتها على أن تمسك زمام أمورها وتحرّر مقدراتها من سيطرة الأجنبي.

الظروف الشعبية في إيران مؤهلة لأن يشهد هذا البلد المسلم أول رد فعل شعبي عارم في العالم الإسلامي تجاه احتلال فلسطين.

كان الكاشاني في خطبه يهتم بربط إيران بقضايا العالم الإسلامي تحقيقاً لهدفه في وحدة الأمة الإسلامية، وجاءت قضية فلسطين ليستثمرها في هذا السبيل. عقد الكاشاني اجتماعاً جماهيرياً ضخماً أوضح فيه أبعاد جريمة احتلال فلسطين، وأسفر عن استعداد آلاف المتطوعين للجهاد في فلسطين، لكن "هجير" عارض ذلك. وبقيت حركة التعاطف مع القضية الفلسطينية حادة متدفقة في الشارع الإيراني حتى توفي الكاشاني. وقد حاول الكاشاني ونواب صفوي خلال هذه الفترة إيجاد ارتباط بين الحركة الشعبية الإيرانية المناصرة لفلسطين مع العالم العربي والإسلامي، لكن الظروف البائسة في تلك الفترة أحبطت تلك المحاولات.

في سنة ١٩٤٩ تعرّض الشاه لعملية اغتيال، فسارع البريطانيون لاستغلال الحدث وإعلان حالة الطوارئ في إيران، ونفي على أثر ذلك آية الله الكاشاني إلى لبنان. لم تهدأ المقاومة الجماهيرية، وكان الكاشاني على اتصال بها عن طريق البيانات. فسقط "هجير"، وتولى رئاسة الحكومة "ساعد" الذي سقط هو الآخر، وبعد الضغوط الشعبية عاد الكاشاني إلى طهران سنة ١٩٥٠ بعد مضي سنة ونصف السنة في المنفى فاستقبل استقبالاً مدهشاً. وبهذه العودة قوية شوكة المطالبة بتأميم النفط، لكن البريطانيين اختاروا جنراً لا يتولى رئاسة الوزراء في إيران علّه يضبط الأوضاع، وهو الجنرال الحاج علي رزم آرا، عارضه الكاشاني وأعلن أنه عميل للأجانب.

قبل عام من عودة الكاشاني (١٩٤٩) كانت قد تشكلت الجبهة الوطنية من النواب المعارضين (الأقلية) في المجلس الوطني، ومنهم الدكتور

مصدق. الجبهة الوطنية عارضت اختيار رزم آرا أيضاً، لكن كل المعارضات جوبهت برد عسكري عنيف، أوشكت الأنفاس أن تختنق في الصدور لولا أن تدارك الوضع رجل من فدائيان إسلام اسمه خليل طهماسبى فأطلق عدة رصاصات على الجنرال رزم آرا فأردته قتيلاً، وقبض على القاتل لكن الكاشاني سرعان ما أعلن أن قاتل رزم آرا قد أدى ما عليه من خدمة لوطنه وشعبه وأمته ولا بد أن يطلق سراحه. شكلت هذه الحادثة منعطفاً في تاريخ إيران المعاصر، إذ لم يجرؤ بعدها أحد من خدمة الإنجليز أن يرشح نفسه لتولي رئاسة الحكومة، ولم يجرؤ أعضاء المجلس أن يمنحوا الثقة لعميل.

لا بد أن نذكر أن الجبهة الوطنية حين تشكلت كان الكاشاني في منفاه بلبنان، فأرسل برقية تأييد للجبهة، مما يدل على اهتمامه بضرورة تجميع كل الطاقات الوطنية والدينية لإنقاذ البلاد من يد الناهيين. استثمر الكاشاني كل الظروف لتصعيد الضغط، مما أدى بالأمر إلى أن يصادق المجلسان (مجلس الشورى ومجلس الأعيان) على مشروع تأميم النفط.

ضمن خطة بريطانيا منذ الخمسينيات في إشراك أمريكا لتنفيذ أهدافها، ولمواجهة الموقف في إيران بعد قرار التأميم، أرسلت بريطانيا وفدًا إلى واشنطن لاتخاذ سياسة مشتركة تجاه إيران! لوحّت بريطانيا بممارسة القوة عن طريق إرسال أساطيلها إلى مياه المنطقة، وفي هذه الأثناء طرح اسم الدكتور مصدق ليكون رئيساً للوزراء، فقد كان رئيساً للجنة النفط في مجلس الشورى الوطني كما كان على رأس الجبهة الوطنية، وعرف بارتباطه بآية الله الكاشاني، وصادق المجلس عليه، وتشكلت حكومة أنيط بها مسؤولية تنفيذ قرار التأميم.

كان من المفروض أن يفهم مصدق أن عودته إلى الحكم تمت بفضل الروح الدينية لدى الجماهير، ويفهم قدرة الدين على تصعيد روح الصبر والمواصلة والمقاومة، لكنه هو والجهة الوطنية تعاملوا بعد ٣٠ تير بشكل يوحي بأنهم اتجهوا إلى الحد من نفوذ الكاشاني في المجتمع، وإلى نوع من انفصال الدين عن المسائل الحياتية، كما اتجهوا أيضاً إلى نوع من المساومة والتنازل بشأن مسألة النفط أمام بريطانيا وأمريكا.

حاول الكاشاني أن يغطي على خلافاته مع هذا التوجه الجديد للجهة الوطنية ومصدق، لكن هذه الخلافات طغت بالتدريج على السطح، أحس الكاشاني بأن أمريكا تستهدف القيام بانقلاب عسكري ضد الحكومة الوطنية القائمة، ومن هنا كثف نشاطاته على محور تعبئة الجماهير والاتصال بشخصيات العالم الإسلامي، ليعطي للنهضة صفة إسلامية عالمية، ودعم الحكومة الوطنية. وحين تمادت الجهة الوطنية في تحجيم نشاطات الكاشاني كتب رسالة تاريخية إلى الدكتور مصدق بين له جهوده في حفظ معنويات الساحة وتصرفات الحكومة المفضية إلى الانعزال عن الجماهير، ثم حذّره من مؤامرة أمريكية بقيادة الجنرال "زاهدي"! وهذا ماتم بالضبط، فقد حدث انقلاب عسكري على مصدق بقيادة الجنرال زاهدي!

أما كيف تم هذا فباختصار:

"كروميت روزفلت" المعروف باسم "كيم" ابن أخ الرئيس الأمريكي الأسبق ثيودور روزفلت وعضو وكالة الاستخبارات الأمريكية، كُلف بأداء مهمة الانقلاب بالتعاون مع المستشارين العسكريين الأمريكيين في إيران وعملاء بريطانيا، والخطة اقتضت استثمار الوضع الاقتصادي المتردي لإثارة مجموعات من الناس المترزقة إلى الخروج في شوارع طهران والهجوم على المرافق الحيوية مرددة شعارات مؤيدة للشاه. وعقب ذلك تحرّكت

وقف الكاشاني بقوة وراء الحكومة الجديدة لتنفيذ أهدافها، لكن مشروع التأميم واجه - إضافة إلى التهديد العسكري - حصاراً اقتصادياً رهيباً، فقد خرج العاملون الأجانب في حقول النفط بالجملة من إيران، والخبرة الإيرانية في مجال استثمار النفط كانت متواضعة، ولم تعد أية جهة تشتري النفط الإيراني، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى أزمة اقتصادية شديدة في داخل إيران، لكن الكاشاني وقف بكل ما أوتي من قوة يعبئ الجماهير ويوصيها بالصبر والمصابرة ومواصلة الطريق.

وفي خطوة أخرى سعى الكاشاني إلى تحويل قضية إيران إلى قضية إسلامية، داعياً الأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة - عن طريق بيانات مدونة بالعربية - إلى توحيد الصف ونبذ الخلاف والاتجاه نحو وحدة سياسية واقتصادية لمواجهة الغزو الاستعماري والبريطاني بشكل خاص.

وبعد انتخاب الدورة ١٧ لمجلس الشورى الوطني سنة ١٩٥٣ أقر إبقاء الدكتور مصدق في رأس الوزارة، وكان ذلك طبعاً بفضل الجوّ الشعبي العام الذي هبّه كاشاني، لكن مصدق قدّم استقالته وترشّح أحمد قوام السلطنة لرئاسة الوزارة. وأحمد قوام مسنود بالشاه وبالماسونية وبأسرة ذات ثروة وجاه. حاول قوام أن يسترضي الكاشاني، لكن كاشاني أعلن أن قوام ذو حياة سياسية مليئة بالخيانة والظلم والجور، وقد أثبت خيانتته مراراً ومحكمة الشعب قد أصدرت حكمها النهائي بإنهاء حياته السياسية.

وحين أصرّ قوام على إنهاء كل مقاومة تجاه حكومته دفع الكاشاني جماهير الشعب لانتفاضة عامة في ٣٠ تير (٢١ تموز)، ودخلت الدبابات الشوارع لمواجهة الناس وشاع الخبر أن آية الله الكاشاني لبس الكفن ونزل إلى الشارع، واستمرت الاشتباكات حتى اضطر الشاه إلى عزل قوام، وتولى مصدق رئاسة الوزارة للمرة الثانية.

وحدات من القوات العسكرية بهدف ضبط الأوضاع! وأول مافعلته أن استولت على الإذاعة، وفي ظهر ٢٨ مرداد (١٧ آب) أعلن الجنرال زاهدي سقوط مصدق، وأعلن نفسه رئيساً للوزراء.

وكانت الخطة تقتضي أيضاً أن يخرج الشاه من إيران قبل تنفيذ الانقلاب، فذهب إلى بغداد، ولكن السفير الإيراني في العراق كان من أنصار مصدق، فاضطر أن يذهب إلى روما. وبقي هناك حتى استتبّت الأوضاع بيد زاهدي فعاد، ومع عودته بدأت مرحلة جديدة من السيطرة الأمريكية على إيران.

موقف الحوزة من فترة السيطرة الأمريكية

في هذه الفترة ساد نوع من الإحباط في الأوساط الجماهيرية، من هنا فإن الشعب الإيراني لم يتحرك لمواجهة انقلاب ٢٨ مرداد كما تحرك في محاولة انقلاب ٣٠ تير، بسبب انفصال الحكومة عن العاطفة الدينية للجماهير. غير أن الكاشاني حاول أن يواصل مواقفه، وبذلك تعرض للسجن وهو في الثمانين من عمره. ومجموعة "فدائيان إسلام" قُمت بعد إعدام نواب صفوي ورفاقه من أعضاء الحركة. ويدفق المستشارون الأمريكيون ليسيظروا على الجيش وعلى جهاز الأمن الذي عرف بالسواوك. وتوثقت العلاقات مع إسرائيل، ونشط اليهود وعملاء إسرائيل المتمثلون بأتباع البهائية في إيران، ومهدت أمريكا لأن تركز كل السلطات بيد الشاه، وما عاد للحكومة ومجلس الشورى الوطني مكانة تذكر في إدارة شؤون البلاد وشُنت حملة دعائية واسعة اشترك فيها، دون اتفاق مسبق، حكومة الشاه والقوميون واليساريون لتشويه سمعة الحوزة وفصلها عن عواطف الناس.

وأمام هذه الحالة الجديدة أمسك بزمام الحوزة رجل كبير سار على طريق الشيخ عبد الكريم الحائري -المر ذكره في عصر "رضا شاه" - وهو آية الله السيد حسين البروجردي. هذا الرجل تحرك بحكمة بالغة وفق ما تقتضيه مستجدات الساحة فبعث نشاطاً بالغاً في الدراسات الفقهية والأصولية

والحدیثیة، مؤسساً مدرسة جديدة في الحركة الاجتهادية للحوزة تقوم على أساس الانفتاح على المذاهب الاسلامية الأخرى ودراسة أحاديثها. وفي حقل الدعوة نشط في ربط الجماهير بعلماء الدين عن طريق نشر العلماء (المسمون في إيران بالروحانيين) في جميع أرجاء البلاد، واستثمار المسجد والمنبر والتقليد، والمواسم الدينية لربط الناس بالدين ورجاله، وكان له موقف في محاربة البدع والتحجر الفكري، كما كان له دور بارز في تقريب المذاهب الإسلامية، وخاصة بين السنة والشيعة عن طريق إقامة علاقات مع أئمة الأئمة. وبقي الرجل في هذا المركز العلمي الدعوي القيادي حتى سنة ١٩٦١ وفيها توفي ثم توفي الكاشاني في السنة التالية، وكانت عظمة تشييع جنازة البروجردي ومجالس العزاء التي أقيمت له في إيران وخارج إيران مؤشراً مهماً على مدى نجاح الرجل في أن يمد نفوذه إلى قلوب الملايين من الإيرانيين وغير الإيرانيين.

تحول في السياسة الإيرانية وموقف الحوزة منه

رغم أن الشاه حاول أن يسيطر على الأوضاع في إيران منذ سقوط حكومة مصدق سنة ١٩٥٣م، إلا أن الشعب الإيراني أصبحت له تجارب نضالية متراكمة كانت أولها في هذا القرن حركة المشروطة وبلغت ذروتها في حركة تأميم النفط، كما أن الأحزاب والمجموعات الوطنية واليسارية والاسلامية التي تشكلت منذ بداية هذا القرن أيضاً كان لها الأثر في توعية الجماهير. أضف إلى ذلك وجود الحوزة العلمية التي لا يجوز لها شرعاً أن تقف مكتوفة الأيدي أمام الغزو الأمريكي والتغلغل الصهيوني في إيران. من هنا ما كان للوضع القائم بإمكانه أن يستمر، ومصلحة استمرار الهيمنة الأمريكية تقتضي إجراء يضمن بقاء هذه المصالح.

منذ بداية الستينات اتجهت السياسة الأمريكية في عهد جون اف كندي إلى إجراء "إصلاحات"

الشاه الإصلاحي الجديد. وحشد مراجع قم لهذا التصدي وعلى رأسهم: الشريعت مداري، والكلبايكاني، والمرعشي النجفي.

وتميز خطابه آنئذ بما يلي:

١- عدم مناقشة تفاصيل المشروع بل تصدى له بمجموعه، باعتباره مشروعاً أمريكياً يستهدف استمرار الهيمنة ومصادرة عزة إيران وكرامتها.

٢- فضح السياسة الأمريكية في إيران والمطالبة بإخراج المستشارين الأمريكيين، ومهاجمة الحكومة المؤتمرة بأوامر أمريكا.

٣- نصح الشاه أن يعتمد على شعبه بدل الاعتماد على أمريكا.

٤ - إدانة أي ارتباط بإسرائيل، والمطالبة بتطهير أجهزة الدولة من الصهانية وعملائهم.

٥- تعبئة الجماهير عن طريق استشارة عواطف "المظلومية" لدى الشعب الإيراني.

٦- التأكيد على دور الدين وعلمائه في تحرير البلاد من التدخل الأجنبي، وعدم انفصال الدين عن السياسة.

٧- الاستناد إلى القاعدة الشعبية في ضغطه على الشاه، حتى أنه خاطبه مرة: "لو تماديت في أعمالك سأقول للشعب أن يطردوك".

هذه المواقف سحبت أولاً البساط من تحت أقدام الأحزاب اليسارية التي كانت تزايد في معارضة التدخل الأمريكي، وأصبحت الحوزة في طليعة هذه المعارضة بقوة. ثم إنها أحبطت كل المحاولات التي أرادت إلقاء فكرة فصل الدين عن السياسة وفكرة تخلف علماء الدين.

دفع الإمام الخميني بنهضته الحوزة العلمية إلى مركز قيادة الشعب الإيراني، خاصة بعد أن تطورت الأوضاع، وبعد الهجوم على المدرسة الفيزية في حوزة قم ومقتل الآلاف في طهران وقم. وما كان

في البلدان التابعة، لدفع شعوب هذه البلدان في اتجاه تطبيع علاقاتها مع أمريكا وإزالة الحواجز أمام عملية التطبيع، وأهم حاجز هو الهوية الوطنية والدينية لشعوب هذه البلدان. وكان لابد أن تقترن هذه السياسة بحرية نسبية شهدتها المجتمع الإيراني آنئذ أعادت شيئاً من الحياة إلى الأحزاب الدينية والوطنية. وفي هذا الجو "التطويري" للحياة في إيران أعلن الشاه لائحة الإصلاحات. استغل الإمام الخميني كل هذه الظروف الجديدة فأعلن نهضته التي انتهت بانتصار الثورة الإسلامية.

الإمام الخميني والحوزة

تربى الإمام الخميني في حوزات "خمين" و "إصفهان" و "اراك" و "قم" وكان يمتاز بالجد في طلب العلم، وأصبح من كبار المجتهدين والأساتذة في حوزة قم. وكان متميزاً عن غيره من العلماء والأساتذة بما يلي:

١- الجد والاجتهاد في الدراسة والتدريس، حتى كان درسه في قم من أكثر حلقات الدرس جداً ونشاطاً وحركة.

٢- الاهتمام بالتزكية وتهذيب النفس والتربية، فكان يخصص وقتاً لتربية طلابه على التقوى والزهد والاهتمام بكبار الأمور.

٣- الاهتمام بالفلسفة والعرفان في جو كان يرفض الاشتغال بالفلسفة ويرى عدم اختلاف العرفان عن شطحات الصوفية.

٤ - الوعي على دسائس المستعمرين وخططهم، مما حدى به أن يكتب في وقت مبكر من حياته كتاب "كشف الأسرار" وفيه يبين ما يحيط بالعالم الإسلامي من خطط للهيمنة عليه.

وتدوينه لهذا الكتاب لا يعني أنه كان يمارس عملاً سياسياً، بل كان حتى وفاة آية الله البروجردى عام ١٩٦١ معروفاً فقط بالنشاط العلمي التدريسي والتربوي. بعد هذا التاريخ تصدى الإمام لمشروع

أمام نظام الشاه غير البطش بكل قسوة، فاعتقل الإمام الخميني، ثم نفاه إلى تركيا سنة ١٩٦٣ ومنها ذهب الإمام إلى النجف في العراق لتبدأ مرحلة جديدة من النهضة.

الحوزة العلمية بعد سنة ١٩٦٣

حين كان الإمام الخميني في المعتقل زاره رئيس منظمة الساواك وقال له: "السياسة تحتاج إلى أولاد حرام ولا تناسب علماء الدين" فأجابه: "السياسة التي تتحدث عنها أتركها لك". فالإمام أعطى بمواقفه مفهوماً جديداً للسياسة بعيداً عن المعنى الشائع المقترن بالتضليل والميكافيلية، كما أن الضابط الذي أخذه للنفي قال له: "إن أنصارك جميعاً خلدوا إلى السكوت وتراجعوا عنك بعدما واجهوا القوة". أجابه: "إن أنصاري هم الأطفال الذين يرقدون الآن في مهدهم". وبهذا شد الإمام أمله في الشباب الذي سيظهر على الساحة بعد ١٥ عاماً. هذان الأساسان: تطوير مفهوم جديد للسياسة، والثقة بالمستقبل، هما اللذان اعتمدهما الإمام في حركته خلال ١٥ عاماً من إقامته في المنفى.

وفي مدينة النجف واصل الإمام نهضته في إطار الحوزة عن طريق إلقاء دروس في "الحكومة الإسلامية" أو "ولاية الفقيه"، وبذلك صاغ نظرية في الحكم الإسلامي تستند إلى أصالة فقهية، وبهذه النظرية جعل إسقاط الحكم الملكي القائم في إيران ضرورة شرعية. وكان يرتبط بإيران عن طريق البيانات المكتوبة أو المسجلة على أشرطة الكاسيت يعلن فيها موقفه من كل قضية وحادثة تمر بإيران. كما كان يستثمر فرصة الحج ليوزع بيانات بين الحجاج بشأن ما يجري في إيران، وكان يركز في بياناته على قضية فلسطين وعلى التغلغل الصهيوني في إيران.

وفي داخل إيران تواصلت حركة الحوزة بشكل خاص في قم وطهران ومشهد. في مدينة قم تواصلت النهضة عبر تلامذة الإمام الخميني وخاصة الشباب منهم، وكانوا جادين في نشر بيانات الإمام في

جميع أرجاء إيران، وفي مواصلة الحركة الفلسفية العرفانية التي بدأها الإمام، وكان للعلامة محمد حسين الطباطبائي دوره المهم في ترسيخ أسس الدراسات الفلسفية في الحوزة، ثم العلامة مرتضى مطهري تلميذ الطباطبائي والخميني كان له أيضاً دور هام في نشر الدراسات الفلسفية العرفانية، في قم أولاً، ثم في طهران بعد انتقاله إليها. ولم يترك أنصار الإمام الخميني في داخل إيران مجالاً إلا ولجوه لبث الفكر الإسلامي الأصيل بين الشباب، فقد دخلوا الجامعة وعلى رأسهم العلامة مرتضى مطهري، ودخلوا وزارة التعليم من مثل محمد علي رجائي، ومنهم من دخل حقل تدوين الكتب الدراسية مثل محمد رضا باهنر، ومرتضى مطهري في طهران كان أسطورياً في نشاطه، فقد كان رجل تأليف وخطابة وتدریس وتنظيم ومواقف، ألف في كل مجال إسلامي تحتاجه الساحة، ابتداء من "داستان راستان" وهو كتاب قصص الصالحين، للأطفال والناشئة، حتى أعمق الدراسات الفلسفية للمتخصصين. وكان خطيباً من الدرجة الأولى على المنابر وعلى منصة "حسينية ارشاد". وكانت خطاباته في الواقع دروساً في الفكر والعقيدة والمجتمع، كما درّس في الجامعة ليرتبط فكرياً بالشباب الجامعي.

وعلى المستوى التنظيمي أسس جمعية تسمي في الفارسية بـ "جمعية مؤتلفه إسلامي"، وهدفها تعميق المحتوى الأيديولوجي للنهضة. وفي مجلس علمائها بهشتي، وباهنر، وهاشمي رفسنجاني، وعدد آخر من العلماء، أسسها بعد نفي الإمام الخميني، وكان ممثلاً للإمام فيها. ومواقفه كانت ذات أثر كبير على مواجهة الانحراف الفكري في المجتمع، فقد واجه المد اليساري المادي بدراسات ومحاضرات معمقة، وواجه الفكر الإسلامي الالتقاطي المهزوم أمام الفكر الليبرالي أو أمام الفكر الماركسي ببيان مافيه من انحرافات. كما واجه التيار القومي، الذي ركز على إيران ما قبل

لتؤتي أكلها. فحانت هذه الفرصة سنة ١٩٧٧.

الحوزة والثورة الإسلامية

ارتبطت الثورة الإسلامية بالحوزة والإمام الخميني حتى يمكن أن نطلق عليها اسم المرحلة الثانية من نهضة الإمام. فالشرارة الأولى التي فجرتها سنة ١٩٧٧ كانت وفاة السيد مصطفى الخميني نجل الإمام في النجف بصورة غامضة. أقيمت مجالس الفاتحة، مما استفز النظام فدفع أحد كتابه لأن ينشر مقالاً يتهجم فيه على الإمام الخميني. على أثر هذا المقال خرجت مظاهرة عفوية صغيرة في مدينة قم اتجهت إلى بيوت كبار علماء الدين (المراجع) للاعتراض على المقال. يبدو أن النظام بدأ يتحسس من الخطر المحدق به من جراء عمل متواصل استمر ١٥ عاماً من قبل الإمام وأنصاره، فأمر بإطلاق النار على المظاهرة سقط فيها عدد من القتلى، أقيم لهؤلاء مجلس تأبين في تبريز فهاجمه النظام وقتل عدداً من الحاضرين في المجلس، وتوالت مجالس التأبين في المدن وسقوط عدد من القتلى، وكان ذلك مقدمة خروج مسيرات عظيمة من الشباب والرجال والنساء، وبداية إضرابات واسعة عمّت كل القاطعات. فقد النظام صوابه وبدأ الشاه يغير رؤساء الوزارات، ثم خرج في التلفزيون معذراً، ولكن ذلك لم يغير الموقف، فالإمام يصدر النداءات تلو النداءات يطالب الشعب بالمواصلة حتى اقتطاف الثمار.

ضغط النظام على الحكومة العراقية لكي تمنع الإمام من البقاء في العراق، اتجه أولاً عن طريق البر إلى الكويت فأغلقت الحدود بوجهه، قفل راجعاً إلى النجف، ومنها إلى بغداد ليتجه إلى باريس. كان الشاه قد خرج من إيران جاعلاً السلطة بيد آخر رئيس وزراء لنظامه هو الدكتور شاهبور بختيار. حاول بختيار بما له من رصيد في الجبهة الوطنية أن ينقذ الموقف، لكن تدفق الجماهير

الإسلام، بقوة وألف فيه كتاب "الخدمات المتبادلة بين إيران والإسلام" ردّ فيه على كل تزيف لحقائق الفتح الإسلامي لإيران، ودافع عن الفاتحين، ورفض باستدلال مسهب مقولة دخول الإسلام في إيران بالسيف. كما كان لا يترك فرصة إلا ويذكر الناس فيها بمأساة فلسطين وبضرورة مناصرة المجاهدين الفلسطينيين. ولا يفوتنا أن نذكر مواقفه في محاربة البدع والخرافات والتجبر والتقاليد الخاطئة التي تتقمص صفة الدين.

وفي حوزة مشهد كان السيد علي الخامنئي الوجه البارز في الحقلين الثقافي العلمي والسياسي الجهادي معاً، وكان حوله جمع من طلبة العلوم الدينية الشباب، والسيد الخامنئي كان منذ بداية نهضة الإمام الخميني حلقة وصل بين قم وعلماء مشهد. ومنذ ذلك الوقت حتى سنة ١٩٧٨ عاش بين المنبر وقاعة الدرس والتدريس وتربية الشباب، وبين السجن والمنفى. والواقع أن الذين وصلوا نهضة الإمام الخميني في الحوزة كانوا يعملون على شاكلتين:

الأولى - النشاط الفكري والعملية دون الاصطدام بالسلطة ودون تحمّل السجن والنفي مثل: مطهري وبهشتي وباهنر. والثانية - الجمع بين النشاط الفكري العلمي والعمل السياسي المناهض للسلطة، وهؤلاء كانوا يتعرضون باستمرار للسجن والنفي، كالسيد علي الخامنئي والشيخ هاشمي الرفسنجاني. غير أن الجميع كانوا يعتمدون على "الكلمة" في عملهم.

أما سلطة الشاه فكانت تعتمد في بقائها على عدة وسائل:

منها البطش، ونشر الفساد الخلقي، وشراء الذمم، وقوة الساواك، يساعدها في ذلك المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية.

غير أن الكلمة كانت ثابتة في النفس وذات عطاء مستمر في السلوك، أما وسائل الشاه فلم يكن لها أساس ولا جذور ولا قرار. وتحيّنت الكلمة الفرصة

الحوزة والنظام الجديد

بعد الانتصار اهتم الإمام الخميني في خطابه إلى الحوزة بتذكير أفرادها بأنهم انتهوا من الجهاد الأصغر، وقد حان الجهاد الأكبر، فلا تغرّنهم السلطة، ولا تشغلنّهم الصغائر، ولا يساورنهم فكر اقتطاف الثمار المادية. وقدم الرجل بنفسه أعظم أمثلة الزهد والقناعة والابتعاد عن المظاهر. كما كان يوصيهم بشكل مركز على ضرورة تجاوز الذات والابتعاد عن الأنا والذوبان في المبدأ، والإيمان بأن كل مقاليد الأمور بيد الله سبحانه، وهذا الذي حدث من انتصار ليس من يدنا إنما هو من فضل الله وكان يردد دائماً: "وما رميت إذ رميت" ويأتي بالشواهد الكثيرة على ذلك. غير أن الذات حين تكون متورّمة متضخّمة يصعب تذليلها، ولذلك برزت في الحوزة تصرفات تدل على هذه الصعوبة. من ذلك أن مرجعاً من المراجع هو السيد كاظم شريعت مداري حاول أن يشقّ وحدة الصف في تلك الظروف الخطيرة، لكن حكمة الإمام عزلته عن مكانته وبقي معزولاً حتى توفي رحمه الله. أما بقية المراجع فظلوا محتفظين بمكانتهم يدعمهم الإمام ويجلّهم ويحترمهم غاية الاحترام، وظلوا هم يواصلون دعم الثورة، ويرون وجوب الانضواء تحت الراية التي رفعها الإمام، والاستجابة لقراراته باعتباره الولي الحاكم المبسوط اليد.

وأشير هنا إلى موقف مرجع من مراجع النجف هو المفكر آية الله السيد محمد باقر الصدر، فقد كتب إلى الإمام يعلن عن "ذوبانه" فيه، ويبيد استعداداه لأن يكون "جندياً" من جنوده! وهو موقف كان له الأثر الكبير في دعم الثورة إضافة إلى ما قدمه من أفكار ودراسات فقهية وعلمية لتسيير المسيرة.

والخطاب الفقهي المهم الذي وجهه الإمام الخميني إلى الحوزة يتلخص في دخول عنصري "الزمان" و"المكان" في الاستنباط. أي أن الحكم

إلى الشوارع والمطالبة بعودة الإمام الخميني وإقامة الحكومة الإسلامية عمت كل مدن إيران وأريافها وقراها. فجأة وجدت الحوزة نفسها في موقع قيادة ثورة عارمة، فجندت كل المساجد وشكّلت فيها اللجان لإدارة شؤون المواطنين وشؤون الثورة، كما انتشر أفراد الحوزة في كل أرجاء إيران، ليوجهوا حركة الجماهير ويحولوا دون أي إفراط أو تفريط.

والواقع لم يكن دور السيطرة على الملايين الغاضبة التي تتعرض باستمرار لنيران العسكر أمراً هيئاً، خاصة لو أخذنا بنظر الاعتبار وجود عناصر تريد تشويه ثورة الجماهير ووصمها بالعنف والفوضوية. غير أن جماهيرية علماء الدين ومعرفتهم الشخصية بالناس في كل منطقة وقدرة تأثيرهم على المواطنين جعل الحركة الجماهيرية التي استمرت أشهراً طويلة في غاية الانضباط.

لقد تعرضت إحدى المسيرات في طهران لمذبحة بواسطة جيش الشاه، فأمر الإمام الخميني من منفاه أن تخرج المسيرة في اليوم التالي وتشر الزهور على سيارات القوات المسلحة، وهكذا فعلوا، وكان لذلك أبلغ الأثر في تعاطف الجيش مع الشعب والتحاقه سلمياً بالثورة في نهاية الأمر.

وكان للحوزة الدور أيضاً في تنظيم أمر استقبال الإمام حين عاد إلى طهران من باريس. وهو استقبال كان فيه عظمة بالغة كما انطوى على خطورة بالغة، لأنه جاء في وقت لا يزال بختيار رئيس وزراء الشاه في السلطة، والجيش وسائر القوات المسلحة خاضعة له، والأنباء تتحدث عن تحرك أمريكي لقمع الثورة ورجالها. ولكن الاستقبال تمّ بأروع صورة بفضل الجهود التي بذلتها لجنة الاستقبال التي شكّلت من علماء الدين. وبين عودة الإمام إلى إيران في ١٠ بهمن ١٣٥٧ هـ. ش (٢٩ / ١ / ١٩٧٩)، وإعلان انتصار الثورة في ٢٢ بهمن (١٠ فبراير شباط) مرّت عشرة أيام كان لكل ساعة من ساعاتها أحداث جسيمة مرعبة مرّت بسلام، وكان التحام الرّوحانيين بالناس أهم عوامل اجتياز تلك الأحداث.

الإسلامية، وأن تحول دون التغلغل الصهيوني في إيران، وأن تقف بوجه محاولات فصل إيران عن العرب والعالم الإسلامي، ثم أن تغير النظام الملكي وتغير المسار في إيران باتجاه استعادة الدور الحضاري للإسلام وإحياء المشروع الإسلامي للحياة.

وكان على الحوزة بعد هذا التغيير أن:

- تحافظ على علاقاتها الفكرية والعاطفية والدينية مع الأمة وأن لا تكون مراكز القوة والقرار التي بيدها عازلاً بينها وبين الشعب.

- ترتفع في مستوى خطابها الثقافي لتستطيع أن تواكب متطلبات العصر، وخاصة بعد انفجار المعلومات.

- تحصن نفسها من الاختراقات الأجنبية خاصة وأن نظام الحوزة مفتوح أمام الأموال التي تأتي من الخارج باعتبارها أموال خمس وزكاة، ومفتوح أمام انتساب الطلبة الإيرانيين وسائر المسلمين.

- ترتفع في مستوى تقواها وزهدها وابتعادها عن المال والمتاع، لكي تحافظ على مركزها في قيادة قلوب الناس وتكسب ثقتهم.

- تجعل خطابها عالمياً وإسلامياً بعيداً عن الطائفية والنظرات الضيقة، لكي تتفتح على العالم وينفتح العالم عليها.

- تحافظ على وحدة الشعب الإيراني عبر الترفع عن الولوج في الاختلافات الداخلية وتصون روح أئوتها لكل التيارات الداخلية.

لقد كان للحوزة بعد الثورة في هذه المجالات نجاحات وكان لها بعض الإخفاقات ومستقبلها يتوقف على دراسة نقاط قوتها وضعفها لتدعم مسيرتها عبر مراجعة مستمرة.

✻ المصدر: موقع: إيران والعرب، نقلاً عن مجلة: ثقافتنا - العدد ١، سنة ١٤٢٤ق.

الشرعي المستند إلى القرآن والسنة لابد أن يراعي المستجدات ويواكبها مع المحافظة على الأصول. وهذا يعني أنه وجه الدراسات الفقهية الحوزوية إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو توجيه حيي روح الاجتهاد في الفقه ويبيعه عن فترة الركود.

ثم كان للحوزة دور في دفع عجلة الدولة الوليدة إلى الاستقرار وسط أمواج عاتية من التحرك الدولي ضدها. فقد ساهمت في إجراء استفتاء عام بعد أقل من شهرين على انتصارها على نوع النظام الذي تختاره الجماهير. ثم توالى الانتخابات لترسيخ أسس الحياة الدستورية الشورية في البلاد، مثل انتخابات مجلس خبراء الدستور، وهو مجلس ضم في أغلبه علماء الحوزة العلمية، فأقر الدستور، ثم انتخابات رئاسة الجمهورية. وكان الرئيس الأول هو أبو الحسن بني صدر، انتخبته الجماهير لقربه من الإمام فكراً وعملاً كما بدا لأول وهلة، لكنه بدأ يسير في نفس طريق مصدق في الانفصال عن الحوزة العلمية، غير أن مجلس الشورى أقرّ عزله من منصبه.

ثم كان للحوزة دور مهم في الحرب الإيرانية - العراقية. فقد أدت دورها في التعبئة ورفع المعنويات، كما قدمت عدداً غفيراً من الشهداء. ونهضت الحوزة بأعظم دور في وفاة الإمام الخميني، فكل الرهانات الأجنبية كانت تتجه نحو انتهاء النظام في إيران ب وفاة المؤسس، لكن الحوزة ممثلة بمجلس الخبراء سرعان ما انتخبت الإمام السيد علي الخامنئي ليكون خلفاً للإمام الخميني، وساندته ووقفت وراءه، ولا تزال تسنده وتقف وراءه في مهمته الصعبة المتمثلة بحفظ مسيرة الإمام الراحل تجاه عمليات الغزو الثقافي والحرب السياسية والاقتصادية والإعلامية المعلنة والخفية ضد الجمهورية الإسلامية.

مستقبل الحوزة

خلال قرن من الزمن نجحت الحوزة - رغم ما اعتري مسيرتها من إخفاقات - أن تحارب الظلم والاستبداد. وأن تصد الطامعين الأجانب في ثروات البلاد، وأن تحافظ على أصالة الشعب الإيراني وهويته

الحوزة العلمية في قم: مئة عام من نشر المعارف الإسلامية الأصيلة

حجة الإسلام الشيخ علي أصغر مجتهد زادة



الاجتهاد- يعود تأسيس الحوزة العلمية إلى الأيام الأولى من بعثة الرسول الأكرم ﷺ. فمنذ اللحظة التي اختير فيها النبي للرسالة، بدأ تعليم معارف الإسلام. كان تبليغ الدين واجباً أولاه نبي الإسلام ﷺ اهتماماً خاصاً منذ بداية البعثة. وقد ازدهر هذا المنهج بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ونما بالتزامن مع اتساع نطاق الدعوة الإسلامية، وذلك بفضل جهود النبي ﷺ في تربية الدعاة والمبلغين، وكذلك جهود أصحابه في تبين الإسلام والترويج له.

بعد النبي الأكرم ﷺ، ازدهرت الحوزات العلمية وتنامت تحت إشراف الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وخاصة مع تأسيس الحلقات الدراسية الواسعة والعريقة في عهد الصادقين (عليهم السلام). إن آثار أصحاب المعصومين (عليهم السلام) وتلاميذهم في تصنيف وتدوين أحاديثهم،

وكذلك حل بعض المسائل الفكرية والفقهية في عصرهم بالاستعانة ببياناتهم ودروسهم (عليهم السلام)، شاهد على الحياة النشطة والمفعمة بالحيوية للحوزات العلمية الشيعية في عصر حضور النبي المكرم والإئمة الأطهار (عليهم السلام). إن تتبع تاريخ الأمة الإسلامية يظهر أن علماء الشيعة في ضوء أنوار المعصومين كانوا بحق مؤسسي معظم العلوم الإسلامية. بعد عصر الغيبة، وخاصة مع بداية الغيبة الكبرى، ومع تفويض قيادة الأمة الإسلامية إلى الفقهاء من قبل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وإحالة الناس إليهم، أصبح دور العلماء والحوزات العلمية في هداية الأمة الإسلامية أكثر وضوحاً وبروزاً.

منذ ذلك الحين وإلى الآن، سارت الحوزات العلمية الشيعية على مدى ١٤٠٠ عام، بالجهد والجهاد وتحمل الصعاب والنفي والانتهاكات...

ففي الوقت الذي كان فيه ظلم رضا خان يوشك أن يخنق أنفاس رجال الدين وينهي هذا الصنف المجدد للدين، علم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي بعد رحلته إلى مشهد وتوقفه بضعة أيام في قم، بغربة الحوزة العلمية في قم، وبدعوة العلماء، بقي في هذه المدينة وتولى إدارة وتوجيه الحوزة العلمية بحكمة ودهاء في مدينة كريمة أهل بيت العصمة والطهارة (عليه السلام) وبجوار مسجدها الشريف لمدة خمسة عشر عامًا، وأحدث تحولاً في الحوزة حتى اشتهر بـ "مؤسس الحوزة". وبحضور هذا الرجل الإلهي في قم، توافدت شخصيات عديدة إلى هذه الحوزة للاستفادة من محضره. وكان كل هم وجهد الشيخ عبد الكريم في العصر الأسود لرضا خان هو الحفاظ على اقتدار الحوزة وتنشئة الطلاب.

إن خدمات المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي والمرحوم آية الله البروجردي خلال فترة إدارتهما للحوزة العلمية في قم جديرة بالاهتمام البالغ. كان الإمام الخميني (رحمته الله) يذكر دائماً المرحوم الحائري وبساطة عيشه في أوج سلطانه وزعامته بكل خير، وكان يثني عليه من حيث العلم والإخلاص والزهد والتواضع والتقوى وحسن المعاشرة. إن تأسيس حوزة علمية دينية في مدينة قم خلال المئة الأخيرة وبإدارة هؤلاء العظماء وأنصارهم المخلصين، يحمل آثاراً وإنجازات جديرة بالتقدير ودائمة، لا تتسع لها هذه المذكرة، ولكن سيتم الإشارة إلى بعضها باختصار.

تشكيل الحكومة

إن أحد الإنجازات القيمة ومن أفكار عظماء الدين بقيادة رجال الدين الثوريين وتوجيه الحركة الثورية للشعب، هو تشكيل النظام الإسلامي القائم على الفقه الذي فتح آفاقاً جديدة أمام المجتمع العالمي والمتشوقين للحرية والخلاص.

في طريق ترويج وتبيين وتطبيق المعارف الشيعية الخالصة، وشهد التاريخ أنها تركت سجلاً ذهبياً.

إن ظهور الحوزات العلمية في قم بريادة الشيخ الصدوق (الأب والابن)، ثم في سمرقند وما وراء النهر بجهود الكشي والعياشي، وبعدها حوزة بغداد بحضور الشيخ المفيد (رحمته الله)، ثم حوزة النجف الأشرف بريادة الشيخ الطوسي (رحمته الله)، وحوزات الحلة بقيادة العلامة الحلي (رحمته الله)، وظهور حوزة الشام، إلى ازدهار حوزات أصفهان وقزوین وشيراز في العصر الصفوي بجهود وتوجيه المحقق الكركي وعدد من علماء جبل عامل بشكل رسمي، وتأسيس حوزات كربلاء وسامراء والنجف، وأخيراً ازدهار حوزة قم العلمية من جديد بحضور آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي وآية الله السيد حسين البروجردي رحمهما الله، يدل على جهود علماء الشيعة في نشر المعارف الشيعية في التاريخ المضطرب لهذه الحوزات. تاريخ يمر معظمه في أوقات العسر والتقية وتحت حكم الحكام الظالمين.

إن الشهداء العظماء والعديدين من الحوزات العلمية الشيعية، الذين يُعتبر بعضهم كالشهداء الأول والشهداء الثاني رضوان الله عليهما من علماء الصف الأول في الحوزات، يشهدون شهادة عظيمة على جهاد رجال الدين في عصر التقية والعسر، الذين كتبوا رسائلهم العلمية والعملية بدم الشهادة وحبر الدماء. ومن أهم أبعاد نشاط الحوزات الشيعية في عصر الغيبة الكبرى، تربية ملايين المسلمين المؤمنين بأهل البيت ومذهب أهل البيت (عليهم السلام)، الذين عبدوا الله في هذه السنين المديدة. (الإمام الخامنئي؛ ١٥ مهر ٧١ هـ. ش [٩ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ. ق])

يمكن تقسيم المئة عام الماضية إلى أربع فترات؛ الفترة الأولى، فترة المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي؛ الفترة الثانية، فترة المرحوم آية الله البروجردي؛ الفترة الثالثة، فترة الإمام الخميني؛ والفترة الرابعة، فترة آية الله الخامنئي.

تطوير العلوم الدينية

ساهمت الحوزة العلمية من خلال تربية علماء عظام وإصدار الفتاوى والمؤلفات العلمية في توسيع العلوم الدينية مثل الفقه والأصول والكلام وتفسير القرآن والفلسفة. وقد ساعد هذا الأمر وترجمة القرآن إلى ١١٠ لغات حية في العالم، نظرًا لتعطش شعوب العالم الذي لا يوصف للتعرف على المعارف الإسلامية، على بقاء الأفكار الدينية حديثة ومتناسبة مع ظروف العصر.

التأثير على السياسة والمجتمع

لعبت الحوزات العلمية كمراكز للفكر والتيارات الاجتماعية دورًا كبيرًا في تقدم الأفكار الإسلامية والسياسية. وكانت الأنشطة السياسية للعلماء الكبار، وخاصة آية الله كاشف الغطاء والإمام الخميني، مؤثرة في التطورات السياسية والاجتماعية في إيران والعالم الإسلامي.

إنشاء المؤسسات الاجتماعية

قامت الحوزات العلمية بتأسيس فرق جهادية لتتمكن من مساعدة الناس في الحوادث.

الدراسات الدينية والوحدة الإسلامية

قامت الحوزات العلمية بدراسة وتحليل التشيع والتسنن، وساعدت في التعرف على القواسم المشتركة والاختلافات بين هذين المذهبين. يمكن أن يؤدي هذا الأمر إلى مسار الوحدة الإسلامية.

التأثير الثقافي

ساهمت الحوزات العلمية من خلال خلق الأعمال الأدبية والفنية وعقد الندوات والمؤتمرات في إثراء الثقافة الإسلامية والإيرانية. وقد أنتجت هذه الأعمال أعمالاً قيمة في مجال الشعر والنثر والفن والفلسفة.

مواجهة المستعمرين

لعبت الحوزات العلمية، بصفاتها منصة لمكافحة الاستعمار والاستبداد، دورًا مهمًا. لقد سعى علماء

الدين، من خلال توضيح الحقائق وتوعية الناس، إلى متابعة حقوق المجتمع وحمايته من الأخطار الخارجية.

تنشئة الأجيال القادمة

تواصل الحوزات نقل العلوم والمعارف الإسلامية إلى الأجيال القادمة من خلال تنشئة الطلاب والباحثين. هذه التنشئة ليست مؤثرة في مجال العلوم الدينية فحسب، بل في العلوم الإنسانية والاجتماعية أيضًا.

مواجهة النفوذ

الوقاية من نفوذ الأجانب ومكافحة المنحرفين المتظاهرين بالقداسة والمتعصبين في الحوزة.

حوزة الأخوات

ولادة الحوزة العلمية للأخوات وتنشئة الفقيه والمبلغ من بين الأخوات الإيرانيات والأجنبيات. توسع الحوزة في جميع المجالات والمناطق المطلوبة داخل وخارج الدولة، حيث تمتلك ٩٥ بالمئة من الدول الأوروبية والأفريقية وحتى أمريكا مراكز إسلامية وحوزات علمية.

فكر المقاومة؛ تقوية روح المقاومة لدى الأمة الإسلامية والنضال الدؤوب ضد أمريكا والعصابة الإجرامية الصهيونية العالمية.

التكنولوجيا؛ استخدام البرامج والتكنولوجيات الحديثة لتبليغ الدين من قبل الحوزات العلمية.

الحوار والتفاعل مع المذاهب الأخرى؛ قامت الحوزة العلمية في قم بإجراء حوار وتفاعل مع المذاهب الإسلامية الأخرى والأديان المختلفة، وسعت للمساهمة في التعايش السلمي.

التأثير على الثقافة والمجتمع؛ كان لأنشطة الحوزة العلمية تأثير في نشر الثقافة الإسلامية والأخلاقية، وساهمت في تشكيل الهوية الدينية والثقافية للمجتمع، و... .

نظر الحوزويين إلى طريق الأنبياء وطريق العلماء الذين حافظوا على هذا الإرث الثمين وقدموه للأجيال القادمة بكل المشقات، ومن خلال التعلم منه كمشعل مضيء، يكونون هداة للمجتمع والحكومة.

إن ذكر الماضي التاريخي للحوزة العلمية ليس للتفاخر، بل ليعلم الجميع أن للحوزة جذورًا راسخة. البناء الذي له جذور متينة وقواعد عميقة لا يمكن زعزحته بسهولة أو تأثره بعوامل مضادة للعلم والمعرفة وتحصيل المعارف الدينية. النظر إلى الماضي يعني



المدرسة الفيضية المباركة بجانب مرقد السيدة فاطمة المعصومة (ع)

الشيخ عبد الكريم الحائري وتأثيره على تأريخ إيران المعاصر

أساتذته

ولد آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي عام ١٢٧٦ هـ في مهرجرد، إحدى قرى مدينة يزد. هاجر إلى أردكان للدراسة الابتدائية، ثم انتقل إلى يزد بعد فترة. بعد إتمام المقدمات، هاجر إلى العتبات المقدسة في العراق.

درس في حوزة سامراء على يد كبار فقهاء الشيعة، مثل: الميرزا الشيرازي، وآية الله السيد محمد فشاركي، والميرزا محمد تقى الشيرازي، والحاج الشيخ فضل الله النوري. ورافق السيد فشاركي عندما نقل حوزته الدراسية إلى النجف.

بعد وفاة أستاذه، درس على يد الآخوند الخراساني وأصبح من كبار طلابه. ثم ذهب إلى كربلاء وأسس حوزته الدراسية.

في عام ١٣٣٣ هـ عاد إلى إيران وبدأ التدريس في أراك، حيث أصبح معروفًا كمرجع ديني بين من يعرفه من الخواص.

عودة آية الله الحائري إلى إيران

في الوقت الذي كان آية الله الحائري يقيم في أراك، كانت مدينة قم مركزًا لتدريس العلماء والمجتهدين الكبار؛ أمثال الحاج ميرزا محمد أرباب، آية الله الحاج ميرزا محمد فيض، آية الله الشيخ أبو القاسم الكبير القمي، آية الله آقا الشيخ أبو القاسم الصغير، آية الله آقا محمد الكبير، محمد حسين نجار، آية الله آقا الشيخ مهدي حكيمي المعروف باسم "الشيخ مهدي بايين شهري"، آية الله الحاج ميرزا جواد آقا ملكي التبريزي (معلم الأخلاق والعرفان) وآية الله الحاج الشيخ محمد تقى بافقي اليزدي، وكثيرون غيرهم.

تأسيس الحوزة العلمية في قم

على الرغم من ذلك، كانت قم تفتقر إلى دروس

خاص الاجتهاد: مع قدوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي إلى قم، هاجر العديد من الشخصيات البارزة إلى هذه المدينة. أدت هذه الهجرة التاريخية إلى تحول هائل في قم، ثم إلى تحول أكبر في عالم التشيع. سرعان ما أصبح آية الله الحائري أكبر مرجع بعد مراجع النجف الأشرف.

يُظهر سلوك الشيخ المؤسس خلال اختبار طلاب الحوزة العلمية وكشف الحجاب أنه لم يكن غافلاً عن الشؤون السياسية، بل كان يتدخل في الأمور السياسية المهمة عند الضرورة. كانت استراتيجية آية الله الحائري، بالنظر إلى الحقائق الموجودة، هي الحفاظ على الحوزة العلمية وتربية الطلاب.

إن تأسيس سماحة آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي للحوزة العلمية في قم، يُعدّ من أهمّ الإنجازات في تاريخ التشيع وإيران، وقد ترك هذا العمل الجليل آثارًا عميقة وشاملة في مختلف المجالات العلمية والدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية على مدار مائة عام. ويمكن اعتبار الثورة الإسلامية في إيران، أعظم حدث في القرن، من بين هذه الآثار. على الرغم من أن تركيز الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري كان في المقام الأول على تأسيس الحوزة العلمية في قم وتطورها، إلا أنه كان حاضرًا أيضًا في بعض الأمور السياسية والاجتماعية خلال حياته.

ما بين أيديكم هو مقتطف من كتاب "جهارده قرن تلاش شيعه براى ماندن وتوسعه"، "أربعة عشر قرنًا من سعي الشيعة للبقاء والتطور" الذي كتبه المرحوم حجة الإسلام والمسلمين روح الله حسينيان. في هذا النص، يعيد حسينيان قراءة حياة مؤسس الحوزة العلمية في قم.

مع وصول آية الله الحائري إلى قم، هاجر إليها العديد من كبار الشخصيات والفقهاء، مثل آيات الله الخميني، والكلبايكاني، والسيد محمد تقى الخونساري، والسيد أحمد الخونساري، والارائي، وكان لهذه الهجرة التاريخية أثر هائل، حيث أدت إلى تحول عظيم في قم أولاً، ثم إلى تحول أكبر في عالم التشيع.

إحياء المدرسة الفيضية

بدأ آية الله الحائري يفكر في توفير مكان مناسب لعلماء حوزة قم وطلابها أولاً. ووجد أن مدرسة فيضية هي المكان الأنسب لهذا الغرض. كانت المدرسة الفيضية في ذلك الوقت تتكون من طابق قديم جداً وأربع حدائق وثلاثة أحواض. وكانت الحدائق مليئة بالتراب. كما كانت المدرسة تضم مدرسة ابتدائية وبعض النزل، وكانت غير مناسبة للدراسة بسبب الضوضاء.

ونظراً لوجود مستشفى دار الشفاء ومدرسة فيضية والصحن المجاور لها، كان الناس يترددون على الحرم المطهر عبر مدرسة الفيضية. كما كانت

رسمية، ولم تكن مدارس قم المركزية مراكز لطلاب من بلدان أخرى. لذلك، دعى علماء قم آية الله الحائري لزيارتها في عيد نيروز عام ١٣٤٠ هـ. ش، وأصرروا عليه أن يؤم صلاة المغرب والعشاء في صحن السيدة المعصومة (عليها السلام).

بعد أداء الصلاة، صعد الشيخ محمد سلطان الواعظين الطهراني المنبر بناء على توصية من علماء قم، وحث الناس على إقناع آية الله الحائري بالبقاء في قم وقال خطاباً للناس:

"يا أهل قم! عندما جاء دعبل الخزاعي إلى قم ومعه جبة الإمام الرضا (عليه السلام)، لم تسمحوا له بإخراجها من مدينتكم. والآن، آية الله الحائري هو حامل علم الإمام الرضا (عليه السلام)، فلا تدعوه يغادر المدينة."

فكر المرحوم الحاج الشيخ في الأمر مدة، ثم قرر الاستشارة لاتخاذ القرار. فظهرت له الآية الكريمة: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ جَمِيعًا﴾ (سورة يوسف: ١٠٨). (أي أن يوسف (عليه السلام) قال لأخيه: "اذهبوا واحضروا أهل بيتي إلى مصر.") ففهم الحاج الشيخ من الآية أن عليه أن يحضر أهل بيته إلى قم، فقال: "اذهبوا واحضروا أهل بيتي إلى قم."



آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري في لقاء مع وزير الأوقاف اليمني - حي سالارية - قم المقدسة

المدرسة في الليل مأوى للمشردين والمتسولين في قم. وكانت غرف المدرسة بيوت خدام الحرم المطهر. وبفضل جهود آية الله الحائري المصنفة، تمكن من تحويل المدرسة من حالة خراب إلى مكان مناسب لسكن العلماء والطلاب ودراساتهم.

سارع آية الله الحائري إلى معالجة شؤون الحوزة العلمية الناشئة في قم. فبعد تجديد مدرسة الفيضية وإنشاء مكتبها، خصص للطلاب راتباً شهرياً، مما أدى إلى تدفق الطلاب من الحوزات الأخرى إلى قم. ولم يقتصر اهتمام آية الله الحائري على شؤون الحوزة فقط، بل اهتم أيضاً بالشؤون الاجتماعية في قم. فقد أسس مستشفى للمدينة، التي كانت تفتقر إلى مثل هذه الخدمة.

مواجهة آية الله الحائري مع نظام رضا خان

كان آية الله الحائري يُعرف كأكبر مرجع بعد مراجع النجف في أقصر وقت ممكن، وبدا أنه شخصية غير سياسية ولم يكن لديه ميول للتدخل في الشؤون السياسية بشكل عام. هدفه الرئيسي كان الحفاظ على حوزة قم وإنماؤها. ومع ذلك، هناك أمثلة على أنشطته السياسية.

شارك آية الله الحائري في حركة آية الله حاج آقا نور الله الإصفهاني وهجرة العلماء إلى قم، وكان سماحته على الرغم من ترحيبه بدخول العلماء إلى قم ورعايتهم خلال حركة آية الله حاج آقا نور الله الإصفهاني وهجرة العلماء إليها، لم يتدخل في شؤونهم أو أهدافهم.

مواجهة قانون الزبي الموحد

حاول النظام، في سياق قانون الزبي الموحد، التدخل في حوزة قم من خلال تكليف وزارة المعارف بإجراء اختبارات للطلاب بشكل مباشر. وقف آية الله الحائري بثبات ضد هذا التدخل المباشر.

وفقاً لتقرير محافظ قم لوزارة الداخلية، في ١٩ من

شهر خرداد، بينما كان الطلاب حاضرين لتقديم الامتحان، وصل الحاج الشيخ مهدي، مبعوث الحاج الشيخ عبد الكريم، إلى المدرسة الفيضية وأمر بوقف الامتحانات.

ذهب وزير المعارف ورئيس شرطة قم إلى الحاج الشيخ لمعرفة المزيد عن هذا الفعل. قال لهم آية الله الحائري: "بما أن الحكومة الإيرانية الملكية هي حكومة إسلامية، فمن الطبيعي أنها بحاجة إلى ممثلين وطلاب دينيين لتعليم الناس الأمور الدينية وإطلاعهم على واجباتهم الإسلامية. إن إنشاء مثل هذه المدرسة وتدريب مثل هؤلاء الطلاب في العلوم الدينية يجب أن يكون بالتأكيد تحت إشرافي وبحسب البرنامج الذي أقدمه. لا ينبغي لوزارة التعليم التدخل في هذا الشأن. سأقوم بإعداد برنامجهم الخاص واختيار الممتحنين اللازمين. إذا كانت الحكومة تنوي تدريب مثل هؤلاء الطلاب، فيجب أن يكون ذلك بالتأكيد تحت إشرافي. وإذا لم تكن تريد طلاباً في العلوم الدينية، فلن أتدخل على الإطلاق وسأجلس في منزلي."

بمجرد تلقي آية الله الحائري أخبار كشف الحجاب، أرسل برقية إلى الشاه في الحادي عشر من شهر تير (تموز) عام ١٣١٤ هـ.ش.، قال فيها: "إن الأوضاع الحالية التي تُخالف أحكام الشريعة المقدسة ومذهب الإمامية الجعفرية (عليه السلام) تُثير قلق هذا العبد وعموم المسلمين." وقد أثار هذه البرقية غضب الديكتاتور، فأمر رئيس وزرائه بإرسال ردٍّ قاسٍ على آية الله.

كان ردّ رضا شاه تهديداً صريحاً، حيث أوضح أنّ الحاج شيخ إنَّ أصرَّ على موقفه فسيكون مصيره الاعتقال والسجن، ممَّا يُهدِّد أيضاً الحوزة العلمية في قم. وقد أثبت رضا خان لاحقاً، خلال ثورة مسجد "جوهرشاد"، أنّه لا يتردد في اتّخاذ أيِّ إجراء لفرض إرادته.

ولإظهار جدّيته، قام النظام بنفي اثنين من كبار

الأحداث اللاحقة وجهة نظره إلى حد ما. فقد ربا طلاباً عظماء، أعمدة علمية مهمة للعالم الشيعي، أصبح كل منهم مصدر بركات للإسلام.

إرث الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري في انتصار الثورة الإسلامية

سارت الحوزة العلمية في قم طريقها بكل تقلباتها، بفضل سياسة آية الله الحائري وتديره، فبعد وفاته، انتقل مرجعية الشيعة العامة لأول مرة إلى إيران، حيث منحها آية الله البروجردي، بفضل شعبيته بين الشيعة، عظمة كبيرة. ثم انتقلت هذه العظمة إلى آية الله الإمام الخميني، الذي أصبح مصدر تحول عظيم في تاريخ الشيعة بفضل ابتكاره وإبداعه ودعم الحوزة العلمية في قم ذات النفوذ الكبير. وقد أدى هذا التحول إلى ثورة عظيمة شاملة أطاحت بالنظام الملكي العتيق وأقامت حكومة إسلامية في إيران، كانت حلم الشيعة منذ ١٤٠٠ عام. لذلك، لا يمكن إغفال دور آية الله الحائري في هذه الثورة العظيمة. فمن دون شك، لو لم تكن هناك الحوزة العلمية في قم ورجال الدين ذوو النفوذ فيها، لكان من غير المرجح إلى حد كبير أن تقع مثل هذه الثورة في إيران.

المصدر: مركز وثائق الثورة الإسلامية (بالفارسية)

مساعدني حاج الشيخ (هما الشيخ القمي وحاج الشيخ علي أصغر سلامت) إلى كاشان بذريعة تحريض آية الله الحائري.

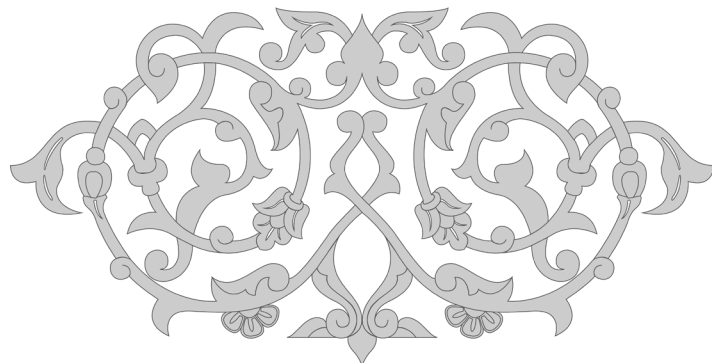
تُظهر تصرفات آية الله الحائري، خلال اختبارات الطلاب وكشف الحجاب، أنه لم يكن غافلاً عن الشؤون السياسية، بل كان يتدخل في الأمور السياسية المهمة عند الضرورة.

تمثلت استراتيجية آية الله الحائري في الحفاظ على الحوزة العلمية وتربية طلابها، مع الأخذ بعين الاعتبار الواقعيات السياسية الموجودة آنذاك.

يروى آية الله محمد صادق الطهراني، أحد طلاب الحاج الشيخ، أنه في يوم من الأيام كان سماعته ينصح الطلبة، فتنهده وقال:

"يا سادة! لقد انتهى الإسلام. يجب علينا أن نحافظ على الإسلام. لقد كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) يعلمون أنهم سيُقتلون في يوم عاشوراء، لكنهم قالوا: يجب أن نقاتل ونشغل جيش الكوفة حتى يزداد عمر حجة الله ساعة. هذا هو واجبنا أيضاً. يا سادة! لقد انتهى الإسلام. يجب أن نعمل من خلال تعلمنا ودراستنا على تأخير نهاية الإسلام."

لقد اعتبر آية الله الحائري دراسة الطلبة عملاً حسنيًا واستمرارًا لعمل أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وربما أكد تأثير مدرسة قم الدينية على



وفي الحقيقة أن شيخ المشايخ العظام آية الله العظمى الأراكي قد نقل الأمر في هجرته إلى قم وأراك وإقامته بقم على مزيد من التفصيل، إذ قال إن الشيخ عبد الكريم قد هاجر بعد وفاة سيده الأستاذ آية الله العظمى المجدد الحاج الميرزا حسن الشيرازي وسيده الأستاذ آية الله المحقق السيد الفشاركي (قدّس سرهما) حوالي سنة ١٣١٦هـ إلى بلدة أراك في إيران وكان ذلك بأن التمس العلامة السيد محمود الأراكي من المرحوم الشيخ الحائري أن يهاجر إلى بلدة "أراك" فأبى ذلك لسببين:

أولهما: ممانعة أستاذه الآخوند؛

والثاني: ممانعة أمه لأنها جاورت العتبات المقدسة في كربلاء لتدفن فيها، ولكن السيد أصر على ذلك واستطاع أن يقنع الآخوند الخراساني وكذا والده الشيخ الحائري فهاجر الشيخ إلى أراك سنة ١٣١٦هـ وأقام بها طيلة ثماني سنوات، وقد أسس بها حوزة علمية قد حضرها جم غفير من جهابذة العلم وألف المباحث الأصولية جميعها من المجلد الثاني في كتابه درر الفوائد، ومبحث مقدمة الواجب، واجتماع الأمر والنهي والضد من مباحث الألفاظ حين كان قاطنًا في بلدة أراك، ولذلك فقد كان ناظرًا في هذه المباحث إلى تعليقه أستاذه المحقق الخراساني على الفرائد.

مرجعياته

ولما انتقل الشيخ محمد كاظم الخراساني إلى رحمة الله، راجع الشيعة في التقليد السيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي المتوفى ١٣٣٨هـ وإلى الشيخ عبد الكريم الحائري، فأصبح للشيخ شهرة ذائعة الصيت، ولا سيما بعد وفاة المرجع العلامة الميرزا محمد تقي

شفقنا العراق - استطاع الشيخ عبد الكريم الحائري بوضع الهيكل الأساسي للدراسة الحوزوية في قم المقدسة، فجدد وكتب ودرس ووضع مناهج قيمة لها وأصبحت فيما بعد من الضرورات التي ينبغي للطالب أن يلتفت إليها عند ارتقائه سلم العلوم، إذ كانت الدروس الدينية في قم تقام على نحو متفرق وغير منظم. كان من منهجه الاختصار في مباحث أصول الفقه وعرض القضايا ذات البعد العملي في الاجتهاد فقط من هنا صنف كتابه درر الأصول وكان يتم دورة أصولية كاملة في أربع سنين فقط.

بعد أن تعلم الشيخ عبد الكريم الحائري مفاهيم الفقه والأصول هاجر إلى سامراء المقدسة بعد ازدهار الدراسة فيها وتلمذ على يد كبار علمائها من أمثال السيد الشيرازي، ثم توجه إلى حوزة النجف الأشرف بعد وفاة الشيرازي وأكمل دراسته فيها، ثم ذهب إلى كربلاء المقدسة وقام بتشكيل حلقة دراسية في مدرسة "حسن خان"، وظل مقيمًا هناك مشغولًا بالتدريس حتى عام ١٣٣٢هـ.

هجرته إلى أراك

في عام ١٣٣٢هـ طلب منه بعض العلماء المجيء إلى مدينة "أراك" لغرض التدريس، فقبل دعوتهم وأخذ يلقي الدروس فيها لمدة ثماني سنوات، اعترف له كثير من العلماء بالاجتهاد فتوجهت الأنظار إلى مرجعيته وأخذ كثير من مقلدي العلماء الماضين رحمهم الله يرجعون إليه في تقليدهم، وبحلول عام ١٣٤٠هـ، سافر إلى قم المقدسة لزيارة مرقد السيدة فاطمة المعصومة، فهب العلماء والطلاب لسماع آرائه وتوجيهاته، وقد طلب منه جمع كثير وبإصرار على الإقامة فيها وباستقراره قام بتأسيس الحوزة العلمية فيها.

تلك التربة الطيبة، واتسعت الحوزة اتساعاً غير منتظر، وما مضت السنوات والأعوام حتى ازدهرت الحياة الدينية والثقافية، وتعددت الهيئات العلمية.

وضع الهيكل الأساسي للدراسة الحوزوية

استطاع الشيخ عبد الكريم الحائري بوضع الهيكل الأساسي للدراسة الحوزوية في قم المقدسة، وكان ذلك في الأيام الأولى لانقلاب الشاه رضا خان بعد سعي الأخير بشتى الطرق، القضاء على كيان الحوزة العلمية، ولكن بفضل تصدي الشيخ الحائري لتلك المحاولات استطاع الحفاظ على ذلك الكيان وأسس حوزة دينية في المدينة لتكون مركزاً مهماً تفيض منه علوم آل البيت (عليه السلام) إلى سائر بقاع العالم.

فجدد وكتب ودرس ووضع مناهج قيمة لها وأصبحت فيما بعد من الضرورات التي ينبغي للطلاب أن يلتفت إليها عند ارتقائه سلم العلوم، إذ كانت الدروس الدينية في قم تقام على نحو متفرق وغير منظم، فرأى الشيخ الحائري أن ينظم طرق التدريس ومناهجه، فأضحت حوزة قم المقدسة بفضلها عامرة بالطلبة والعلماء ومنتعشة بالعلم ببركة الشيخ عبد الكريم الحائري العالم الجليل وصارت كما ورد في الروايات "عش آل محمد" و "منها يفيض العلم" وعليه أصبح الشيخ عبد الكريم في قم يرجع إليه في التقليد.

ترقية مكانة الحوزة العلمية

وقد عزم الشيخ عبد الكريم الحائري على جعل الحوزة العلمية مركزاً علمياً يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه، فأخذت الحقوق الشرعية والهبات تتوالى عليه من شتى مدن إيران فوسع العطاء على الطلاب والعلماء وبذل عليهم بسخاء، وبذلك سن نظاماً للدراسة وقرر ترتيباً مقبولاً للإشراف على تعليم الطلاب وإجراء الامتحان السنوي، وأكثر من الترغيب بغية اجتذاب الناس وإدخال من يرغب في الحوزة العلمية، فكان ذا

الشيروازي قد فقد كان يثق به علماً وأخلاقاً وورعاً، وكان يأمر أهالي إيران من مقلديه بالرجوع إلى الشيخ الحائري في موارد الاحتياط في فتواه وبسبب ذلك أخذ في الاشتهار حتى صار كالشمس في رابعة النهار.

هجرته إلى قم

في ٢٢ من شهر رجب عام ١٣٤٠ هـ. قام الشيخ الحائري بزيارة مولاتنا السيدة فاطمة المعصومة في مدينة قم المقدسة، فهب جمع كثير من العلماء والطلبة إليه طالبين منه توجيهاته القيمة وإرشاداته السديدة وبيان آرائه الفقهية، وساهم الشيخ محمد تقي الباقفي في بقائه في مدينة قم، إذ نقل له رواية عن الأئمة المعصومين حول آخر الزمان مفادها أن مدينة قم ستكون مركزاً للعلم ومنها يفيض العلم إلى سائر البلدان وأن هذا العلم في ذلك الزمان يأزر عن الكوفة كما تأزر الحية في حجرها وسأله هل يؤمن بهذه الرواية فقال: نعم بل أؤمن فقال له: أتريد أن يكون وضع حجر الأساس لهذا البناء على يديك ويبقى باسمك ومن الباقيات الصالحات لك، فوافق الشيخ الحائري، وبعد أن استخار الله سبحانه وتعالى في ذلك وكانت جيدة أجابهم إلى البقاء فيها.

وباستقراره في مدينة قم المقدسة اشتغل بالتدريس والإمامة والإفتاء فكان رفيع الهمة صاحب الأخلاق الفاضلة والنعوت الممتازة، فتقاطر إليه الطلاب من كل حذب وصوب، وغصت بهم المدارس، وقام بأعباء تنظيم دراستهم وإعاشتهم، واتخذ في تربية الطلبة وتعليمهم مسلكاً صحيحاً على أتقن نظام وأحسن أسلوب، حاز شيئاً كثيراً من القبول عند العامة والخاصة.

وكان الشيخ الحائري يعمل على توسيع دائرة الحوزة العلمية في قم، ففي عام ١٣٥٣ هـ كان في حوزته في قم نحو ٩٠٠ طالب، يجري على أكثرهم الأرزاق، وقد انحصرت الرئاسة العلمية فيه في وقته في بلاد إيران وقُلِّدَ فيها، فنمت البذرة الصالحة في

عقيدة راسخة وإيمان ثابت واهتمام بشأن الدين ورجاله واحتراما لحملته وطلابه .

وما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبد الكريم الحائري كان كثير البر بالطلاب والعلماء، شديد العطف عليهم والعناية بهم، ويرعى الصغير والكبير، وبالرغم من تعيينه لموزعي الرواتب وتوكيله للثقات من أصحابه وتلامذته للقيام باللوازم والاستفسار عن النواقص، كان يتولى بعض الأمور بشخصه ويأشرفها بنفسه، وقد أعد لهم كل شيء يحتاجون إليه، حتى أنه بنى مستشفى السهامي والفاطمي اللذين تأسسا بهمته لطلبة العلوم الدينية ليشرعهم بالكيان المستقل والكرامة الموفورة التي كانوا يتمتعون بها، وفي الوقت الذي كان فيه رجال السياسة والأمراء والقادة والتجار يتهافتون على بيته للثمن أنامله وعرض أنفسهم لخدمته إلا أنه كان يدور على غرف الطلاب بمفرده للاطلاع على أحوالهم وأساليب معيشتهم، والوقوف على مدى عنايتهم بالدرس والمطالعة ويحث الكسالى ويشوقهم، ويمدح النشطين، ويمنح المتفوقين في الامتحان جوائز قيمة، وكان يوصي الكل بالإخلاص في العمل والإلتزام بتقوى الله تعالى، ولم يسمع عنه -على الرغم من كثرة من كان يعولهم من الطلاب - أنه رد طالبا، أو كسر خاطرا، أو أخجل إنسانا، لذلك كان الكل ينظرون إليه نظرتهم إلى الأب الرؤوف فضلا عن هذا العطاء العلمي قام بتجديد المدارس الحربية في مدينة قم ومنها مدرسة الفيضية ودار الشفاء التي كانت على وشك الانهيار والسقوط والتحول إلى خرائب، وكذلك عمل على تأسيس مكتبة المدرسة الفيضية التي تعد اليوم من أفخر وأنفس مكتبات إيران في كتبها ومحتواها.

طريقته للتصرف في الخمس

لقد اتبع الشيخ عبد الكريم الحائري طريقة للتصرف في الخماس فقد عين لجنة من أخبار التجار وحضر عندهم الخماس وأمرهم بتسنيده حاجات الطلبة وكان يأخذ منهم يعني من التجار ما

يأخذ الطالب العادي ولم يسمح لأي أحد أن يأخذ من هؤلاء باسمه، منعهم كتيباً من إعطاء أي مبلغ لأي أحد من منتسبيه وهذا يدل على خوفه من الله تعالى.

منهجه في التدريس

اعتمد الشيخ الحائري منهج مدرسة سامراء في التدريس في حوزته، مستلهماً ذلك من الميرزا الشيرازي؛ وذلك من خلال طرح المسألة واستعراض الآراء والنظريات المطروحة حولها مع ذكر دليل الأقوال والآراء المطروحة جميعها وبعد أن يفرغ الشيخ من توضيح المسألة والأقوال المطروحة فيها والأدلة التي ذكرت لها، يطلب من تلامذته تداول المسألة ومعالجة الزوايا جميعها ومناقشة الآراء المطروحة ثم الخروج بمحصول نهائية للآراء، بعدها يقوم الشيخ بعرض رأيه وما يراه مناسباً لحل الإشكالية المطروحة، ولم يكتف بذلك بل فسخ المجال لتلامذته بمناقشة ما طرحه من رأي وما استند إليه من دليل، يضاف إلى ذلك أنه كان يعلم الطلبة بموضوع اليوم التالي ليوفر المجال أمامهم للاطلاع عليه قبل الحضور إلى حلقة الدرس، وكان من منهجه الاختصار في مباحث أصول الفقه وعرض القضايا ذات البعد العملي في الاجتهاد فقط من هنا صنف كتابه درر الأصول وكان يتم دورة أصولية كاملة في أربع سنين فقط.

وفاته

لبنى الشيخ الحائري نداء ربّه في السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٥٥هـ ق بعد أن أمضى خمس عشرة سنة في قم المقدسة، وقد شيع جثمانه - رغم العراقيل التي وضعتها السلطات الأمنية - تشيعاً مهيباً تصدر المشيعين كبار العلماء. وبعد أن صلى آية الله السيد صادق قمي على الجثمان الطاهر حُمل جسده إلى مثواه الأخير في حرم السيدة معصومة في مسجد "بالا سر".

المصدر: ابنا

آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي قدس سره؛ مجدد الحوزة العلمية في قم ومعمار النهضة الدينية في العصر الحديث

علي رضا مكتبدار - رئيس التحرير



المقدمة

١. الخلفية الاجتماعية، الأسرية والتربوية

١-١. الولادة، العائلة وتأثير البيئة

وُلد الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي عام ١٢٧٦ هـ (١٢٣٩ ش) في قرية "مهرجرد"، إحدى ضواحي أردكان في يزد. وُصف الجو الأسري والظروف المعيشية التي نشأ فيها كما يلي:

كان والد الشيخ عبدالكريم، محمد جعفر مهرجردي اليزدي، يعمل كجزار أو بائع أقمشة أو تاجر أغنام، وفقاً لبعض الروايات. أما جدّه الأعلى، محمد مدون، فقد كان من سكان "مبيد" بمحافظة يزد. منذ طفولته، قادت ظروف الحياة الصعبة وفقدان أبيه إلى بذل جهد أكبر. فقد توفي والده عندما كان في السادسة من عمره، ليعيش تحت رعاية والدته.

لفتت موهبة عبدالكريم الفطرية انتباه المحيطين به. حيث يقول المؤرخون: "استقطب ذكاؤه

في تاريخ إيران المعاصر وفي العالم الشيعي، قلماً نجد شخصية أثرت في تشكيل الحوزة العلمية في قم وتثبيتها، وإحيائها كما أثر آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي. فقد كان له دور بارز في التأثير على مسيرة التدين والنشاط الاجتماعي والسياسي. تسعى هذه المقالة، بالاعتماد على مصادر متنوعة، إلى دراسة أبعاد شخصية هذا المصلح الكبير وفكره وأعماله في سياق تاريخ إيران المعاصر، مع التركيز على خمسة محاور رئيسية:

١. الخلفية الاجتماعية والتربوية للشيخ.

٢. الإصلاحات الإدارية والتنظيمية في الحوزة العلمية في قم.

٣. النهج السياسي والثقافي في عصر رضا شاه وآثاره.

٤. الشخصية الأخلاقية والروحية والاجتماعية.

٥. الأعمال المكتوبة.

الطبيعي اهتمام زوج خالته، مير أبو جعفر، الذي نقله من قريته النائية إلى مدينة أردكان لتوفير التعليم الابتدائي له".

٢-١. التعليم الأساسي والهجرة إلى العتبات المقدسة

درس الشيخ في مكتب أردكان، حيث تعلّم نصوصًا مثل "النصاب"، وقواعد الصرف، ومقدمات العلوم والأدب. كما درس على يد العالم الشهير في منطقته، مجد العلماء الأردكاني. وبعد إتمام الدراسة في المستوى التمهيدي، انتقل إلى مدرسة "محمد تقي خان"، إحدى أشهر مدارس يزد، حيث تتلمذ على يد علماء مثل الحاج ميرزا السيد حسين الوامق والسيد يحيى المجتهد اليزدي. في سن الثامنة عشرة، هاجر إلى كربلاء، حيث التحق بدروس آية الله ملا محمد حسين الفاضل الأردكاني، رئيس الحوزة العلمية في كربلاء. هناك، درس كتبًا مثل "شرح اللمعة" و"القوانين".

٣-١. عبور الحدود التقليدية: النبوغ واهتمام العلماء الكبار

كان نبوغه لافتًا لدرجة أن أستاذه، الفاضل الأردكاني، كتب رسالة إلى الميرزا الشيرازي الكبير يصف فيها "المعاني الروحية، الصفات الأخلاقية، والإبداعات العلمية للشيخ". وبعد قراءة الرسالة، قال الميرزا الشيرازي لعبدالكريم: "لقد أصبحت مخلصًا لك"، واستضافه في منزله.

في سامراء، درس الشيخ على يد كبار العلماء مثل الميرزا إبراهيم المحلاتي، آية الله محمد تقي الشيرازي، الشهيد الشيخ فضل الله النوري، آية الله الفشاركي، والميرزا الشيرازي الكبير، حتى وصل إلى مرتبة الاجتهاد.

٢. الإصلاحات الإدارية والتنظيمية في الحوزة العلمية في قم

٢-١. الهجرة إلى قم وبداية التحول التاريخي

بعد التدريس والزعامة في أراك وكربلاء والهجرات

المتعددة، استجاب الحاج الشيخ لدعوة علماء قم، وبترحيب غير مسبوق من الناس ورجال الدين، دخل إلى قم في عيد النوروز عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) وباستخارة مشهورة، اتخذ قرارًا بالإقامة الدائمة. "ونتيجة للإلحاح الشديد على آية الله الحائري بالإقامة في قم، قرر أن يُحيل المسألة إلى الاستخارة. فظهرت أمامه الآية [وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ]. فأمر الحاج الشيخ قائلاً: اذهبوا وأحضروا عائلتي إلى قم."

٢-٢. إعادة بناء وتطوير هيكل الحوزة

(أ) ترميم المدارس وتغيير الأساليب التعليمية
كان أول وأهم إجراء قام به الشيخ بعد تأسيس الحوزة هو ترميم المدارس الدينية وتغيير المناهج التعليمية، مما أحدث تحولًا كبيرًا. كما أدخل فكرة "لجنة الامتحانات" لاختبار الطلاب، وهي طريقة أصبحت فيما بعد من أساسيات التعليم في جميع دول العالم.

(ب) تنظيم معيشة الطلاب ونظام الرواتب
كان أول من خصص راتبًا شهريًا (شهريّة) للطلاب، مما ساهم في استقرار الحوزة وتحفيز الطلاب.

(ج) تأسيس المكتبات والمستشفيات والبُنى التحتية الاجتماعية

أنشأ مكتبة "المدرسة الفيضية" عام ١٣٤٩هـ (١٣٠٩ش)، والتي احتوت على ٤٥٠٠ كتاب في مختلف الموضوعات. كما أسس أول مستشفى في قم (مستشفى فاطمي) لسد الفجوة الصحية في المدينة.

(د) إدارة الأزمات الاجتماعية

خلال فيضان عام ١٣١٣ش، قاد جهودًا شخصية مع الطلاب لبناء السدود ومنع الكارثة.

"أنا لا أتدخل بأي شكل في المسائل التي لا علم لي بها، وبما أن إيران دولة ضعيفة وتحت ضغط واستعمار دول قوية مثل روسيا وبريطانيا باستمرار، فمن المحتمل أن تكون السياسات والخطوط السياسية الموجودة في إيران مرسومة من قبل هذه القوى الاستعمارية، وأن يكون المتدخلون في السياسة ألعوبة بيد هذه القوى، ويصبون الماء في طاحونة العدو دون علم. لو كنت في فرنسا أو إنجلترا أو روسيا، لتدخلت بالتأكيد في السياسة؛ لأن الخطوط السياسية هناك واضحة ولا تُفرض من مكان آخر؛ لذلك لا أرى تدخل في السياسة ممكنًا. فضلًا عن ذلك، فإن تدخل في السياسة يستلزم الصراع وإراقة الدماء، وأنا لست مستعدًا للتسبب في إراقة دماء الأبرياء."

٢-٣. دعم الناس ضد الحكام والفساد الإداري

لم يتعد الحاج الشيخ عن القضايا الاجتماعية ولم يسكت عن الظلم.

في شكوى أهالي محلات من شاپورخان (الذي قدم نفسه كتابع بريطاني)، كتب حاكم قم: "قال لي الحاج الشيخ عبد الكريم: "لأنه لا يتدخل في هذه الأمور، فعليًا شخصيًا أن أكتب حاكم محلات بشكل ودي حول هذا الموضوع، وإذا لزم الأمر، أبلغ الوزارة الجلييلة الداخلية وأعمل على توفير الراحة للرعايا المذكورين". كما وردت في الوثائق مساهمته الفعالة في عزل محافظ قم غير الكفاء الذي كان يتعدى على الناس.

٣-٣. التعاطف والتنسيق والحفاظ على استقلال الحوزة

في قضية نفي علماء النجف إلى إيران، تعاطف الحاج الشيخ معهم لكنه لم يُدخل الحوزة في أزمة. ينقل آية الله الكلبايكاني:

"احترم المرحوم الحاج الشيخ هؤلاء كثيرًا، وأعطى مكان صلاته للسيد أبو الحسن، واستأجر

(هـ) الخدمات العامة ومساندة المحرومين

في ظروف المجاعة والفقر، أسس الحاج الشيخ مطعمًا لإطعام الفقراء. يكتب محمد علي صفوت التبريزي: "كان أبا للفقراء وكفيلًا للمساكين... في السنة التي ارتفعت فيها أسعار الخبز ووقع الفقراء في ضيق شديد بسبب المجاعة، أنشأ مطعمًا وجمع الفقراء وتكفل بمؤونتهم وطعامهم ليلاً ونهارًا، وبهذه الوسيلة تم منع هلاك أرواح المساكين."

(و) تربية جيل جديد من العلماء والقادة الدينيين

أصبحت رعاية الحاج الشيخ لطلابه بداية لجيل جديد من المراجع والفقهاء والقادة الدينيين في إيران. فالإمام الخميني، وآية الله الكلبايكاني، وآية الله الأراكي، والعديد من العظماء الآخرين، هم من خريجي مدرسته. قال الإمام الخميني قدس:

"لو كان المرحوم الحاج الشيخ موجودًا في الوقت الحاضر، لقام بما قمت به، ولم يكن تأسيس الحوزة العلمية في ذلك اليوم من الناحية السياسية أقل أهمية من تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران اليوم."

٣. المنهج السياسي والثقافي: العقلانية والتدبير والاحتياط

١-٣. سياسة الاعتدال العقلاني والامتناع عن الدخول في النزاعات المُفرقة

في قضية الدستور (المشروطة)، اتخذ الحاج الشيخ سياسة الحياد والابتعاد عن الدخول في الألعاب السياسية. "قيل إن سماحته أظهر عدم اهتمامه بقضية الدستور ولم يتدخل فيها بأي شكل. ويُقل أنه لإثبات حياده في حركة الدستور، كان يُدرّس كتابًا للسيد محمد كاظم اليزدي الذي كان من المدافعين عن الدستور المشروع، وكتابًا للأخوند الخراساني الذي كان من قادة مؤيدي الدستور."

وفي عبارة صريحة، يبين فلسفة ابتعاده عن السياسة قائلاً:

لهم منزلاً، وأمرنا نحن طلاب الحاج الشيخ بالذهاب للمباحثة معهم." ومع ذلك، عندما اعترض عليه لعدم تعاونهم الكامل مع العلماء المنفيين، أجاب: "أنا مجتهد واقتنعت بأنه يجب أن أؤسس حوزة يدرس فيها عدد من الطلاب ليصبحوا مجتهدين وفقهاء، وقد رأيت أن هذه هي مسؤوليتي، وسأمنع أي شيء يقف في طريق واجبي."

٣-٤. التعامل مع مشروع الجمهورية لرضا خان

في مواجهة محاولات رضا خان لإقامة جمهورية على طراز أتاتورك، عقد الحاج الشيخ والعلماء المهاجرون اجتماعات لمنع إلغاء الدين الرسمي وتعطيل الدستور. وكتبوا في برقية مشتركة مع آيات النائيني والأصفهاني:

"عند تشرف سماحة السيد رئيس الوزراء دامت شوكتة، للوداع في دار الإيمان قم، طلبنا نقض هذا العنوان وإلغاءه والتصرّيات المذكورة وإعلان ذلك في جميع البلاد، وقد استجابوا. إن شاء الله تعالى يعرف الجميع قدر هذه النعمة ويشكرون هذه العناية تمامًا. الأحقر أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، الأحقر محمد حسن الغروي النائيني، الأحقر عبد الكريم الحائري."

٣-٥. الاعتدال والتدبير في الأزمات الاجتماعية والسياسية

في قضية كشف الحجاب، رغم الضغوط، أرسل برقية احتجاج إلى رضا شاه وصرح:

"يجب الوقوف حتى الموت وأنا سأقف، إنه العرض، إنه الحجاب، إنه من ضروريات الدين والقرآن. ومع ذلك، لمنع الأزمة وإراقة الدماء، في قضية الإساءة لآية الله الباقفي، أصدر حكمًا خاصًا: "الحديث والمناقشة حول القضية المتعلقة بالشيخ محمد تقي مخالف للشرع المنير ومحرم مطلقًا." وقد اعتبرت صحيفة "قيام شرق" عام ١٣٢٥ في تحليل لها هذا الحكم كالماء الذي "صُب على النار ومنع

ثورة وفتنة عامة وعمليات قتل ونهب لاحقة."

٣-٦. التعامل الحذر مع الحكومة واستقلال الحوزة

في قضية توحيد زي رجال الدين واختبار الطلاب، حافظ الحاج الشيخ بسياسة وحزم على استقلال الحوزة، وورد في تقرير على لسانه:

"تأسيس مثل هذه المدرسة وإعداد مثل هؤلاء طلاب العلوم الدينية يجب بالطبع أن يكون تحت إشرافي (الحائري) والبرنامج الذي أضعه، ولا ينبغي لوزارة المعارف أن تتدخل في هذا القسم. سأعد برنامجهم وأختار الممتحنين اللازمين. إذا كانت الدولة تنوي إعداد مثل هؤلاء الطلاب، فيجب بالطبع أن يكون ذلك تحت إشرافي."

٣-٧. الدفاع عن الوقف والموارد التقليدية للحوزة والاستقلال المالي

في موضوع الأوقاف، عندما أراد رضا خان فرض قانون صرف أموال الوقف في المصارف الجديدة، عارض الحاج الشيخ استنادًا إلى الشرع وقال:

"أيها السيد فرّخ! قد مات شخص ما وترك مبلغًا من المال وأوصى أنه بعد وفاته، يتلقى قارئ القرآن المعين مبلغًا شهريًا ويقرأ القرآن على قبره، كيف يمكن نقض وصيته؟ كان المال ملكه وكان بإمكانه تحديد مصير ماله بعد وفاته وقد فعل. الآن لا يوجد سبب من الناحية الشرعية للعمل خلاف وصية شخص متوفى."

٣-٨. الموقف تجاه الأزمات الدولية في العالم الإسلامي

في قضية فلسطين واعتداء الصهاينة، أبرق الحاج الشيخ إلى رضا شاه:

"اليوم المسلمون في هذا الهجوم اليهودي على فلسطين والقدس يستغيثون بذلك النصير الوحيد،

الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، بالاعتماد على جذوره التربوية والعلمية العميقة، والبصيرة السياسية، والأخلاق الإلهية، أنقذ الحوزة العلمية في قم من حافة الدمار وحولها إلى مركز حيوي، مستقل وملهم للعالم الشيعي. تديره، وعقلانيته، وخدمته للناس دون منّة، وتربيته لجيل من المراجع والقادة الدينيين، واستقلاله عن القوى الخارجية، هي إرثه الخالد.

وعيون الجميع تتجه إلى الألفاظ الملكية الخاصة. نأمل بإعانة الله جل وعلا أن تُرفع هذه المشكلة المهمة بعناياتكم الخاصة، مما يزيد دعاء هذا الضعيف وعامة المسلمين."

٤. الشخصية الأخلاقية والروحية والاجتماعية

٤-١. الأخلاق الاجتماعية والتواضع

كتب الإمام الخميني في مدح تواضع وأخلاق الحاج الشيخ:

"سماحة الأستاذ المعظم الفقيه المكرم، الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي الذي من سنة ألف وثلاثمائة وأربعين إلى خمسة وخمسين، كانت له الرئاسة التامة والمرجعية الكاملة للقطر الشيعي، رأينا جميعاً كيف كانت سيرته. كان يأكل مع خادمه على نفس المائدة، وكان يجلس على الأرض."

٤-٢. محبة أهل البيت وإحياء التقاليد الدينية والعزاء

من خدماته الروحية محبته الخاصة لأهل البيت، وإقامة ونشر مجالس العزاء التقليدية، وإحياء الفاطمية، والتأكيد على قراءة المراثي، والابتعاد عن التمثيل.

٥. المؤلفات

من أهم مؤلفاته "درر الفوائد"، "كتاب النكاح"، و"كتاب الصلاة"، "مجمع الأحكام"، و"وسيلة النجاة"، و"منتخب الرسائل" وعشرات التقارير لتلاميذه (بما في ذلك آية الله الأراكي، آية الله الكلبيكاني، آية الله الأشتياني وغيرهم).

الخلاصة والنتيجة

آية الله العظمى الحاج



مذكرة برقية آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم إلى رضا شاه

عشية إعلان كشف الحجاب رسميًا وجواب محمد علي فروغي التهديدي والمسيء للشيخ

اليزدي... ولكن في بعض الأيام كان يرسل الشيخ عبد الكريم بعض الأشخاص إلى طهران، ماذا كانوا يفعلون، لا نعلم.

كان آية الله الحائري يتابع بدقة مسار الأحداث ومخططات الاستعمار البريطاني ورضا خان، وكان يعلم أن هذه الخطوات لن تتوقف هنا، وأن محاربة الأحكام والشعائر الإسلامية ستتوالى، غير أن جهل الناس وعدم اتحادهم في مواجهة رضا خان وسياساته كان يمنع من اتخاذ إجراء حاسم من أجل الحفاظ على مكانة الحوزة العلمية الناشئة في قم كقاعدة للمذهب الشيعي، وكان يرى أن التنبيه لرضا خان وحكومته التابعة للأجانب لا يجدي نفعًا، بل يؤدي إلى مزيد من التجرؤ والتعدي منهم. ومع ذلك، ففي ١١ تير ١٣١٤ هـ.ش (٢ ربيع الثاني ١٣٥٤ / ٢ يوليو ١٩٣٥)، أي قبل ستة أشهر وعدة أيام من إعلان كشف الحجاب رسميًا، كتب رسالة برقية احتجاج إلى رضا خان على سلوكه المعادي للإسلام والشريعة:

"برقية" من: قم رقم الاستلام: ٨٥٧

إلى: طهران رقم البرقية: ١٣

عدد الكلمات: ١٠٤ تاريخ الوصول: ١١/٤/١٣١٤ هـ.ش (٢ ربيع الثاني ١٣٥٤ / ٢ يوليو ١٩٣٥)

حضرة صاحب الجلالة الشاهنشاه، خلد الله ملكه

بعد تقديم الدعاء الخالص

لا يخفى على خاطر جلالكم أنني كنت دائمًا أضع رفعة وتقدم الدولة العلية نصب عيني وأعتبرها من أهم مقاصدي، والآن أيضًا وبنفس النية أعرض عليكم ما يلي: إن الأوضاع الحالية التي تخالف قوانين الشريعة المقدسة والمذهب الجعفري عليه السلام تثير قلقي وقلق عموم المسلمين، ومن المؤكد أنه من الواجب على الذات الملكية السامية التي هي اليوم حامية ومسؤولة عن أعراض المسلمين أن تتدخلوا وتمنعوا هذا الأمر؛ وبهذا سنتلون شكر عموم أهالي إيران بل وجميع مسلمي العالم، ونأمل أن تزول هذه المخاوف عن هذا العبد الضعيف وعن جميع أمة الشيعة.

الأحقر عبد الكريم الحائري

الدخول إلى مجلس الوزراء

التاريخ: ١٢/٤/١٣١٤ هـ.ش (٣ ربيع الثاني

١٣٥٤ / ٣ يوليو ١٩٣٥) الرقم: ٢٦٣

الآفاق - مع انتهاء الدورة السابعة لمجلس الشورى الوطني في الأول من شهر آبان ١٣٠٩ هـ.ش (١ جمادى الأولى ١٣٤٩ / ٢٣ أكتوبر ١٩٣٠)، تم إقصاء النواب المخالفين للنظام. وفي هذه الأثناء نُفي الشهيد آية الله السيد حسن المدرس إلى مدينة خواف، وتم التمهيد لمزيد من الضغوط على العلماء، كما أقر المجلس قانون توحيد اللباس في ٦ دي ١٣٠٧ هـ.ش (١٥ رجب ١٣٤٧ / ٢٧ ديسمبر ١٩٢٨)، وبدأ تنفيذ هذا القانون في العام ١٣٠٨ هـ.ش (١١ شوال ١٣٤٧ / ٢١ مارس ١٩٢٩). ومنذ ذلك اليوم زاد الضغط على الطلبة والعلماء والعامّة، وطُرحت قضايا كإجازة العمامة وامتحان الطلاب، كما تم اتخاذ خطوات أولية نحو كشف حجاب النساء. وبعد عودة رضا شاه من تركيا عام ١٣١٣ هـ.ش (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م)، شرع في تنفيذ فكرة كشف الحجاب رسميًا، وفي ١٧ دي ١٣١٤ هـ.ش (١٣ شوال ١٣٥٤ / ٧ يناير ١٩٣٦) تم إعلان كشف الحجاب رسميًا. ومع طرح وتنفيذ قانون كشف الحجاب، كان العلماء وأهل الدين أول من أبدى ردة فعل عنيفة تجاه هذه الأحداث، وكانت معارضة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، بالغة الأهمية.

بلغ استياء وغضب آية الله الحائري من قضية كشف الحجاب حدًا جعله يتنازل عن إمامة الجماعة التي كان يقيمها لآية الله السيد صدر الدين الصدر، كما عطل دروسه. وفي تلك الأيام عُقد اجتماع حضره مع جمع من أهالي طهران، حيث شجع الناس على المقاومة والثبات في مواجهة سياسات الحكومة المعادية للدين. ولما سئل عن تكليفهم الشرعي تجاه كشف الحجاب، وكان من شدة الغضب قد احمرت عيناه، أشار إلى عروق عنقه وقال: "يجب الوقوف حتى آخر رمق، وسأبقى واقفًا، هذا العرض، هذا الحجاب، من ضروريات الدين والقرآن.

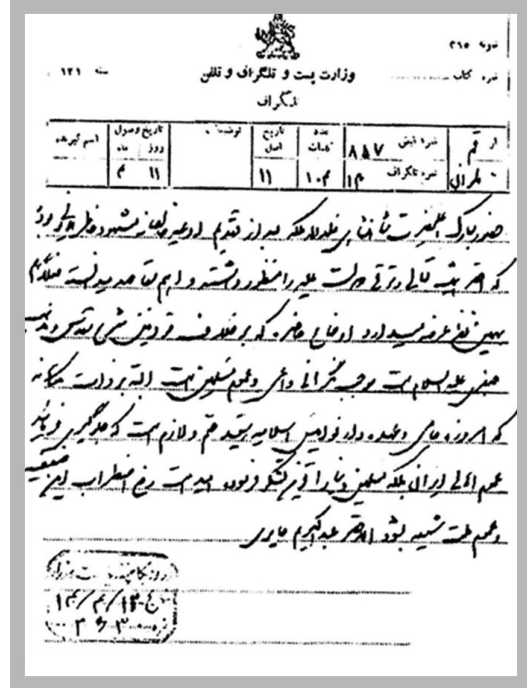
ويقول حسين شاه حسيني في ما يخص أوامر آية الله الحائري في مواجهة كشف الحجاب الرضاشاهي: "في كشف الحجاب الرضاشاهي، كان أبي من رؤساء الأصناف... وكان من المعارضين لهذه السياسة، وعارضها بشدة، وذهب مرة من طهران إلى عند الحاج الشيخ عبد الكريم... وسأله: ماذا نفعل؟ فأفتى آية الله الحائري: "لا يجوز الطاعة أبدًا، ولا تقبلوا بأي وجه من الوجوه، وقاوموا ما استطعتم..." كان أبي حينها يذهب إلى درس المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم [الحائري]

والمذهب الجعفري، ورغم السوابق المعروفة، فقد أثارت دهشة وتغير خاطر حضرة الشاه، وأصدر أمره بأن كل من يروج مثل هذه الافتراءات يجب أن يلاحق قانونيًا. إذا كان رأيكم الكريم مبنياً على الأباطيل والشائعات، فمن الغريب أن تتخذوا موقفًا دون تحقيق، وتطلقوا أوصافًا لا تليق أبدًا بالمقام الملكي السامي، وإذا كان الأمر متعلقًا بالملابس والقبعة، فمن المستغرب أن تصدر منكم، وأنتم المعروف بأرائكم السديدة، كلمات تشير إلى أن مثل هذه الأمور تتعارض أو تتوافق مع أحكام الشرع المقدس. وأنا في عالم الولاء والإخلاص أعتقد أن عليكم أن لا تفقدوا المنهج المرضي الذي كان سببًا في حسن اعتقاد رعايا صاحب الجلالة بكم، ويجب عليكم أن تتحققوا وتأملوا في ما يوصله إليكم عامة الناس والجهلة أو المغرضون، وألا تتحدثوا بحيث تظهر الجهود المباركة التي يبذلها صاحب الجلالة لترقية الدولة والأمة، والتي هي وحدها السبيل لرفع كلمة الحق، بشكل مغاير، وتسبب أذى وتغير خاطر الشاه. وأخيرًا أذكركم بأن كل من يروج لهذه الأوصاف ويشوش أذهان العامة بالأباطيل والافتراءات سيقع تحت العقوبة".

وهكذا تعرض آية الله الحائري لتهديد خطير، بل أنه بعد هذه الأحداث تم نفي اثنين من العلماء هما الشيخ حسين القمي وحاج الشيخ علي أصغر سلامت إلى كاشان بحجة أنهما حرّضا الحاج الشيخ.

وبعد تلك البرقية، ذهب رضا شاه بنفسه إلى قم لإظهار المزيد من القوة، وحمل مسدسًا ودخل منزل آية الله الحائري، وهدد الشيخ والحوزة العلمية في قم بالإبادة. وينقل آية الله الشيخ حيدر علي المحقق من علماء أصفهان عن شاهد عيان وهو الشيخ محمد حسين الفاضل الأصفهاني:

برقية آية الله الحائري إلى رضا شاه احتجاجًا ضد قانون كشف الحجاب



في ظل تصاعد قوة ودكتاتورية رضا شاه، أرسلت هذه البرقية، ورغم مكانة آية الله الحائري واحترام الناس والعلماء له، أرسل له رد يحمل التهديد والإهانة، ولم يكن الرد من الشاه نفسه بل من قبل رئيس الوزراء، الأستاذ الأعظم للماسونية، الخادم المطيع والمنفذ لأوامر ومخططات الاستعمار البريطاني، وأستاذ وموجه رضا خان، محمد علي فروغي، في ١٣ تير ١٣١٤ هـ. ش (٤ ربيع الثاني ١٣٥٤ / ٤ يوليو ١٩٣٥). في هذه البرقية لم يُعتبر الوضع القائم مخالفًا للشرع، بل اعتبر كل من يظن ذلك مستحقًا للملاحقة والعقوبة القانونية. ونص برقية فروغي كما يلي:

"رئاسة الوزراء"

الرقم: ٢٦٣٠

التاريخ: ١٣١٤/٤/١٣ هـ. ش (٤ ربيع الثاني ١٣٥٤ / ٤ يوليو ١٩٣٥)

يُرسل إلى السيد الحاج الشيخ عبد الكريم في قم

برقية جنابكم الموقر إلى حضرة صاحب الجلالة الشاهنشاه أيده الله، بما تضمنته من القول بأن الأوضاع الراهنة مخالفة لقوانين الشريعة الطاهرة

"في اليوم التالي [بعد عدة أيام من برقية الشيخ إلى رضا شاه وردّه المليء بالتهديد] كان الشيخ عبد الكريم جالساً مع بعض أصحابه في المنزل، فطرق الباب، وذهب سيد علي، خادم الشيخ، لفتح الباب، وعاد مذعوراً وقال: جاء الشاه. وكان صادقاً، فهذا كان رضا خان نفسه الذي جاء وحيداً وأمر أتباعه ألا يدخلوا. لم يُتَحَ فرصة لاستقباله أو دعوته للدخول، بل ظهر غاضباً يحمل مسدساً. دخل الغرفة دون سلام أو تحية وقال للشيخ عبد الكريم:

"هل تعرف من أنا ومن أكون؟"

أجاب الشيخ: "نعم، أنت رضا شاه."

قال رضا خان: "ومن أنت؟"

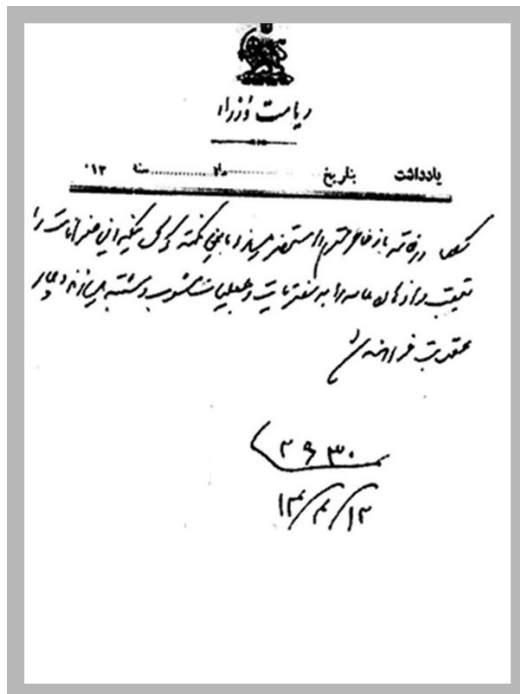
أجاب الشيخ: "عبد الكريم اليزدي، مسؤول الحوزة العلمية."

قال رضا خان: "لا، أنا لست يزيد بن معاوية،

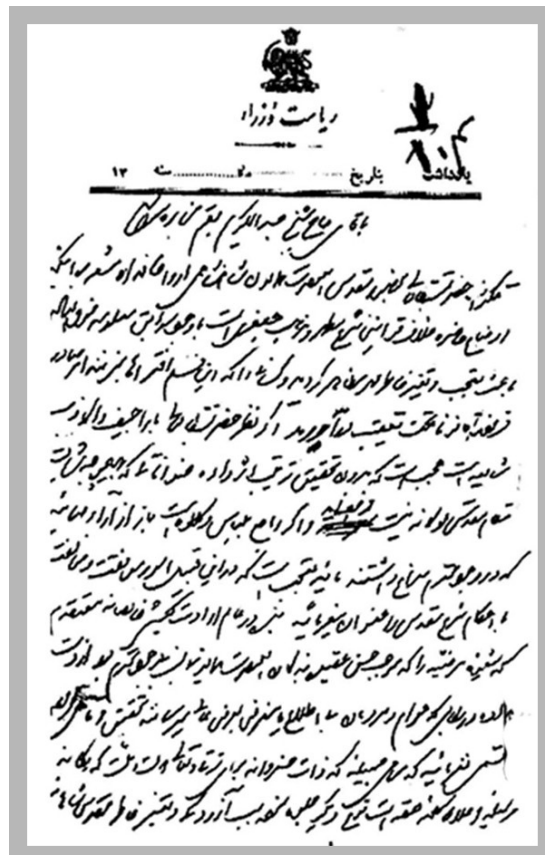
ولست أنت الحسين. ماذا تريد مني؟ غير سلوكك، وإلا سأدمر الحوزة في قم. الدولة المجاورة (تركيا الأتاتورية) كشفت الحجاب والتحتت بأوروبا؛ يجب أن نفعل ذلك، وهذا القرار لن يُلغى أبداً."

وبعد أن قال هذه الكلمات، غادر غاضباً بسرعة دون انتظار أي رد. ويقال أنه في خضم أحداث كشف الحجاب جاء بعض الأشخاص إلى آية الله الحائري وقالوا: "لماذا لا تتحرك؟ لماذا لا تقاوم؟" فأجابهم: "من يريد أن يثور يجب أن يكون له أنصار، يجب أن يثور الجميع ويضحوا بأنفسهم. ماذا يمكنني أن أفعل بنائب في البرلمان أو وزير لا يجرؤ على التخلي عن راتب مئتي تومان في الشهر، أو بتاجر لا يريد التخلي عن منفعة الخاصة..."

🌟 المصدر: موقع مركز مراجعة الوثائق التاريخية الإلكتروني



رد رضا شاه الموهن لبرقية آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي



مقالة
حول مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدّسة
الفقيه الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري قدس سره



وبعد وفاة المجدد هاجر السيد الفشاركي إلى النجف الأشرف فصحبه الشيخ عبد الكريم وظلّ ملازمًا لدروسه إلى أن توفّي في سنة ١٣١٦، فلازم درس الشيخ محمد كاظم الخراساني وكان من أجلاء تلاميذه وبارزي حوزة درسه، وهبط كربلاء قبل وفاة الخراساني، فالتفّ حوله عدد من الطلاب فاشتغل بالتدريس والإفادة، وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي يجلّه ويشير إليه ويعترف بفضله ومكانته، حتّى أنّه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الأنظار وأحلّه مكانة سامية في النفوس.

في سدة المرجعية

في أوائل سنة ١٣٣٣ هجرية سافر الشيخ عبد

هو الشيخ عبد الكريم بن المولى محمد جعفر اليزدي الحائري القمي، ولد في مهرجرد من قرى يزد في سنة ١٢٧٦ هجرية. وكان أبوه من الصلحاء ورجال القرية المعروفين، فوجّه ولده إلى التعليم، وما إن تعلّم القراءة والكتابة وأتقن مبادئ العلوم حتّى بعثه إلى يزد، وكان فيها عدد من العلماء المدرّسين، فقرأ عليهم العلوم العربية وسطوح الفقه والأصول، ثمّ هاجر للتكميل إلى العتبات المقدّسة في العراق وجاور سامراء، فأكمل السطوح على الشيخ فضل الله النوري، والميرزا إبراهيم المحلاتي الشيرازي، وحضر على السيد المجدد الشيرازي، والسيد محمد الفشاركي الأصفهاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، وغيرهم، فقد لازم حلقات دروسهم سنين طويلاً،

الكريم إلى إيران لزيارة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان، وتلقى دعوة من بعض وجهاء "أراك" للإقامة عندهم، فهبط مدينة "سلطان آباد" مركز عراق العجم، وكان هناك بعض أهل العلم فعني بتدريسهم وتنمية مواهبهم، وكان أن ازداد عددهم وبلغ نحو ثلاثمائة طالب علم، وأقبل الطلاب عليه، وأصبحت المدينة مركز ثقافة وعلم على بساطتها. ولما انتقل إلى رحمة الله مراجع الشيعة في التقليد في تلك الآونة كالسيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، اتجه إليه عدد من المقلّدين وحاز ثقة العامة فضلاً عن الخاصة، لما أسلفناه من تأييد الميرزا الشيرازي له.

وفي رجب سنة ١٣٤٠ هبط مدينة "قم" المشرفة بدعوة من بعض رجال العلم فيها رغبة في إحياء أمرها الغابر وإعادة مجدها الدائر، فنظم من كان فيها من طلاب العلم تنظيمًا عاليًا، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزًا علميًا يكون له شأنه في خدمة الإسلام وتشديد دعائمه، وأخذت الحقوق الشرعية والهبات تتوالى عليه من البلدان الإيرانية، فوسّع العطاء على الطلاب والعلماء، وبذل عليهم بسخاء، وسنّ نظامًا للدراسة، وقرّر ترتيبًا مقبولا للإشراف على تعليم الطلاب وإجراء الامتحان السنوي، والناس يومئذ ذوو عقيدة راسخة وإيمان ثابت، واهتمام بشأن الدين ورجاله واحترام لحملته وطلابه، فتقاطروا إليه من كل حذب وصوب، وغصّت المدارس بأهلها، وزاد عدد الطلاب والعلماء في أوائل هجرته إليها على الألف، وقام بأعباء إعاشتهم وتنظيم أمورهم بهدوء وحكمة، وقد أبدى كياسة وكفاءة، ودلّل على عقلية جبارة ونفس كبيرة وصدر رحب، ولم يكن ليكنز الأموال الطائلة من الحقوق الشرعية عنده أو تحت يده، بل اتّمن بعض أصحاب المتاجر من الصالحين، فكانت تحوّل إليه وتجتمع عنده، ويصدر الشيخ له أمره بتوزيعها من قبله على مستحقّيها وسائر المشاريع

المخصّصة لها، وقد أزرت الحكومة يومئذ فقصده السلطان أحمد شاه آخر ملوك القاجاريين إلى قم مع حاشيته للتعرف عليه وتهنئته في نجاحه في مسعاه حول تأسيس الحوزة العلمية.

ترسيخ زعامته الروحية

حدث بعض الوقائع في أوائل هجرته إلى قم ساعدت على دعم شخصيته وبناء كيانه وإبرازه إلى الوجود كزعيم روحي له وزنه ومقامه، منها ورود زعماء الدين ومراجع التقليد في النجف الأشرف يومذاك عليه وبقاؤهم عنده في قم، وذلك أنّ الشيخ مهدي الخالصي عندما نفتته الحكومة العراقية سنة ١٣٤١ توجّه إلى إيران بدعوة منه، كما توجّه إليه السيد أبو الحسن الأصفهاني، والميرزا محمد حسين النائيني، والسيد علي الشهرستاني، والسيد عبد الحسين الحجة وغيرهم من العلماء الذين وقفوا موقف الخالصي واحتجّوا على تبعيده، فنّفني البعض منهم أيضًا، واحتجّ الآخرون على نفيه فخرجوا مغضبين وتفرقوا في بلاد إيران، أمّا الأصفهاني والنائيني والشهرستاني فقد هبطوا قم وحلّوا ضيوفًا على الحائري، وكان الأولان يومئذ أكبر علماء النجف وأشهر مراجعها، وقد رحّب بهما الحائري كلّ الترحيب، وأنزلهما منزل العزّة والكرامة، كما عني بهما الشعب الإيراني وعلى رأسه حكومته، فاستقبلوا من الحدود من قبل مختلف طبقات الشعب، وفي طليعتها العلماء والمسؤولون، وأمر الشيخ عبد الكريم رجال العلم باستقبالهم على مسافة من قم، وجاء الشاه ورجال دولته لزيارتهم، وهنا صارت دار الشيخ الحائري مهبط الأمراء وعلية القوم والأشراف والأعيان. وفي الحقيقة كانت لهذه الزيارة فائدتها الكبيرة للحائري، فهو وإن كان عالمًا شهيرًا إلا أنّ نزول هذين الزعيمين عنده ولمّا يمضِ على هبوطه قم أكثر من عام، أثر في نشر اسمه في مختلف

حنكة الحائري وإخوانه، وصبرهم على المكاره وتحملهم للصعاب قد حال دون ذلك، وهكذا نمت البذرة الصالحة في تلك التربة الطيبة واتسعت الحوزة العلمية اتساعاً غير منتظر، وما مضت السنوات والأعوام، إلّا وازدهرت الحياة الدينية والثقافية، وتعددت الهيئات العلمية، وإذا بالكيان الذي شادته البطولات الخارقة والهمم العالية ضخماً جبّاراً يباهي الشرياً رفعة وشموحاً.

مكانته العلميّة

كان الشيخ عبد الكريم الحائري من الناحية العلمية أحد أفاذا عصره، وفطاحل العلم، وأساطين الدين، ومن كبار الفقهاء وأجلائهم، له في العلوم الإسلامية قدم راسخة وباع طويل، وقد شهدته معاهد العلم في النجف وكربلاء، واعترف بمكانه وتضلّعه كبار المدرّسين وفحول المجتهدين، وقد مرّ رأي الميرزا الشيرازي فيه وإناطة ثقته به، إلّا أنّه بالرغم من جلاله قدره وتحقيقه ومقامه الرفيع كان بعيداً عن الادّعاء وترشيح النفس، وظلّ حتى بعد أن صار من أكبر مراجع التقليد شديد الاحتياط في الفتاوى، كثير التحقّظ والتروّي. وكان له إلى أواخر أيامه درسان؛ أحدهما في الفقه، وكان يلقيه صباحاً، والآخر في الأصول ويلقيه عصرًا. وكان كثير البرّ بالطلاب والعلماء، شديد العطف عليهم والعناية بهم، يرفع الصغير والكبير، وبالرغم من تعيينه لمورّعي الرواتب وتوكيله للثقات من تلامذته وأصحابه بالقيام باللوازم والاستفسار عن النواقص، إلّا أنّه كان يتولّى بعض الأمور بشخصه ويباشرها بنفسه، وكان أعدّ لهم كلّ شيء قد يحتاجون إليه، حتّى أنّه بنى مستشفى خاصّاً بالعلماء والطلاب ليشعرهم بالكيان المستقل والكرامة الموفورة التي كانوا يتمتّعون بها. وفي الوقت الذي كانت فيه الشخصيات السياسية والتجارية والأمراء والقادة يتهافون على بيته للثم أنامله وعرض أنفسهم

البلاد الإيرانية والأوساط الرسمية والشعبية، وبهذا دخل بيته من لم يكن يتفق له دخوله من قبل، وتعرّف على أناس من ذوي النفوذ كان تعرّفه عليهم ووصولهم إليه يتطلّب الوقت والجهد لمن في حاجة إلى بذلهم على مشروعه الجبّار والجامعة التي بدأ يشيّد أساسها، وهذا ما ركز مقامه ودعم زعامته، أضف إلى ذلك أنّ الضيفين الكبارين - وهما أفضل مدرّسي النجف - قد تولّىا التدريس بدعوة منه خلال مكثهما في قم.

في مواجهة علمنة رضا بهلوي

لاقى الشيخ عبد الكريم الحائري في طريق عمله لترسيخ أركان حوزة قم والقيام بشؤون الزعامة الدينية على وجهها من الصعاب والمتاعب ما يكفي لتراجع أكبر الرجال قلباً وأقوام شكيمة وأوسعهم صدرًا، حيث كان لإنهاء حكم القاجاريين وتولّي رضا بهلوي السلطة في إيران تأثير بارز في تقليص جهوده والحدّ من نشاطه، إذ رافقت ذلك أحداث ووقائع جسام، وكانت سيرة بهلوي واضحة في عزمه الأكيد وتصميمه على القضاء على الدين ومحو كلّ أثر لرجاله وشعائره ورسومه، فقد سجن العلماء الكبار، ونفى عددًا منهم، ودسّ السمّ لآخرين، وفعل الأفاعيل من هذا القبيل، وفي هذه الظروف كان الحائري يعمل على توسيع دائرة الحوزة العلمية في قم ونشر الدعوة، ودعم هيكل الدين، وإشادة مجد الإسلام بإعمام أحكامه وتطبيق نظامه. في ذلك الوقت، وفي تلك الظروف السود قاوم هذا العالم المخلص ديكتاتورية الملك وإباحيته ووقف في وجهه، مجنّدًا كلّ إمكانياته وقابلياته، وموطّئًا نفسه للعظائم ومضحّيًا في سبيل دعوته بكلّ ما يملك.

وكانت هناك حوزات علمية صغيرة في خراسان وطهران، وتبريز وأصفهان، وغيرها من بلاد إيران، تمكّن الحاكمون من تفريق شملها والقضاء عليها، وبقي همهم منصرفًا للقضاء على حوزة قم إلّا أنّ

لخدمته، كان يدور على غرف طلاب العلم بمفرده للاطلاع على أحوالهم وأساليب معيشتهم، والوقوف على مدى عنايتهم بالدرس والمطالعة، وكان يحث المتساهلين ويشوقهم، ويمدح النشاط، ويمنح المتفوقين في الامتحان جوائز قيمة، وكان يوصي الكل بالإخلاص في العمل والالتزام بتقوى الله تعالى، ولم يُسمع عنه رغم كثرة من كان يعيل به من الطلاب أنه ردّ طالباً أو انزعج منه قلب أو أخجل إنساناً، ولذلك كان الكل ينظرون إليه نظرة الطفل إلى الأب الرؤوف.

وفاته

ظل الشيخ الحائري كالطود الأشم يدير الكيان العلمي لحوزة قم ويدراً عنه المخاطر ويردّ عنه غائلة العدو، ورغم الكوارث والهنايا التي كانت تنزل بالشعب الإيراني المسلم على يد حاكمه الجبار يوماً بعد يوم، ولا سيما رجال العلم والصلاح، فكان يرى كبار العلماء من زملائه يعانون آلام النفي والسجن، ويعاملون بمنتهى القسوة، ويدسّ لهم السم في المنافي ويموتون خنقاً في السجون، ويرى السفور وقد فُرض على المحجبات وذوات العقّة والنجاسة فرضاً، وطلاب الدين يساقون إلى الخدمة العسكرية، والخمور تباع علناً، وعزاء سيّد الشهداء وزيارة قبور آل محمّد بالعراق وغيره محظورة يعاقب عليها، وأخيراً واقعة خراسان التي قُتل فيها الألوف من العلماء والسادة والأشراف والزوار الغرباء في مسجد "جوهرشاد" الملاصق لحرم الإمام الرضا (عليه السلام) حين دُعوا للاجتماع بخديعة، ووُجهت المدافع عليهم فدفنتهم تحت الأنقاض ظلماً وعدواناً. لقد كان الشيخ الحائري يرى ذلك كله بعينه وقلبه يقطر دماً لأنه لا يستطيع دفع الضرر، وكان الوحيد بين العلماء حيث لم يتعرّضوا له شخصياً وكانوا يُبدون له الاحترام ظاهراً ويحاملونه، وكان يحافظ على هذه الشكليات ليدفع بها الشر عن الباقيين في بعض الحالات، وصار يرغب للعزلة وينزوي عن الناس لأنه يرى ما

يحلّ بهم ولا يقدر على مساعدتهم، وهكذا إلى أن مرض وتغلّبت عليه العوارض وتوقّى في ليلة السبت ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هجرية، فُتلم الإسلام بموته، وخسر المسلمون به زعيماً كبيراً، وركناً ركيناً، وداخل النفوس من الخوف والهلع ما لا مزيد عليه، إذ كانوا يعتصمون به ويستظلّون بظله، وقد جرى له تشييع عظيم قلّ نظيره، ودفن في رواق حرم فاطمة المعصومة عليها السلام بقم، حيث مقبرته المعروفة اليوم، ورثته الشعراء وأتبه العلماء.

آثاره العلمية

ترك الشيخ عبد الكريم الحائري من الآثار "كتاب الصلاة" في الفقه، و"التقريرات" في أصول الفقه من بحث أستاذه الفشاركي، وقد استُخرج منه كتابه الآخر "درر الأصول"، وهو حاشٍ لمباحث الأصول برمتها ما عدا الاجتهاد والتقليد.

وقد أُتيحت له فرصة تربية جيل كبير من الفقهاء الذين أضحووا فيما بعد عمد الدين، وأساطين الحوزة، ومراجع للفقه والأصول، وقد غطّى البلاد جلّ المتخرجين من هذه الحوزة، فما من مدينة إلا وفيها خريج من هذه الحوزة المباركة من تلامذته، أو من المتخرجين على يدي تلامذته، منهم: الإمام الخميني، وسيد الطائفة آية الله الكلبايكاني، وشيخ الفقهاء آية الله الأراكي قدّس سرّهم.

✽ المصدر: مجلة شعائر

العدد التاسع والثمانون

الجهاد الثقافي للحوزة العلمية في قم في فترة زعامة آية الله الحائري

من تبني التسامح في مواجهة النظام الحاكم. وهذه الحوزة بعد ترسيخ مكانتها استطاعت القضاء على النظام الملكي.

آية الله الحائري والجهاد الثقافي مع نظام رضا خان

من سمات الحوزة العلمية في فترة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري هي حداثتها إذ ركز على إحياءها وتطويرها، وإن كل التطورات التي شهدتها الحوزة في تلك الفترة كانت بمثابة اختبار لاستقلال المجتمع الديني الإيراني فكريا، استقلال برز في كل جوانب الحياة من الثقافية والاقتصادية والسياسية، وأخيرا بلغت الحوزة العلمية في قم قمة ازدهارها.

من أهم الأعمال التي قام بها آية الله الحائري في مجال الجهاد الثقافي يمكن الإشارة إلى:

١- تأسيس كلية المعقول والمنقول

قرر رضا شاه عند تأسيس جامعة طهران بتقليد من الجامعات الأوروبية، ان يطلق اسم العلوم المعقولة والمنقولة على إحدى كليات جامعة طهران. وعلى هذا غير اسم مدرسة سبها سالار العالية وهي من مدارس العلوم القديمة إلى اسم كلية المعقول والمنقول والمعارف الإسلامية والأدب العربي، وذلك بعام ١٣١٣.

ان الهدف من تأسيس هذه الكلية هي تأسيس مؤسسة مماثلة لإعداد علماء الدين يخضعون للحكومة، ويتم الإشراف على أعمال الكلية. بعد تأسيس الكلية وبداية تربية علماء الدين على يد الأساتذة، كانت المشكلة الجوهرية هي أسلوب مواجهة علماء الدين. إن العدد الكبير لعلماء الدين

من سمات الحوزة العلمية في فترة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري هي حداثتها إذ ركز على إحياءها وتطويرها، وإن كل التطورات التي شهدتها الحوزة في تلك الفترة كانت بمثابة اختبار لاستقلال المجتمع الديني الإيراني فكريا، استقلال برز في كل جوانب الحياة من الثقافية والاقتصادية والسياسية، وأخيرا بلغت الحوزة العلمية في قم قمة ازدهارها.

استطاع علماء الدين بسبب امتلاكهم السلطة الكبيرة أن يقفوا في مواجهة خطة كشف الحجاب والاستبداد الداخلي ويحولوا دون تحقيق أهداف النظام البهلوي المعارضة للدين، بعد تولي جيل جديد من علماء الدين في الحوزة العلمية في قم بزعامة الإمام الخميني رحمته، انتقل النضال من الساحة الثقافية إلى الساحة السياسية، والنتيجة تبلورت في تكوين النهضة الإسلامية وتغيير النظام في إيران.

إن الحوزة العلمية في قم منذ بداية تأسيسها، ركزت كل اهتمامها على إحداث تغييرات جوهرية في المجتمع الإيراني المسلم، ونجحت في بلوغ مراميها، ومن أهم القضايا لعلماء الدين هي إحداث التطورات الثقافية على مستوى البلاد، وفي هذا المجال كان لابد لهم من مقارعة النظام السائد.

في فترة الحكم البهلوي أبدى زعماء الحوزة العلمية في قم في المجال الثقافي ردود أفعال مهمة، ونجحوا في الكثير من الأحيان في تغيير أعمال النظام البهلوي، وأحيانا حالوا دون تحقيق التحديات الثقافية من خلال النضال والمقاومة.

في فترة الزعماء الأوائل للحوزة ومن خلال الهدف الجوهري لهم، وهو الحفاظ على كيان الحوزة، لم يواجهوا النظام السائد وفي بعض الأحيان كان لابد



هو أن الوعاظ ليس بحوزتهم الكثير من المعلومات، ويقومون بتضليل الناس بدلا من إرشادهم، وهكذا بدأت أنشطتها رسميا. غير أن المؤسسة أخفقت في نوال مراميها، وبعد عامين أغلقت أبوابها.

هناك عدة أمور كانت السبب وراء إخفاقها وهي عدم ترحيب علماء الدين في الحوزة بهذا المشروع وعدم مشاركتهم في صفوفها، ووفقا للوثائق المتوفرة كانت الحوزة قد ركزت في بداية عملها على استقطاب أكبر علماء الدين، لكن العدد كان قليلا رغم كل محاولاتها. فتم الإعلان عن حلها.

٢- توحيد الأزياء وكشف الحجاب

قضية كشف الحجاب وتوحيد الأزياء قد شكلت

وقوة علاقتهم بالبعض، وعلاقتهم القوية بالناس، كانت محط اهتمام الحكومة.

وصلت الحكومة في تفسيرها النهائي إلى نتيجة بأنه إلى جانب إرغام علماء الدين بالتعرف على العلم الجديد وجعلهم تابعين للحكومة، يمكن تغيير أفكارهم. هذا الأمر كان سببا في تأسيس مؤسسة جديدة أخرى باسم مؤسسة الوعظ والخطابة، في الحقيقة فإن القائمين على هذه الأمر استنتجوا بأنه فضلا عن الإشراف على علماء الدين، يجب بذل المساعي في تغيير أفكارهم من خلال دورات ثقافية قصيرة الأمد، ولا يمكن إنجاز هذا العمل إلا من خلال تأسيس مؤسسة الوعظ والخطابة.

أعلنت الحكومة بأن السبب في تأسيس المؤسسة

الحائري. رفض التدخل في الأمر بداية لكنه بعد ضغوط كثيرة، أرسل برقية إلى الشاه لكن لم يتلق أي ردّ، لكن رئيس الوزراء أرسل برقية له كانت مليئة بالتهديد والإهانات، وبعدها جاء رضا خان إلى قم ودخل بيت آية الله الحائري ودون توجيه التحية قال غاضبا: غيروا سلوككم وإلا سأدمر حوزة قم، قامت تركيا بكشف الحجاب ونريد القيام بهذا العمل.

كانت نتيجة البرقية التي أرسلها آية الله الحائري هي اعتقال عدد من العلماء ونفيهم. وقال آية الله الحائري: لو لم أرسلها فلم يكن عدد من العلماء يواجهون هذه المشاكل ولم يسرع الشاه من توحيد الأزياء في قم.

بعد أيام تم إطلاق النار على مسجد "جوهر شاد" ومارست الحكومة ضغطا على الناس، بحيث قال الإمام الخميني رحمته الله: "لا يمكنني وصف هذه مشاكل تلك الأيام لكم".

ذهب عدد من الطلاب إلى آية الله الحائري واستفسروا حول الأمر فقال: لا تركوا الساحة، سيذهب الظلم وتبقون أنتم، اليوم ولينا هو إمام الزمان عليه السلام، وطدوا علاقتكم به. ثم عندما جاء رئيس الشرطة لزيارته قال له: "لا أريد إراقة الدماء فإني أعرف كيف أجعلهم يستوعبون من يمتلك السلطة".

من جهة أخرى طالب سماحته الطلبة باتخاذ الحيلة. كما تبنى سماحته الصبر والحيلة في مواجهة النظام للحفاظ على الحوزة العلمية إذ نقل عن رضا شاه قوله: "قضيت على كل العلماء ما عدى الحائري لو أزلته عن طريقي لكنت قادرا على إزالة الإسلام".

٣- الأوقاف

كان رضا شاه بغية تدشين المدارس الجديدة

ذروة التوتر الثقافي بين الحكومة والحوزة في عهد آية الله الحائري. بحيث في هذه الحادثة لم يحترموا الحاج شيخ وعاملوه بعنف، القضية المهمة هي أنه بالرغم من أخلاق الشيخ السمحة، إلا أنه وقف بوجه سياسات رضا شاه، فظهرت موجة من التوترات بين الحكومة وآية الله الحائري حول كشف الحجاب وتحديد الأزياء وتغيير أزياء علماء الدين.

المادة الثانية من القانون كانت حول من يتم استثنائهم من هذا القانون. وتناولت المادة الثالثة عقوبات المخالفين واستندت المادة الرابعة إلى تطبيق هذا القانون منذ بداية عام ١٣٠٨ في المدن وحتى نهاية العام في خارج المدن. وكانت الفئات الثمانية المستثناة من توحيد الأزياء في المادة الثانية من هذا القانون على النحو التالي: المراجع التقليدي، فقهاء أهل السنة، مدرسي الفقه والأصول والحكمة الإلهية وعلماء الدين الإيرانيين من غير المسلمين.

بعد هذا القانون، دخل الشاه مع زوجته وابنته إلى المجلس، وهناك أزال الشادور منهما، وبذلك أعلن رسمياً عن كشف الحجاب. بمرور قانون توحيد الأزياء، اشتدت هيمنة رضا شاه على رجال الدين. حاولت الحكومة تقليص عدد رجال الدين بإصدار "تراخيص العمامة" من خلال الإشراف على المعاهد ورجال الدين.

بموجب القانون، تم الضغط على الطلاب لتغيير ملابسهم. وعلماء الشاه قاموا بمضايقة طلاب مدرسة الفيزية وخلعوا عمامتهم بحجة لبسهم الزي العسكري. كل صباح، كان أحد رجال الشرطة يأتي إلى المدرسة ويأخذ الطلاب إلى مركز الشرطة ويطلب منهم توحيد الأزياء.

بعدما أصبحت قضية كشف الحجاب موجهة نحو علماء الدين، تركزت الأنظار على الحوزة العلمية في قم وردة علماء الدين وعلى رأسهم الشيخ عبد الكريم

وتربية المدرسين بحاجة إلى مصدر مالي وتمويل، حتى يمكنه تحقيق أهدافه، وفي هذا المجال لفتت الاستفادة من عوائد الأوقاف انتباهه. فقرر تنفيذ هذه الخطوة بعد موافقة علماء الدين، لهذا أرسل شخصا للتوجه إلى الشيخ والحديث معه حول الأمر.

فقال: هناك شخص توفي وترك مالا وأوصى بأن القارئ يأخذ شيئا من المال ويتلو القرآن على قبره، لماذا نقوم بنقض وصيته؟ كان المال له وحدد مصيرها، ما الدليل الذي نمتلكه كي نعارض وصيته، فاقتنع الشاه وغض الطرف عن تنفيذ هذا القانون.

الحوزة العلمية في قم التي تأسست بهدف الاهتمام بالأمور الدينية وشم تم إحيائها، استطاعت ومن خلال مبادرات زعماءها أن تقوم بتغييرات عظيمة في إيران وكذلك تغيير مسار التطورات السياسية

والاجتماعية بشكل آخر. إن نضال علماء الدين في مختلف القضايا الثقافية فتح الطريق الحقيقي للنضال السياسي الحقيقي في مواجهة الحكومة. استطاع علماء الدين وبسبب امتلاكهم السلطة الكبيرة ان يقفوا في مواجهة خطة كشف الحجاب والاستبداد الداخلي ويحولوا دون تحقيق أهداف النظام البهلوي المعارضة للدين، بعد تولي جيل جديد من علماء الدين في الحوزة العلمية في قم بزعامة الإمام الخميني قدس سره، انتقل النضال من الساحة الثقافية إلى الساحة السياسية، والنتيجة تبلورت في تكوين النهضة الإسلامية وتغيير النظام في إيران.

✽ المصدر: موقع مركز وثائق الثورة الإسلامية



آية الله الحائري اليزدي في جنبه حجة الإسلام الميرزا مهدي البروجردي في نزهة ودية

قم المقدسة وبزوغ الحوزة العلمية

محمد علي جواد تقي

والولائي العميق لأهل هذه المدينة، وحسب المصادر التاريخية، فان قبائل شيعية موالية لأهل البيت (عليه السلام)، استوطنوا هذه المدينة في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي.

الثالث: وهو الأهم، جهود وتضحيات علماء الدين، الذين عرفوا قيمة هذه المدينة وأهلها، فبدلوا الغالي والنفيس في سبيل تشييد هذا الصرح الحضاري والعلمي العظيم، لتأخذ دورها في البناء والإصلاح إلى جانب الحوزات الفاعلة الأخرى.

اللبنة الأولى

كما هو المعروف، فإن مرقد أهل البيت (عليه السلام) تمثل مركز استقطاب علمي - معرفي، وهي السنة التي درج عليها الموالون، بعد أول مدرسة علمية تأسست على يد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده تحولت المدينة المنورة، الحاضرة العلمية الأولى للمسلمين ولأهل البيت (عليه السلام)، بشكل خاص. من هنا جاءت شاءت الأقدار أن تكون رحلة الزيارة التي قام بها الشيخ عبد الكريم الحائري (رحمته الله) من مدينة "أراك"، حيث يقيم، إلى مدينة قم سنة ١٣٤٠هـ، بل والخطوة الأولى نحو هذه المدينة، هي اللبنة الأولى في تشييد الحوزة العلمية في هذه المدينة المقدسة، وأن يكون مبنى الحوزة العلمية ملاصقاً لمرقد السيد فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).

وعندما وصل الشيخ الحائري هذه المدينة، كانت على موعد لإحياء ذكرى المبعث النبوي الشريف، فكانت الشوارع والأحياء السكنية والمحال التجارية حافلة بمظاهر الزينة والفرح، فكان الاستقبال حافلاً وبهيجاً من قبل الأهالي وعلماء الدين وطلبة العلوم الدينية، وبعد فترة

الاجتهاد: في تاريخ الحوزة العلمية، تقف مدينة قم المقدسة، بين المدن والحواضر العلمية شامخة بمكانتها التاريخية والحضارية، فبعد مدن بغداد والحلة ثم النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وسامراء المقدسة، تواصل هذه المدينة عطائها العلمي ودورها الحضاري في الأبعاد الاجتماعية والسياسية والفكرية.

يكفي أن نعرف العمر القصير لحوزة قم المقدسة الشابة - إن صح التعبير - قياساً بالحوزات العلمية التي شيدها كبار علماء الدين، فبعض هذه الحوزات لم تعمّر طويلاً، أو توقفت عن العطاء لأسباب عديدة لسنا في وارد ذكرها هنا.

منها الحوزة العلمية في بغداد، والحوزة العلمية في الحلة، الأمر الذي يدعونا لأن نسلط الضوء على ثلاث عوامل أساس في تفوق الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، وسر حيويتها ونهضتها وتقدمها في فترة قاسية:

الأول: المكانة التاريخية والسجل الولائي الحافل، جعلها تكون ضمن المدن والمناطق التي يفصح بها الأئمة المعصومون على أنها من مراكز الولاء لأهل البيت (عليه السلام)، وقد ذكرت روايات عديدة بحق هذه المدينة، منها عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث قال: "إن لله حرماً وهو مكة، وإن لرسوله حرماً وهو المدينة، وإن لأمر المؤمنين حرماً وهو الكوفة، وإن لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة." (البحار، ج ٦ - ص ٢١٦)

الثاني: احتضان المدينة للجثمان الطاهر لسليمة البيت العلوي، السيد فاطمة بنت الإمام موسى ابن جعفر (عليه السلام)، وهو بحد ذاته يعكس التوجه الإيماني

وجيزة، واجه الشيخ الحائري دعوة ملحة من هؤلاء الطامحين، بأن يبقى إلى جانبهم، لما عرفوا عنه منزلته العلمية وتقواه وزهده وتلمذته على يد كبار العلماء آنذاك، في مقدمتهم السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي وأيضاً الميرزا محمد تقي الشيرازي، في حوزة سامراء، كما تتلمذ على يد الأخوند الخراساني في النجف الأشرف.

البذرة الطيبة لهذه الحوزة تكونت في اجتماع كلمة الشريحتين الرئيسيتين في مجتمع مدينة قم هما: أصحاب رؤوس الأموال المعروف عنهم بـ "رجال السوق"، وأصحاب العلم والمعرفة من علماء الدين، على الطلب من الشيخ الحائري بتشديد حوزة علمية تكون لهم مصدر إشعاع علمي وثقافي يستغنون بها عن تجشّم عناء السفر إلى النجف الأشرف أو كربلاء المقدسة، لبعد المسافة ومشقة السفر آنذاك. وقد طلب الشيخ الحائري فرصة الاستخارة في البقاء وتلبية هذا الطلب من عدمه، فجاءت الآية الكريمة: "أتوني بأهلكم أجمعين".

مبادرات للتقدم والتطوير

الحوزة العلمية في قم المقدسة، لم تنحصر ضمن جدرانها الأربعة أو في الحجر وأماكن التدريس والمذاكرة، إنما شملت بعطائها المجتمع وما يحتاجه إليه، مع حجم الإمكانيات والقدرات لديها.

وكان الشيخ الحائري في طليعة المبادرين لخطوات عظيمة على صعيد الحوزة العلمية، وأيضاً على صعيد المجتمع، جعلته رمزاً قيادياً يحتذى به في تاريخ هذه المدينة المقدسة. نشير إلى بعض الانجازات على الصعيد الاجتماعي:

١-إنشائه سداً على نهر مدينة قم وذلك لحماية المدينة المقدسة من الفيضان.

٢-تشبيده داراً تكون مأوى للفقراء لغرض إطعامهم وذلك أيام الجفاف الذي عصف بالبلد.

٣- في عام ١٣٥٣هـ، قام ببناء ما يشبه المأوى لمتضرري الفيضانات والسيول.

وغيرها من الخدمات الاجتماعية العديدة .

أما على صعيد الحوزة العلمية، فقد شهدت حلقات الدرس والمباحث العلمية ازدهاراً كبيراً، وتطوراً نوعياً في الكم والكيف. ومن أبرز مستحدثاته على مناهج التدريس إدخاله "الامتحان" للدروس التي يتلقاها طلبة العلوم الدينية، وهو ما لم تألفه الحوزات العلمية من قبل، وهذا يمثل بوضوح حرصه على التحقق من المكتسبات العلمية خلال فترة الدراسة والاعتناء بعامل الزمن والاستفادة ما أمكن من الفرص لمزيد من التعلّم والدراسة والبحث وصولاً على أفضل النتائج في العلوم الدينية، من فقه وأصول وتفسير ولغة وغيرها.

هذا ما كان من مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة، أما عن زعامة الحوزة العلمية، فقد شهدت هذه المدينة بزوغ نجم كبير آخر، هو المرجع الديني الأعلى في زمانه السيد حسين البروجردي رحمته الله الذي آلت إليه الزعامة بعد وفاة المرجع الديني الأعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني في النجف الأشرف، فكانت الانتقالة الأولى من نوعها لهذه الزعامة من النجف الاشرف إلى قم المقدسة، بمعنى أن هذه المدينة شهدت تأسيس حوزة علمية متأقمة ومتطورة، ثم وجود الزعامة الشيعية في العالم، وهذا ما جعل هذه الحوزة تزداد تألقاً وتطوراً من النواحي كافة.

الوقوف بوجه انحراف السلطة

نظراً للعلاقة التاريخية والوطيدة بين علماء الدين والمجتمع في إيران، والدور القيادي الذي تمثل في أشكال وحالات متعددة، وانعكاس هذه العلاقة على الوضع السياسي الحاكم، فإن الدور الرقابي لعلماء الدين في إيران بشكل عام وفي قم المقدسة، لاسيما بعد تأسيس الحوزة العلمية فيها، كان له كبير الأثر في صياغة العلاقة بين المجتمع والدولة. فأى انحراف أو جور أو تعسف من قبل السلطة، كان يجابه على الفور بالاستتكار

وعلماء الدين، متمثلاً في تربية وتنشئة جيل واعد من خطباء المنبر الحسيني وأيضاً من المفكرين والباحثين الذين قاموا بدور كبير في التصدي للأفكار والوافدة والمضللة، ونشر الوعي الديني بين الناس، من خلال المجالس الحسينية وأيضاً المحاضرات في المساجد والحسينيات وحتى في البيوت. وهذه بدورها عززت العلاقة بين المجتمع والحوزة العلمية، وضعفت من قبضة السلطة الغاشمة. ويمكن الإشارة إلى أبرز الخطباء آنذاك، وهو الشيخ محمد تقي فلسفي، الذي تحولت محاضراته الاجتماعية إلى كتب جذابة وجميلة، منها "الطفل بين الوراثة والتربية"، كما يمكن الإشارة إلى المفكر الشهيد الشيخ مرتضى مطهري والمفكر الشهيد الشيخ محمد مفتاح وآخرين من الذين تخرجوا من الحوزة العلمية في قم، وخاضوا معارك الفكر والعقيدة مع أشرس أعداء الدين من أصحاب الأفكار الماركسية والعلمانية والوجودية وغيرها.

من هنا، نجد أن الشعب الإيراني بشكل عام، وأهالي مدينة قم المقدسة بشكل خاص، يدركون منزلة علماء الدين والحوزة العلمية في تشكيل وعيهم السياسي وثقافتهم الدينية وفضلهم فيما وصلوا إليه من عزّة واقتدار في العالم الإسلامي بعد العيش قروناً متمادية في ظل أنظمة حكم حولت الشعب الإيراني إلى ما يشبه العبد الذليل.

✳️ المصدر: العدد التاسع من صحيفة المختار - شبكة النبأ المعلوماتية

والشجب، وهي المسيرة التي استمرت حتى الانفجار الكبير الذي أدى إلى انهيار النظام الملكي في إيران بعد عمر مديد طال حوالي ٢٥٠٠ سنة.

من أبرز المواقف البطولية لعلماء الدين والتي ما تزال في ذاكرة الشعب الإيراني، تصديهم الشجاع للقرار الجائر ذو الصبغة العلمانية، الذي اتخذته "رضا شاه" بحظر ارتداء الحجاب، مما ليًا في ذلك الاستعمار البريطاني الذي رفعه من رتبة ضابط خيالة في الجيش الإيراني التابع للدولة القاجارية، إلى قائد عسكري، وبعد انهيار هذه الدولة، أصبح بين ليلة وضحاها "الملك" لما يسمى بـ "الدولة البهلوية". ويشير الباحثون إلى أن "رضا شاه بهلوي" كان رديفًا لكل من "أتاتورك" في تركيا، و"الحبيب بورقيبة" في تونس، حيث سار الثلاثة في مسار واحد لعلمنة بلادهم الإسلامية وإبعاد الدين بشكل كامل عن الحياة العامة.

فكان لعلماء الدين في قم المقدسة الدور الكبير في الوقوف بوجه هذا القرار ومساندة الشعب الإيراني في الحفاظ على كرامته، فكانت هنالك مواقف عديدة خلقت حالة من الوعي واليقظة في أوساط الشعب الإيراني، وحسب المصادر، فإن الشيخ الحائري قرر الامتناع عن أداء صلاة الجماعة، لإثارة انتباه الناس ومحاولة شحذ الهمم، وقد أرفق هذا الموقف، برقيات تنديد وتهديد بتصعيد الموقف المعارض، حيث أشار في إحدى برقيات إلى أن "من أجل الدين والعرض يجب التصدي والوقوف حتى الموت".

هذه المواقف استمرت حتى مع رحيل مؤسس الحوزة العلمية، فقد واصل علماء الدين في قم المقدسة تصديهم للانحرافات والسياسات الجائرة التي كان يمارسها النظام البهلوي، لاسيما في المجال الاجتماعي حيث كان الواضح آنذاك الإيغال في تمييع المجتمع وتكريس حالة التحلل الخلقي بما يبعده عن الدين والأخلاق.

وهنا لابد من الإشارة إلى الجانب المهم جدًا في الدور الحضاري والاجتماعي للحوزة العلمية

مؤسس الحوزة، مؤسس النضال ضد إسرائيل

بصياغة وثيقة الانتداب على فلسطين وإرسالها إلى عصبة الأمم لتنفيذ التزاماتها تجاه الصهاينة. وعندما تم الكشف عن هذه الاتفاقية، اندلعت معارك دموية بين السكان المسلمين والعرب في المناطق المحتلة من جهة، وبين الحكومة البريطانية والصهاينة من جهة أخرى.

في عام ١٩٣٣ (١٣١٢ هـ.ش)، قام الاستعمار البريطاني بدعم الصهاينة وقمع المسلمين، حيث صادر أراضي الفلسطينيين وسلمها لليهود المهاجرين. في الواقع، لعبت بريطانيا الدور الرئيسي في تسهيل هجرة اليهود من خلال مصادرة أراضي الفلسطينيين والسكان الأصليين. في هذا الوقت، تحرك آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري، وبعده علماء إيران الآخرون، للدفاع عن الشعب الفلسطيني.

كانت الخطوة الرئيسية لمؤسس الحوزة في ذلك الوقت هي إرسال رسالة إلى "رضا شاه". أرسل آية الله الحائري هذه الرسالة في شهر ذي عام ١٣١٢ هـ.ش (رمضان ١٣٥٢ هـ.ق) عبر آية الله السيد محمد البهبهاني إلى "رضا شاه"، لأن البهبهاني كان ابن السيد عبد الله البهبهاني، زعيم الحركة الدستورية، ولعلاقته بـ"رضا خان"، لعب دور الوسيط بين العلماء والشاه والبلاط، وكان محل احترام الشاه.

نص برقية آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي إلى رضاخان:

"إلى المقام المنيع لجلالة الملك المعظم، خلد الله ملكه. بعد الدعاء الخالص، اليوم المسلمون في ضيق من هجوم اليهود على فلسطين وبيت

الآفاق - في هذه المذكرة، يتم شرح كيفية تعامل آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، مع قضية الصهيونية، مع محاولة تقديم إجابة واضحة. ومن الجدير بالذكر أن حياة مؤسس الحوزة العلمية في قم كانت في وقت لم تكن فيه نعمة تشكيل كيان يهودي في العالم قد أعلنت بعد، بل إن العديد من السياسيين والمفكرين في العالم العربي كانوا غير مدركين لهذه القضية.

في السجل السياسي لآية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، توجد نقاط مضيئة، حيث يظهر من خلال تحليلها بشكل دقيق، بالإضافة إلى فهم رؤيته السامية والصحيحة تجاه الأحداث المهمة، التأثير الكبير لقرارات آية الله الحائري.

إحدى هذه القضايا هي رد فعل آية الله الحائري اليزدي على قرار الحكومة البريطانية بضم فلسطين إلى ممتلكاتها ومنح هذه الأرض لليهود والكيان الصهيوني.

في خضم الحرب العالمية الأولى، وقعت الحكومة البريطانية الاستعمارية مع فرنسا عام ١٩١٦ (١٢٩٥ هـ.ش) اتفاقية تقسم بموجبها تركة الإمبراطورية العثمانية في الشرق الأوسط بينهما قبل انتهاء الحرب. وبموجب هذه الاتفاقية، حصلت فرنسا على سوريا ولبنان وجنوب تركيا، بينما حصلت بريطانيا على فلسطين والمناطق المحيطة بالخليج الفارسي وأراضي العراق الحالية حتى بغداد.

بعد إضفاء الصفة الرسمية على السيطرة البريطانية على فلسطين، وبسبب العلاقة بين الحكومة البريطانية الاستعمارية واليهود، قامت في عام ١٩٢٢

في رأيي المتواضع، نشرها في الصحف يكون مناسباً. والأمر متروك لموافقتكم. الأحقر محمد الموسوي البهبهاني."

لتوضيح أهمية رسالة آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري، يجب شرح الأجواء الخائفة والحساسية في ذلك الوقت بإيجاز، ثم شرح الأبعاد المختلفة للرسالة.

"في العام نفسه الذي دخل فيه آية الله الحائري قم وأسس دعائم الحوزة، دخل "رضاخان" طهران عبر انقلاب السيد ضياء الدين الطباطبائي، وتغير الوضع السياسي والاجتماعي للبلاد فجأة. وبعد وقت قصير، تمكن "رضاخان" من الوصول إلى العرش من خلال مناورات سياسية ماهرة. تزامن حدثان مهمان: تأسيس الحوزة العلمية في قم لتعزيز الأسس الدينية في البلاد من قبل أحد المراجع الكبار، ووصول "رضاخان" إلى السلطة وتطبيقه للديكتاتورية وإلغاء الشرعية من جهة أخرى، مما أدى إلى مواجهة حادة بين مؤسسة الحوزة (مركز القيادة الدينية) ومؤسسة الدولة (مركز السلطة واتخاذ القرار).

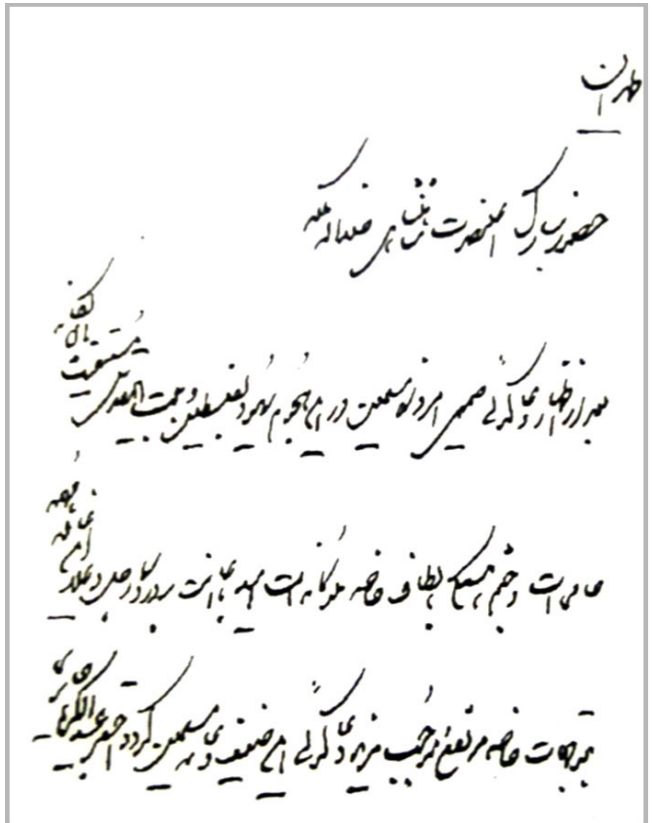
مع استقرار وتثبيت حكم البهلوي، بدأت مرحلة تنفيذ سياسات الاستعمار البريطاني الجديد، حيث تم وضع سياسة إزالة الدين وتحويل الثقافة من خلال نشر الثقافة الغربية الحديثة على جدول أعمال النظام الحاكم."

كان قانون توحيد الملابس، ومنع ارتداء الزي الديني، وكشف الحجاب، والمواجهة العلنية مع المظاهر الدينية، جزءاً من هذه البرامج. في مثل هذه الظروف، أي حركة غير محسوبة من آية الله الحائري اليزدي يمكن أن تكون شرارة على برميل البارود الجاهز للانفجار لدى رضاخان. حاول آية الله الحائري بحكمة وسياسة خاصة تجنب تدمير الحوزة العلمية، والحفاظ على المركز العلمي والديني للحوزة من تدخلات وهجمات النظام.

المقدس، ويستغيثون بذلك الحامي الوحيد، وعيون الجميع متوجهة إلى العطف الملكي الخاص. نأمل بعون الله تعالى أن يُحل هذا الأمر المهم باهتمامكم الخاص، مما يزيد من دعاء هذا الضعيف وعامة المسلمين. الأحقر عبدالكريم الحائري."

تم إبلاغ مكتب رئيس الوزراء بموضوع برقية آية الله الحائري عبر آية الله البهبهاني في ٧ دي ١٣١٢ هـ.ش (١١ رمضان ١٣٥٢ هـ.ق)، أي في الأيام الأخيرة من عام ١٩٣٣. نص الرسالة:

"نرفع لكم مع الدعاء، أنه بناءً على طلب آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري وجمع من علماء قم، تم إرسال برقية إلى المقام الملكي المعظم تتعلق بفلسطين وتقديم شكوى. وقد أرسل آية الله المعظم نصها إلي، وأقدمه الآن. إذا رأوا المقتضي موجوداً، فأمرؤا بنشرها في الصحف. ربما تصل برقيات مماثلة من مدن أخرى خلال الأيام القليلة المقبلة.



صورة رسالة آية الله الحائري حول هجرة اليهود إلى فلسطين

قال آية الله العظمى الأراكي في هذا الصدد:

"لو ظهرت أي حركة صغيرة من أي زاوية في هذا البلد، كان رضاخان يرسل المجرم فوراً إلى المنفى أو يشنقه. كان الشيخ الحائري واقعاً في مثل هذه المعركة ولم يكن لديه خيار إلا الصبر. في مخالاب أسد دموي شرس، لا يوجد حل سوى التسليم والرضا."

بناءً على ذلك، كان الحفاظ على الحوزة العلمية

هو الأولوية القصوى لمؤسس الحوزة، واضطر إلى التدخل في عدة قضايا مهمة جداً تتعلق بأصل الدين. إحداها كانت المواجهة العلنية لـ "رضاخان" مع رجال الدين، والأخرى كانت قضية كشف الحجاب. كان آية الله الحائري يعتقد أن هاتين القضيتين تتعلقان بأساس الدين والمذهب، وأن هدف "رضاخان" كان اقتلاع جذور الإسلام.

المصدر: مركز وثائق الثورة الإسلامية - أحمد نجفي



مقابلہ و حواہ

دور الإمام الخميني رحمته الله في تطوير الحوزات العلمية

في مقابلة مع آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي رحمته الله



- الرجاء من سماحتكم بيان دور الإمام رحمته الله في تطوير الحوزات العلمية من الناحية الفكرية والتنظيمية.

- لقد طرحتم مسألة مهمة جداً ولها تأثير على مصير الإسلام والمسلمين وكذا الحوزات العلمية من عدة نواحي، فما يمكنني قوله هو أن الإمام رحمته الله كان حساساً جداً بالنسبة لشؤون الحوزات العلمية، لذا يمكننا في هذا المجال أن نعكس آراء الإمام على خمسة محاور على الأقل:

أهمية الحفاظ على الحوزات العلمية:

١ - كان الإمام رحمته الله يرى أن الحوزات العلمية مهمة جداً ويمكن ملاحظة ذلك من خلال بياناته المختلفة، علاوة على ذلك، فقد كانت لي مع الإمام رحمته الله عدة قضايا خصوصية كنت أكتشف من خلالها الأهمية التي كان يوليها الإمام رحمته الله للحوزات العلمية؛ فقد كانت لنا عدة لقاءات معه وفي كل مرة عند انصرافنا أو دخولنا عليه كان يؤكد علينا الاهتمام بمباحث الحوزات العملية خصوصاً

الفقه، فذات مرة كنت ذاهباً إلى منطقة "آستارا" على الحدود الإيرانية - السوفيتية، فوجدت أنها منطقة حساسة وكنت أول مرة أشاهد فيها تلك المنطقة، وكان قد نصب جسر على النهر الموجود في المدينة وفي وسط باب، كتب على أحد طرفي الباب إيران وعلى الطرف الآخر (الاتحاد السوفيتي)، وبعد التحقيق علمت أن المنطقة ليس بها لا إمام جمعة ولا حتى عالم دين في حال إني كنت أسمع من الطرف الآخر أصوات قبيحة ومشاهد تلفزيونية غير مناسبة، فبعد رجوعي من السفر، تشرفت بلقاء الإمام رحمته الله وحكيت له الوضع هناك، وطلبت منه أن يسمح لنا وللمدرسين في الحوزة العلمية بالذهاب إلى هناك وعلى نوبات، وطلبت منه شخصياً أن أذهب إلى هناك لمدة ستة أشهر أو حتى سنة لأنني كنت أحس بالمسؤولية؛ فقال سماحته: فكرة جيدة والمنطقة حساسة، فلا بد من ذلك، لكنه بعد تأمل لحظات قال: لا، لا، أنت لا تذهب، بل ابق في الحوزة، الحوزة مهمة، حافظوا على الحوزة، فكان يرى أن حدود الحوزات أهم من تلك

الأخلاق في الحوزات العلمية:

٤ - من المسائل التي كان يؤكد عليها الإمام رحمته كثيراً هي مسألة الأخلاق في الحوزات، فكان ينصح الطلاب بذلك كثيراً عندما كانوا يحضرون عنده ويقول: "العالم غير المهذب لا ينتفع الإسلام منه وهو خطر على الإسلام". وعلاوة على ذلك سمح بتشكيل محكمة خاصة بالروحانيين لتصفية الحوزات العلمية من العناصر الفاسدة، بحيث تردع أي فرد وفي أي منصب كان إذا شوهده منه قضية غير أخلاقية وانحرافية، أو قضايا تمس بأمن الدولة.

وهذا يدل على الاهتمام الذي كان الإمام الخميني قدس يولييه للقضايا الأخلاقية في الحوزات.

المحافظة على القيم الموجودة في الحوزات:

٥ - كان الإمام قدس يؤكد على الحفاظ على القيم الموجودة في الحوزات، وقد أشرت أخيراً في المؤتمر الأخير أن المقصود من الإصلاحات في الحوزة ليس معناه أن لدينا تشكيلات هدامة ١٠٠٪ ونريد إصلاحها، كلا؟ بل أننا نملك قيماً ومبادئ في الحوزة بحيث يغبطنا عليها الآخرون، فكان الإمام قدس يصر على المحافظة على هذه القيم.

فيجب علينا عدم ترك هذه القيم والمبادئ، بل علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه القيم وننظر إلى نقاط الضعف منها لرفعها ونقوي القيم والمبادئ. فمثلاً: العلاقة الموجودة بين الأستاذ والطالب، كذا الصفاء والمحبة الموجودة بينهما، الحرية الموجودة في انتخاب الأستاذ، وأمثال ذلك. لذا كان الإمام قدس يؤكد على الحفاظ على هذه القيم - التي هي ميراث قرون مضت لنا في الحوزات.

ومع مشاهدة التغييرات المقرر إيجادها في الحوزات العلمية لأجل إنتاج أكثر وتقوية أساس الحوزات، تتمنى من الله أن يتم متابعة كل الإرشادات التي كان الإمام قدس يبذلها بخصوص الحوزات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصدر: alwelayah.net

الحدود، وهذا يدل على الاهتمام الذي كان يولييه قدس للحوزات العلمية.

استقلالية الحوزات العلمية:

٢ - المسألة الثانية التي كان ينظر إليها الإمام قدس هي استقلالية الحوزات العلمية، فمع أن الحكومة أصبحت إسلامية لكنه كان يرى أن تحفظ استقلالية الحوزات وأن ينظر إلى المستقبل، ففي إحدى الجلسات كنا عنده مع عدد من الأصدقاء فقال الإمام قدس لا تربطوا سائر الحوزات العلمية في إيران بحوزة قم، ثم كان يضرب مثلاً على ذلك ويقول: كان هناك اصطلاحاً رائجاً في زمان الملكية، يقال "شاه مردكي" أي موت الملك فعندما يموت الملك أو يقتل بنحو ما يزول معه النظام الملكي، والسبب في ذلك انه كان يمسك بجميع الخيوط، فكان يقول: لا تعملوا عملاً يظهر الحوزات العلمية بهذا الشكل، فإذا حدثت مشكلة لحوزة قم، فإن سائر الحوزات تواصل عملها وتتمكن من الوقوف على أقدامها، ولذا كان الإمام قدس يستفيد من سهمي الإمام والسادات لشهرية الحوزات فقط، ولم يسمع مطلقاً أنه استفاد منها في ميزانية الدولة، وكان يقول: الحوزة إلى جانب النظام، والنظام مع الحوزة، يساندان بعضهما بعضاً، لكن يجب على الحوزات أن تحافظ على استقلاليتها، ويستنبط من كلامه أن الحكومة تصبح حوزوية لا الحوزة تصبح حكومية.

مسايرة الحوزات للتحويلات العالمية:

٣ - كان الإمام رحمته يعتقد بإيجاد تحول جديد في الحوزات العلمية وتطبيق وضعها مع الوضع الموجود في المجتمعات والعالم الإسلامي ولا يمكن بقاؤها على الوضع السابق.

فمثلاً في المباحث الفقهية لا تبحث عن أبواب الصوم والطهارة والحج فقط بل يجب الاعتناء بأبواب القضاء الإسلامي، الحدود والديات، السياسات الإسلامية والاقتصادية والفقهية، وعلى الحوزات الإجابة على هذه المسائل كافة، وقد شكلت حكومة إسلامية لأول مرة، فيجب أن تكون جميع القوانين إسلامية. وكان يرى أن الحوزات العلمية يجب أن تسد الفراغ القانوني الموجود، وكذا الفراغ الاعتقادي؛ لكن مع كل هذا كان يؤكد على الأصاله الفقهية، أي الفقه الجواهري في الحوزات إلى جانب الأخذ بعين الاعتبار الزمان والمكان وأمثال ذلك.



الهجرات العشر المصيرية لآية الله العظمى الحائري اليزدي

في حوار مع آية الله الأعرفي، مدير الحوزات العلمية



يلعب الوالدان دورًا مهمًا جدًا في تشكيل شخصية الطفل. مرحلة الطفولة هي أهم مرحلة في النمو، وللعواطف العميقة للوالدين دور كبير في تشكيل شخصية الطفل خلال هذه الفترة. مستقبل مجتمعنا هو في بيوتنا. إذا تمت تربية الأطفال جيدًا في المنزل، فسيتم حل مشاكل المجتمع؛ لكن تألق آية الله العظمى الحائري تَنَتُّ في مختلف المجالات يعكس نبوغه الشخصي، وتفتح ذهنه الفطري، وكذلك مواهبه واستعداداته الإلهية. لم ينشأ في بيت علم، بل كانت لديه عائلة بسيطة ومتواضعة ومحرومة. عاش والد آية الله الحائري في قرية من قرى مدينة ميبند المسماة بمهرجرد، التابعة لمدينة أردكان في محافظة يزد، وكان أميًا. كان يكسب رزقه من خلال البيع والشراء، لكن صفاء باطنه حوَّله إلى إنسان صالح وتقى.

من الناحية العلمية، من أي أساتذة عصره استفاد أكثر؟

التقى آية الله الحائري بأبرز أساتذة الفقه والأصول

الآفاق - يُعدّ العالم الرباني والفقيه الجليل آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي حُرَّجَ من مُحيي ومجددي الحوزة العلمية في قم في العصر الحديث. قام هذا العالم الجليل بالهجرة إلى مدينة قم المقدسة وإعادة بناء وتقوية بنيتها العلمية، مما أدى إلى تحولات مهمة في مجال العلوم الدينية والثقافة الإيرانية، والتي أثرت لاحقًا بشكل كبير على المشهد السياسي للبلاد. كان نهج آية الله الحائري الإداري في فترة ضغط وسلطة رضا خان مثالًا للتدبير والحكمة التي يتمتع بها علماء الشيعة في المراحل الحرجة.

تناول آية الله الأعرفي، مدير الحوزات العلمية، في حوار مع أسبوعية "أفق حوزة"، جوانب مختلفة من حياة هذه الشخصية العظيمة. وفيما يلي نص هذا الحوار:

في تاريخ إيران المعاصر، يتمتع آية الله العظمى الحائري اليزدي تَنَتُّ بمكانة علمية وأخلاقية واجتماعية كبيرة. هل كان لعائلته دور في تشكيل شخصيته؟

والاجتماعية والفكرية. على عكس حياته الهادئة، تولى دورًا كبيرًا في ظروف حساسة وقام به على أكمل وجه. ورغم أن آثار وأبعاد عمل المرحوم آية الله الحائري تُدركُ ظهرت بعد وفاته، إلا أنه يُعد من عظماء الفترة التاريخية والفكرية والمعرفية الحساسة في تاريخنا.

الهجرات التي صنعت التاريخ

الهجرة في تاريخ الإسلام تُعدّ حدثًا وظاهرةً بالغة الأهمية. الدرس الثاني من حياة الشيخ عبد الكريم الحائري يتمثل في الهجرات المتعددة التي قام بها، وكانت أولى هذه الهجرات مغادرته "مِهْرَجَرْد"، التي أصبحت الآن جزءًا من مدينة ميبدا في محافظة يزد، وآخرها الهجرة من أراك إلى قم، حيث أسس الحوزة العلمية في قم، وهي هجرة كانت بالغة التأثير والإبداع. وبفضل الله، سأتناول في الأقسام القادمة تفاصيل هذه الهجرات.

الشجاعة في اتخاذ القرار والعمل

الدرس الثالث من حياة المرحوم آية الله الحائري يتعلق بشجاعته في اتخاذ القرارات والإقدام على العمل في أصعب فترات تاريخ هذا البلد. فقد أسس مؤسسة دينية كبيرة، وهي الحوزة العلمية في قم، وذلك في عهد حكومة رضا شاه، التي كانت تهدف وفقًا لمخططات الإنجليز إلى محو الدين من حياة الإيرانيين، وفرض كشف الحجاب علنًا، وإغلاق الحوزات العلمية، وتجريد رجال الدين من لباسهم الديني، بل وحتى منع إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام).

في ظل هذه الظروف الصعبة، دخل هذا الموفد الإلهي إلى قم، وبقرار شجاع وتخطيط محكم، أعاد تأسيس الحوزة العلمية في قم أمام أعين رضا شاه. ومن هذه المؤسسة المقدسة، تخرج الإمام العظيم الذي أسقط نظام الشاه وأطاح بحكمه.

ومراجع عصره، مثل آيات الله العظام: الميرزا الشيرازي، السيد محمد فشاركي الأصفهاني، الفاضل الأردكاني، الآخوند الخراساني، السيد محمد كاظم اليزدي، الشهيد الشيخ فضل الله نوري، الميرزا إبراهيم المحلاتي الشيرازي وشخصيات عظيمة أخرى كانت في الحوزات الثلاث. أثرت هذه الحوزات على شخصيته. من جانب آخر، فإن التلمذة على أيدي أساتذة متعددين نقطة أساسية في التربية والتعليم.

كان لإدراكه الشامل للحوزات وأنظمتها والعلاقات السائدة فيها، وكذلك معرفته بكبار العلماء والشخصيات الأخلاقية والروحانية، تأثير كبير على شمولية شخصية آية الله الحائري تُدركُ.

أي جزء من حياة وسلوك آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري (رحمته الله) تعتبره مفيدًا لنا؟

يمكن رصد حياة آية الله الحائري تُدركُ وتحليلها من جوانب مختلفة، لكن ما سيجعل اسمه خالدًا للأبد هو نمط حياته الذي يمكن أن يكون درسًا لنا جميعًا، وأشير إلى بعض منها:

الهمة العالية وعدم التعلق بالمصالح الشخصية والعابرة

إن الدرس الأول الذي علّمنا إياه ذلك العظيم، الذي كان الابن الوحيد لعائلته، هو أن الفقر والعوز والضيقة المادي ونقص الإمكانيات، وأصل العائلة ومكانتها، كلها أمور ثانوية. بل إن الأساس في نمو الإنسان وكماله هو الهمة العالية، وهذه الهمة العالية هي التي أوصلته إلى هذه النقطة المشرفة وقمة الكمال الإنساني والعبودية الخالصة لله. هذا درس المثابرة والجهد المستمر الذي يُظهر أن بإمكان أي شخص، في أي مكان، أن يتسلق القمم العالية بالهمة والسعي.

هنا يجب اعتبار الحاج شيخ من النجوم المتألقة في الحوزات العلمية، مجددًا ومؤسسًا الذي لعب دورًا أساسيًا فائق الأهمية وكبيرًا في الأبعاد العلمية والسياسية

اقتناص الفرص في طلب العلم

الدرس الرابع الذي يمكننا أن نتعلمه من حياة آية الله الحائري هو الجهاد والجديّة في طلب العلم وتحقيق الكمال. فقد كان شابًا يتيمًا ووحيدًا في أسرته، ومع ذلك، استغل فرصة شبابه للذهاب إلى العتبات المقدسة، حيث اغتنم عمره الذهبي لتحصيل العلم، ووصل إلى أعلى المراتب العلمية في الحوزة، وهي مرتبة الاجتهاد. إنسان يملك هذا العلم وهذه المعرفة، يمنح روحًا ومعنى للحياة في المدن والمجتمعات. هذه الشخصية يجب أن نُعرف، ويجب أن نفخر بها.

الشيخ عبد الكريم الحائري ومعرفته بالله وتوحيده

الدرس الخامس من حياة الشيخ يتعلّق بميزة عظيمة وهي معرفته بالله وتوحيده. الأمر الذي أدركه الشيخ عبد الكريم بعمق هو معرفة الله، وهي مرتبة عالية وصل إليها والده أيضًا. الله يرحم الشيخ مرتضى الحائري، ابن الشيخ الجليل، الذي كان من العرفاء والعلماء النادرين. ذات يوم، خلال درسه الخارج طرح نقاشًا علميًا معقدًا وهو "قيام الأمارات مقام القطع" وانتقد رأيًا لأحد كبار العلماء وطرح إحدى عشرة إشكالية موجهة إياها إلى صاحب الكفاية. وبعدما انتهى من الإشكالية الحادية عشرة، توقف فجأة خلال الدرس، وبكى، ثم قال: "في هذا النقاش العلمي المعقد، عندما طرحت إحدى عشرة إشكالية على أحد أعمدة العلم، شعرت بشيء من الغرور في ضميري". تحوّل هذا الدرس إلى درس أخلاقي لم يُنسَ لأكثر من ثلاثين عامًا. قيمة الإنسان تكمن في معرفته بالله.

المؤسس المرحوم كان موحّدًا حقًا. والتوحيد يعني أن الإنسان يدرك أن هناك إرادة واحدة تحكم هذا العالم وتديره. وإذا ارتبط الإنسان بهذه الإرادة العظمى وأصبح نظره توحيدياً، فإن الأخلاق والدين والمجتمع والسياسة كلها تُصلح.

إحياء الحوزة العلمية في قم: من عجائب العالم المعاصر

أحيانًا أقول إن إعادة بناء الحوزة العلمية الكبرى للشيعة تذكّرنا بميلاد النبي موسى عليه السلام ونشأته في قصر فرعون. فرعون الذي كان يقتل الأطفال حتى لا يولد موسى، لكن موسى وُلد ونشأ في بيته. إلهنا هو إله يصنع الأسباب ويمحوها. يد الله فوق كل أيدي، فإذا أراد، فإن ما تظن أنه سيؤدي حتمًا إلى نتيجة، يصبح بلا ثمر؛ وحيث تتصور أنه لا أمل في النجاح، تتجلى المشيئة الإلهية وتنتج ثمرة مذهشة. مثال ذلك النبي موسى عليه السلام الذي نشأ في بيت عدوه، فرعون، ثم أطاح بنفس الحكم الذي ربّاه.

لذلك، إذا شاء الله، فإنه يُظهر أفضل الأسباب للمجتمع في أصعب الظروف ويصنع المعجزات. الحوزة العلمية في قم أُعيد إحيائها أمام أعين رضا شاه، والإنجليز، والقوى الخارجية التي كانت تسعى إلى محو الحوزات العلمية. في وقت حوّلت فيه المدارس العلمية في المدن الأخرى إلى خانات (استراحات للمسافرين)، أرسل الله الشيخ عبد الكريم من منزل طاهر في إحدى القرى النائية في البلاد ليؤسس الحوزة وينشئ طلابًا كان على رأسهم الإمام العظيم الذي أطاح بكل مخططات رضا شاه والاستعمار الخارجي وأسس أعظم ثورة وحكومة دينية.

كيف تُقيّمون شخصية الشيخ عبد الكريم الحائري ومكانته بين علماء الشيعة؟

بالنسبة لشخصيته، سأشير إلى بعض أقوال العلماء حوله لتتضح مكانته وشخصيته بشكل أكبر: لم أجد في التقوى أحدًا مثله.

المرحوم الشيخ عباس القمي، صاحب كتاب مفاتيح الجنان وأحد كبار علماء وأوتاد الشيعة، عندما سُئل: لماذا تقلّد الشيخ عبد الكريم الحائري؟ بينما في عصره كان هناك علماء آخرون مثل الميرزا النائيني وغيرهم. أجاب الشيخ القمي: "في الفترة التي عاشت فيها الشيخ عبد الكريم، لم أجد في التقوى أحدًا مثله."

إلينا لننقلها إلى الآخرين." هذه شهادة عظيمة من الإمام الخميني، الذي كان قائدًا سياسيًا كبيرًا في القرن.

٢. الجملة الثانية:

قال الإمام: "لو كان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري حيًا الآن، لكان قد قام بما قمْتُ به، وإنَّ تأسيس الحوزة العلمية لا يقلُّ أهمية عن تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران." هذا يعني أنه، وفقًا للواجب الإلهي، اختار الشيخ سياسة الصبر، والصمت، والتحمل في مواجهة رضا شاه، ليتمكن من تقوية أسس الحوزة وحفظ كيان الإسلام والتشجيع. تأسيس الحوزة العلمية في إيران آنذاك كان، من الناحية السياسية، لا يقلُّ أهمية عن تأسيس الجمهورية الإسلامية في يومنا هذا.

آية الله العظمى الحائري تميَّز بقدرته على إحياء الحوزة العلمية في زمن اليأس، القمع، والانقسامات، وفي وقت كانت تُهدم فيه مظاهر الدين وفي عصر حكم رضا شاه الظلام، استطاع أن يعيد إحياء الحوزة العلمية في قم، ويضمن بقاء أسس التشييع.

عالم مهذب وسياسي حكيم

ينقل آية الله العظمى شيرازي الزنجاني: "كان الشيخ عبد الكريم الحائري يستشير آية الله بهبهاني، أحد رجال وعلماء السياسة في طهران، عندما يحتاج إلى مشورة سياسية." وللسيد آية الله بهبهاني جملة غريبة جدًا عن الحاج الشيخ تظهر فيها جميع جوانب شخصيته. يقول هذا الرجل عن الحاج الشيخ أنه كان على مستوى عالٍ جدًا من العلم؛ فوق علمه تقواه، وفوق تقواه أخلاقه، وفوق أخلاقه علمه وعقله. أقصد فكره السياسي.

كيف تقيمون دور المرجع المؤسس في بناء الكوادر الدينية والمنظمات الشورية؟

هذه شهادة من الشيخ عباس القمي، الذي كان نفسه في مقام التقوى، ويعرف جميع العلماء. ومع ذلك، يقول: "بعد معاشرتي الطويلة معه، لم أرَ أحدًا يبلغ مستواه في التقوى."

لو كنت مقلدًا، لقلدت الشيخ عبد الكريم

آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي، المعروف بـ"الميرزا الثاني"، كان فقيهاً، وأصوليًا، ومرجعًا كبيرًا للشيعة. بعد وفاة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، تصدَّى للمرجعية العامة للشيعة، وكان من العلماء المجاهدين الذين وقفوا في وجه الاحتلال البريطاني، ومن أبرز مواقفهم إصدار فتوى وجوب القتال ضد البريطانيين.

هذا العالم الكبير، وهو أستاذ الشيخ عبد الكريم، كان يُرجع احتياطاته إلى الشيخ الحائري مرارًا وتكرارًا. حتى أن أحد التجار الصالحين من تبريز سأله: "لو كنت مقلدًا، فمن كنت ستقلد؟" فأجاب الميرزا: "كنت سأقلد الشيخ عبد الكريم."

هذا يُظهر أن الشيخ عبد الكريم كان يتمتع بمكانة علمية عالية جدًا، بالإضافة إلى تقواه وزهده. كما أشار المرحوم آغا بزرگ الطهراني في كتابه القيم "نقباء البشر"، الذي تناول فيه سير العلماء، وجمع العديد من الأقوال المميزة حول الشيخ عبد الكريم الحائري.

تأسيس الحوزة العلمية لا يقلُّ أهمية عن تأسيس الجمهورية الإسلامية

قال الإمام الخميني تكلُّمًا عدة كلمات مهمة حول الشيخ الحائري، منها:

١. الجملة الأولى:

قال الإمام: "يكفي في بيان عظمة آية الله الحائري أنه استطاع في ذلك الزمن الصعب، عندما كان رضا شاه عازمًا على القضاء على الحوزات العلمية والروحانية، أن يحافظ على الحوزات والعلماء، وأن يسلم هذه الأمانة

النقطة الأهم في كل الثورات هي العنصر البشري. فلا يمكن أن تحدث ثورة دون وجود أفراد مؤمنين بها. في كل حركة، الأساس هو وجود أفراد مقتنعين ومخلصين لها. تزامناً مع الحركات الثورية التي كانت قائمة، والتي كانت جميعها مبنية على الإخلاص، استطاع الشيخ عبد الكريم الحائري أن يُعدّ الكوادر اللازمة للثورة. هذه الحركة جعلته شخصية خالدة؛ مع أنّ جميع التّهضبات كانت ذات قيمة. على سبيل المثال، الاستعمار نجح في تركيا، التي لا تزال حتى اليوم دولة علمانية. ورغم أن المسلمين يحكمونها حالياً، إلا أنها رسمياً دولة علمانية، ولديها علاقات قوية مع إسرائيل وأمريكا. ولكن في إيران، لم ينجح الاستعمار. في ذلك الوقت، حدثت الثورة الشيوعية التي قضت على الهوية الدينية للعديد من الدول المسلمة. لكن الشيخ الحائري أعاد تأسيس الحوزة العلمية، لتكون مركزاً لإعداد الكوادر اللازمة للثورة. من خلال هذه الحوزة، تم إعداد شخصيات مثل الإمام الخميني رحمته الله، الذي حافظ على الدين، الشرف، والهوية الإسلامية. الحوزة العلمية كانت بمثابة شجرة طيبة، أسسها الشيخ الحائري بيديه. ومن الناحية السياسية، كان له دور في تمهيد الطريق للثورة. الكوادر التي أعدها للحفاظ على القيم الإسلامية كانت إنجازاً استثنائياً، كما أن الطلبة الذين خرّجهم كانوا من بين أبرز الشخصيات.

حدثنا عن أحداث العالم في سنوات زعامة آية الله الحائري، وسياسته في تلك الفترة.

في بداية زعامة آية الله الحائري رحمته الله، وقعت الحرب العالمية الأولى، والتي تركت أثراً كبيراً على البلاد. في الفترة التي سبقت رضا خان، كانت البلاد تعيش ظروفًا خاصة؛ منها انعدام الأمن، ضعف الأجهزة التنفيذية، وقوة روسيا إلى جانب بريطانيا، مما جعل إيران دولة ممزقة تفتقر إلى الوحدة. مع قدومه إلى قم، بدأت حقبة رضا خان. من جهة أخرى، شهدت فترة زعامته الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، والتي ابتلعت العديد

من البلدان وتركت تأثيرات كبيرة على العالم الإسلامي والعالم المعاصر. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أيادٍ استعمارية، ظاهرة وخفية، تسعى إلى محو الهوية الإسلامية والقضاء على رجال الدين، مع تنفيذ خطط متنوعة في مختلف الدول الإسلامية. أهم الأحداث البارزة في فترة زعامة آية الله الحائري تمثلت في حركة أتاتورك في تركيا ورضا خان في إيران، حيث سعى من خلال خطط مدروسة إلى إزالة آثار الإسلام ورجال الدين باعتبارهم رموزاً للإسلام.

كان ذكاء علماء الشيعة، ومنهم المرحوم آية الله الحائري، هو الذي أحبط هذه المخططات الخطيرة ضد العالم الإسلامي، واستطاعوا الحفاظ على الحوزة العلمية في قم. بعد بضعة أعوام فقط من وصوله إلى قم، تولى رضا خان السلطة، وكانت من أحلك الفترات التي مرت بها إيران وأصعبها. ومن أبرز أحداثها حركة مسجد جوهرشاد، وكشف الحجاب، وخلع العمائم، ونفي العلماء ورجال الدين، والمجازر الكثيرة في البلاد، والسجون، واستشهاد المرحوم آية الله المدرّس، وغيرها. كل هذه الإجراءات كانت تهدف إلى منع تشكيل حوزة علمية قوية في إيران.

في هذه الأوقات العصيبة، استطاع هذا الرجل العظيم، بحكمته وذكائه وسعة صدره وفطنته الاستثنائية، أن يتغلب على رضا خان ونظامه المرعب، وكذلك على الاستعمار القوي لإنجلترا وروسيا في ذلك الوقت. قام بتأسيس الحوزة العلمية في قم كركن ركين للإسلام وقاعدة للإمام الصادق عليه السلام والإمام المهدي عليه السلام.

ما هو العامل الأهم الذي ترك أثراً كبيراً على شخصية آية الله الحائري؟

كانت هجرات المرحوم آية الله الحائري في حياته مهمة ومؤثرة للغاية. فالهجرة مفهومٌ وقيمةٌ أصيلةٌ متجذرة في القرآن الكريم، وهي بناءٌ جدًّا؛ فالانتقال من مكانٍ إلى آخر من أجل تحقيق الأهداف أمرٌ

وكانت هذه الهجرة الرابعة ذات أثر كبير في تكوين شخصيته؛ إذ مكنته من الحضور لسنوات طويلة (نحو اثنتي عشرة سنة) في أهم حوزة علمية في عالم التشيع. كما أن زعامة المرحوم الميرزا الشيرازي، بما له من عظمة علمية وروحانية ومكانة اجتماعية وسياسية، منحت سامراء تألقاً ومقاماً مميزاً. وكان أستاذه الرئيسي في سامراء "المرحوم الفشاركي"، وهو من كبار الفقهاء، معروفٌ بالزهد والبعد النسبي عن الساحة الاجتماعية والسياسية، وكان يشارك في أبحاث الميرزا الشيرازي العلمية. هذا، وقد استفاد آية الله الحائري من علماء آخرين أيضاً، إلا أن أستاذه الرئيسي في الفقه والأصول كان الفشاركي، ثم الميرزا الشيرازي. وفي تلك السنوات، بلغ آية الله الحائري درجة الاجتهاد، ونال المقامات العلمية الرفيعة في أعظم حوزة شيعية. وبذلك، يمكن القول إن البنية الاجتهادية لشخصية آية الله الحائري قد تشكلت بشكل مؤثر في سامراء.

٥. الهجرة الخامسة: هاجر آية الله الحائري، مع جمع من العلماء، بعد عدة أشهر من وفاة الميرزا الكبير (١٣١٢هـ)، إلى النجف الأشرف بسبب تراجع مكانة الحوزة العلمية في سامراء. وفي النجف الأشرف، شارك المرحوم الحائري سنوات طويلة في دروس المرحوم الآخوند الخراساني، وكان له دورٌ أحياناً في تأليف كتاب "كفاية الأصول"، وصرح بنفسه أنه كان له تأثير في مباحث العلم الإجمالي وفي بعض الإشكالات والردود المطروحة هناك. في سامراء، بلغ آية الله الحائري درجة الاجتهاد في محضر أستاذين كبيرين، وأصبح شخصية بارزة ومهمة في الحوزة العلمية العظمى في سامراء. أما المرحلة النجفية، فكانت بمثابة استكمالٍ لنضوجه العلمي والفكري.

٦. الهجرة السادسة: في سنة ١٣١٦هـ، وبطلب من نجل الحاج آقا محسن الأراكي، هاجر من كربلاء إلى أراك، وبدأ بالتدريس في "سلطان آباد" (أراك الحالية).

مهم. وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة حول الهجرة والمهاجرة، وأكد عليها. والمعنى الأول للهجرة هو الهجرة الظاهرية، أي الانتقال من ديارٍ إلى أخرى لأهداف سامية، وإلا فهي تعدُّ سفرًا لا أكثر. فالهجرة في حقيقتها، هي انتقالٌ من مكانٍ إلى آخر في سبيل بلوغ الأهداف. والهجرة الباطنية هي روح الهجرة الظاهرية.

الهجرة احتلت مكانة مهمة في حياة المرحوم آية الله الحائري. ويمكن تقسيم هجراته العشر على النحو التالي:

١. الهجرة الأولى: الهجرة من مسقط رأسه "مهرجرد"، وهي منطقة تاريخية تقع حالياً في وسط مدينة مبيد. وقد هاجر في فترة قصيرة إلى أردكان بصحبة زوج خالته، وهناك بدأ بدراسة المقدمات. ثم انتقل من أردكان إلى يزد، حيث واصل دراسة المقدمات هناك.

٢. الهجرة الثانية: بعد إتمام المقدمات وجزء من مرحلة السطوح في يزد، سافر إلى كربلاء بناءً على توصية أحد العلماء.

٣. الهجرة الثالثة: في حدود سن الثامنة عشرة، وبعد وفاة والده، هاجر مع والدته إلى كربلاء نحو سنة ١٢٩٨هـ. في ذلك الوقت، كان المرحوم آية الله الفاضل الأردكاني، أحد كبار علماء عصر الشيخ الأنصاري قدس، مقيماً في كربلاء، وكان يعد من أقران الشيخ الأنصاري. أقام آية الله الحائري في كربلاء قرابة سنتين، حيث كانت هناك حوزة علمية مهمة تحت زعامة المرحوم الفاضل الأردكاني، ونهل منها علوماً وفيرة.

٤. الهجرة الرابعة: في سنة ١٣٠٠هـ، أرسل المرحوم الفاضل الأردكاني آية الله الحائري إلى سامراء. آنذاك كانت سامراء تعدُّ أهم حوزة شيعية بسبب إقامة المرجع الكبير الميرزا الشيرازي قدس، صاحب فتوى التبغ، وزعامته فيها. كتب الفاضل الأردكاني رسالة للميرزا الشيرازي، وبهذا توجه الحائري إلى سامراء. وقد استقبله الميرزا الشيرازي ترحيباً خاصاً لما رأى فيه من النبوغ والموهبة، فضلاً عن توصية الفاضل الأردكاني به.

٧. الهجرة السابعة: بعد ثماني سنوات، عاد مجدّداً إلى النجف في سنة ١٣٢٤هـ لأسباب معيّنة، وانضمّ مرّة أخرى إلى درس الآخوند الخراساني، كما حضر دروس السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي أيضاً.

٨. الهجرة الثامنة: في النجف الأشرف، ومن أجل الابتعاد عن النزاع القائم بين أنصار المشروطة ومعارضيهما، عاد بعد بضعة أشهر إلى كربلاء. وهناك اتخذ لقب "الحائري". كان المرحوم آية الله الحائري قد أقام سابقاً في حوزة كربلاء، وكان يحمل مشاعر خاصة تجاهها. ومع أنّ حوزتي سامراء والنجف كانتا في ذروة ازدهارهما، فإنّ حوزة كربلاء كانت ضعيفة، وكان يشعر فيها بفراغ علمي. وربّما كانت هناك عوامل سياسية أيضاً أثّرت على قراره بالهجرة إلى كربلاء. فهجرته الأولى إلى كربلاء كانت لبدء الدراسة، وأمّا الهجرة الثانية فقد حصلت في مرحلة نضجه العلمي، وكان هدفها التعليم والتدريس وتربية التلاميذ. وهكذا، فإنّ آية الله الحائري بإقامته في كربلاء أحيّا حوزتها العلمية من جديد.

٩. الهجرة التاسعة: رغم توفّر ظروف المرجعية لآية الله الحائري في النجف وكربلاء، إلا أنّه هاجر مجدّداً إلى أراك في أوائل سنة ١٣٣٣هـ/١٢٩٣ش، استجابةً لكثرة الطلبات، وبقي هناك أكثر من ثماني سنوات، تولّى فيها إدارة الحوزة العلمية وتربية الطلبة. حتى بلغ عدد طلاب الحوزة في أراك أكثر من ٣٠٠ طالب، وتحولت المدينة إلى مركز علمي وبحثي عظيم، وكان من بين طلابه الأوائل هناك كبار العلماء أمثال: آية الله العظمى الأراكي، الإمام الخميني، آية الله العظمى الكلبايكاني (قدس سرّهم)، وغيرهم من مراجع العصر العظام.

ورداً على رسالة المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس الله تعالى روحه التي أرسلها إليه بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي قدس الله تعالى روحه، والتي دعاها فيها للعودة إلى العتبات والاستعداد لتحمل المرجعية، اعتبر الحائري أنّ إقامته في إيران تكليف شرعي، وأعرب عن قلقه من الانحراف والانحطاط الفكري الذي تتجّه نحوه إيران وشعبها.

١٠. الهجرة العاشرة: كانت آخر هجرة لآية الله الحائري سنة ١٣٤٠هـ إلى قم، وكانت بدايةً لتأسيس وإحياء الحوزة العلمية في قم. إنّ هجراته العشر كانت كلّها "هجرة إلى الله"، وقد حملت بركات جمّة، وهي تشبه هجرة رسول الله ﷺ. ومثل هذه الهجرات تُعدّ من أعظم الهجرات، ولها دور محوري في فهم سيرة آية الله الحائري قدس الله تعالى روحه وتحليلها.

إحياء الحوزة العلمية في قم، في تلك المرحلة التاريخية الحساسة للغاية على يد الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري، يُعدّ من الظواهر الباقية والعناوين اللامعة في تاريخ إيران. برأيكم، ما هي العوامل التي كان لها دور في هذا الأمر ومهدت الطريق له؟

كان آية الله الحائري يعرف الحوزات المعاصرة له عن قرب. أهم الحوزات في عصر المرحوم الحائري كانت حوزات كربلاء وسامراء والنجف، والتي كانت تُعدّ قمم الحوزات الشيعية. وقد أدرك آية الله الحائري هذه الحوزات. كانت حوزات كربلاء وسامراء والنجف تختلف عن بعضها البعض، وقد منحت ظروفها المختلفة للمرحوم الحائري رؤية شاملة ومنهجاً شاملاً ومقارناً بين الحوزات العلمية. هذه العوامل ساعدته في تأسيس الحوزة العلمية في قم.

بعد إحيائه للحوزة العلمية في قم، وبالنظر إلى معرفته بالحوزات الشيعية الكبرى في سامراء والنجف وكربلاء، واطلاعه على أساليب الإدارة ونقاط القوة والضعف لدى أسلافه، فضلاً عن تجاربه الشخصية في حوزة أراك، كان يفكر قبل كل شيء في التخطيط لتثبيت الحوزة وتطويرها. كان من برامج إحداث تحول في أساليب التعليم في الحوزة، وتخصّص أبواب الفقه، وتوسيع نطاق معارف الطلاب في الحوزة، بل وتعليم اللغات الأجنبية، وباختصار، تربية الباحثين والمجتهدين.

حياة آية الله الحائري، يعتبر تربية التلاميذ والمهارة في التعامل معهم أمراً هاماً، محسوساً وملموساً.

كيف كان النهج السياسي لآية الله الحائري في فترة قمع رضا خان؟

كان آية الله الحائري في البداية متسامحاً وليئاً جداً مع رضا خان، بل وكان أحياناً يتبادل الزيارات معه. في تلك الفترة، كان رضا خان ضعيفاً ولم يكن يستطيع القيام بالكثير من الأمور. إذا قمنا برسم علاقة هذين الرجلين خلال سنوات معاصرتهم على شكل منحني، فسلاحظ أنها تبدأ من نقطة سلمية، ثم تبلغ ذروتها في المواجهة؛ حتى إنهم يقولون إن آية الله الحائري مات كمداً بسبب قضية كشف الحجاب، وكتب رسالة إلى رضا خان. كانت هذه العلاقة دائماً تتأرجح بين الصعود والهبوط، لكن ذروتها تعود إلى واقعة كشف الحجاب التي أغضبت المرحوم الحائري بشدة. كما أن رضا خان كان حساساً جداً تجاه تلك الرسالة. جميع المراسلات والتفاعلات بينهما قد سُجلت في التاريخ. يبدو أن الأوضاع في ذلك الوقت كانت بحيث لم يكن من الممكن إظهار رد فعل شديد تجاه أفعال رضا خان. كان آية الله الحائري حينها يهدف إلى أن ترسخ جذور الحوزة وتزداد متانتها.

هناك شواهد ووثائق تشير إلى أنه عندما كانت تُوضع أسس تسليم فلسطين لليهود، كتب المرحوم آية الله الحائري رسالة إلى رضا خان ينبهه فيها إلى ضرورة الانتباه لمخططات الأعداء. وأراد آية الله الحائري نشر هذه الرسالة في الصحف، ولكن رضا خان منعه من ذلك. وبهذا نعلم أن المرحوم الحائري كان متنبهاً لتلك القضايا في بداية تكون إسرائيل ونشوءها، لكنه في الوقت نفسه انتهج سياسة هادئة، وكان يتبع أسلوب المقاومة السلبية، مع تأكيد الدائم على مركزية الحوزة العلمية.

في الختام، حدثونا عن بعض الصفات الأخلاقية البارزة لدى الحاج الشيخ.

كان آية الله العظمى الحائري رحمته، المرجع الديني

برأيكم، هل كان تأسيس الحوزة العلمية في قم هو الهدف الرئيسي والمخطط له في حياة آية الله الحائري؟

كانت روح الإحياء وتأسيس النظام الحوزوي حاضرة في شخصية آية الله الحائري؛ كما ذكر، انتقل آية الله الحائري فجأة من النجف إلى كربلاء وأحيا الحوزة التي كانت على وشك الانهيار. ثم سافر مرتين إلى أراك، وبحضوره انتعشت حوزة أراك. أما الإحياء الثالث والأهم لآية الله الحائري، فكان تأسيس حوزة مباركة في عصرنا، بل في تاريخ التشيع. هذه الأمور تتبع من روح التدبير والقدرة لدى المرحوم الحائري على تأسيس الحركات العلمية والمعرفية. يُعد آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مُحيي قم حقاً.

كان المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم من تلامذة الميرزا الشيرازي وحوزة سامراء؛ فهل طُبّق في قم مدرسة سامراء وأسلوبها، وهل يمكن اعتبار الأساس الفكري له مستمداً من تلك المدرسة؟

لقد رأى آية الله الحائري أسلوب سامراء ونشأ فيه. لم يكن أسلوب سامراء أسلوب تدريس تقليدي تلقيني؛ بل كان النقاش والمباحثة الثنائية والبحث في المسألة بمشاركة الطالب والأستاذ أموراً ذات أهمية فيه. كان أسلوب النجف أكثر ارتكازاً على الأستاذ، ويمكن القول في الحقيقة إن الأستاذ والطالب كانا يعملان معاً في حوزة سامراء، بينما كان الأسلوب في النجف محورياً حول الأستاذ. وكان لهذه الأساليب أثرها في منهجية الاجتهاد وغيرها. وكان الطابع الغالب في أسلوب المرحوم الحائري أيضاً سامرائياً، إلى جانب تأثره بأسلوب حوزة النجف؛ ولهذا يُعد أسلوب تدريس ومنهجية الاجتهاد عند آية الله الحائري جامعاً بين سامراء والنجف. وكانت قم امتداداً لهذا الأسلوب الشامل.

هناك نقطة أخرى تتعلق بتربية التلاميذ لدى آية الله الحائري. فعلى الرغم من قلة الطلاب في ذلك الزمان، ربّى المرحوم الحائري مئات التلاميذ والمجتهدين. في

ومؤسس الحوزة العلمية في قم، إلى جانب مكانته العلمية الرفيعة وموقعه الاجتماعي المتميز، يتمتع أيضاً بمستوى أخلاقي عالٍ ونادر، ونذكر هنا بعضاً من صفاته الأخلاقية البارزة:

١. سلوكه وتصرفاته وتعاملاته المدروسة كانت مرآة للأخلاق الإسلامية. كان الإخلاص، والصفاء، والصدق من أبرز صفاته. كان قليل الكلام، حسن الخلق، طيب المعشر، معتدلاً، بعيداً عن التصنع والرياء.

٢. عدم تعلقه بالمظاهر والرئاسة الدنيوية كان من سماته البارزة. كان الزهد والبساطة يسودان حياته. كان شديد الاحتياط في إنفاق الأموال الشرعية، ومع كل ما كان لديه من بيت المال، لم يدخر شيئاً لنفسه، حتى إنه بعد وفاته، لم يكن لدى أبنائه ما يشبعهم.

٣. كان يراعي أحوال الطلاب الشباب ونفسياتهم ويتعامل معهم دائماً ببساطة. كان أحياناً يخرج قبيل الفجر ليتفقد الطلاب المجدين والنشطين في المدارس. كان يسعى جاهداً لحل مشاكلهم المادية والمعيشية، بل كان أحياناً يزور غرفهم بنفسه ليقف على مدى اهتمامهم بالدراسة والمطالعة.

٤. كان يشجع المجدين والمثابرين، وكان يهتم كثيراً براحة الناس ورفاههم وتقليل معاناتهم. من أعماله الخيرية تأسيس مستشفى "سهامية" في قم وتشجيعه على بناء مستشفى "فاطمي" في المدينة. وعند وقوع فيضان قم سنة ١٣١٣ هـ، أرسل رسالة إلى مدن إيران الأخرى طالباً مساعدة أهلها لهذه المدينة المنكوبة، فجلب الكثير من المساعدات إلى قم.

٥. الإخلاص والمحبة لأهل البيت (عليه السلام) كانا سمتين بارزتين عنده، وقد ظهرت هاتان السمتان في تصرفاته وأخلاقه طوال حياته. كان شديد الحب لأهل البيت (عليه السلام)، وكان عشقه للإمام الحسين (عليه السلام) من خصائصه المميزة. وفي شبابه عندما كان في حوزة سامراء، كان يقرأ المراثي في مراسم أهل البيت (عليه السلام)،

وكان حريصاً على إقامة مجلس عزاء في نهاية الدرس.

٦. كان مُحِبّاً لمراسم الفاطمية، فأشاع إقامة العزاء في الأيام "الفاطمية الثانية" (من الأول إلى الثالث من جمادى الآخرة) في إيران.

٧. كان مروجاً لمجالس عزاء أهل البيت (عليه السلام)، فبدلاً من إقامة مراسم التعزية والتمثيل (الشبيه)، نشر مجالس العزاء، وسعى لمنع نقل الروايات غير الموثقة في مجالس أهل البيت (عليه السلام) والمناسبات الدينية.

٨. كان خادماً حقيقياً للدين، فلم يتعامل إلا مع الله، وكان يعمل فقط لرضا الله وتحقيق القيم الإلهية. أعرض عن كثير من الشكليات والمناصب الظاهرية. وكان هدفه هو الخدمة، قائلاً: "أريد أن أخدم، ولا يهمني ما يكون اسمي أو شهرتي".

٩. من مميزاته العلمية عمق وغنى درسه، إلى جانب جهوده الدؤوبة، ترك أثراً علمية مهمة ذات قيمة علمية كبيرة.

١٠. الصبر والثبات في مواجهة المصاعب جعلاً منه رجلاً شديد الصلابة، ففي بدايات تشكيل الحوزة، وفي مواجهة الأحداث والقضايا السياسية التي تزامنت مع صعود رضا خان وقضية كشف الحجاب، كان دائم الصبر والثبات، وبذل جهداً كبيراً لحماية الحوزة العلمية التي كان هدمها على رأس مؤامرات أعداء الدين، وكان دائماً يقول: "أعتبر حفظ الحوزة العلمية أهم الأمور".

✨ تعريب: الآفاق

تقرير عن عملية إعداد الموسوعة في ٢٢ مجلداً للمحقق الحائري اليزدي رحمته الله

حوار مع سماحة الشيخ رضا مختاري؛ مدير مؤسسة تراث الشيعة

صراحةً: أنتم مجلس صيانة موسوعة المحقق الحائري وموسوعة المحقق النائيني (رحمهما الله)، وفي كلتا الموسوعتين، لن يُطبع إلا ما توافقون عليه، وإن لم توافقوا فلن يُطبع شيء.

وتابع آية الله أستاذي العمل حتى نهاية شهر إسفند من العام الماضي (إسفند ١٤٠١ هـ ش، شعبان ١٤٤٤ هـ ق) بشكل جيد، وتقدّم القسم الأكبر من العمل. ومن بعد ذلك، أصبحت أنا الوسيط بين آية الله أستاذي والقائمين على الموسوعة، وليست لي دور مستقل في العمل؛ لذلك أنقل آراء آية الله أستاذي إلى الباحثين والقائمين على الموسوعة، ويتم العمل بالتشاور وأخذ رأيه.

هذه الموسوعة تعبّر عن الشمولية العلمية للحاج الشيخ عبدالكريم الحائري رحمته الله ومدرسة قم.

تصحّحات دقيقة من آية الله أستاذي

راجع آية الله أستاذي استفتاءات الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري رحمته الله قبل الطباعة مراجعة علمية دقيقة، وأبدى العديد من الملاحظات والإشكالات.

أما بعض الآثار الفتوائية الأخرى التي لم تكن ضرورة لإدراجها في الموسوعة، مثل: حاشية آية الله الحائري على "أنيس التجار" للملا محمد مهدي النراقي رحمته الله، والتي كانت فتاوى محضة، فقد تم استبعادها من الطباعة في الموسوعة بأمر آية الله أستاذي؛ بينما الأعمال الفقهية الفتوائية التي يرجع إليها أهل العلم، كالحواشي على "العروة الوثقى" وحواشي على "الغاية القصوى" (وهي ترجمة فارسية للعروة الوثقى)، فقد أدرجت في الموسوعة.



كان آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم، من مراجع الشيعة، ومؤسس وزعيم الحوزة العلمية في قم، في الفترة من ١٣٠١ هـ ش حتى ١٣١٥ هـ ش (١٣٤١ حتى ١٣٥٥ هـ ق)، وقد ترك العديد من المؤلفات. ونظرًا للحاجة إلى جمعها وتدوينها وإعداد مجموعة مستقلة وقيمة منها، وضعت أمانة الذكرى المئوية لإعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، إعداد "موسوعة المحقق الحائري اليزدي" على جدول أعمالها. سماحة الشيخ رضا مختاري، مدير مؤسسة تراث الشيعة، وهو من المشاركين والمرتبطين بإعداد الموسوعة، تحدث في حوار حول كيفية إعداد موسوعة آثار هذا العالم الرباني. وفيما يلي تفاصيل الحوار:

في البداية، هل يمكن أن تشرحوا أهمية وعملية جمع وتدوين هذه الموسوعة؟

قال آية الله أعرافي لآية الله أستاذي في جلسة

هل طباعة استفتاءات العلماء السابقين لازمة اليوم؟

النصوص الفقهية والاستفتاءات يمكن أن تكون من مصادر معرفة تاريخ الثقافة والحضارة في مجتمع ما؛ إذ أن بين الأعمال الفقهية، الاستفتاءات تحتوي، بسبب إشارتها لأوضاع خاصة، على معلومات قيّمة في مجال التاريخ الاجتماعي؛ فمثلاً، ما هي المسائل التي كانت محل ابتلاء الناس آنذاك. هذه الاستفتاءات والبحوث الفقهية، إضافة إلى بعدها العلمي التعليمي، فإنّها تكشف أيضاً من خلالها عن الجوانب التاريخية والاجتماعية، وهو أمر مهم لأهل العلم والباحثين في شتى العلوم، ويمكن أن يساهم في معرفة التاريخ الاجتماعي.

"درر الفوائد" للحاج الشيخ: الحلقة المفقودة في النظام التعليمي للحوزات العلمية

يمكن القول إن الحوزات العلمية قصّرت في حق آية الله الحاج الشيخ عبدالكريم رحمته من جهتين:

١. [قد قصّروا في] تدريس مؤلّفات الحاج الشيخ في الحوزات العلمية. [فمن اللازم أن] يقرأ الطلاب بجانب "كفاية الأصول"، وكتاب "درر الفوائد" أيضاً، وهذا ما أكّد عليه آية الله شيرازي مراراً بقوله: على الطلاب أن يقرأوا "درر الفوائد" إلى جانب "الكفاية".

٢. طباعة الآثار وتوزيعها: فيما يتعلّق بطباعة آثار الحاج الشيخ، فقد حصل تقصير؛ بالطبع قامت منشورات جامعة المدرسين في السنوات السابقة، بمساعدة آية الله مؤمن رحمته، بطباعة بعض أعمال الحاج الشيخ مع التصحيح؛ إلا أن حواشي "درر الفوائد" لم تُطبع بشكل كامل.

أما كتاب "الصلاة" للحاج الشيخ، فقد بقي بطبعته القديمة الأولى. وأما تقارير تلامذة الحاج الشيخ، وهي كثيرة ومتنوعة، خصوصاً آية الله العظمى

الأراكي قدس الذي له أكثر التقارير، فلم تلقَ اهتماماً من التلامذة أو غيرهم، ولم تُطبع كلها؛ مع العلم أنّ تقارير آية الله الأراكي طُبعت بعد إعلانه المرجعية.

تقارير الدروس الفقهية للحاج الشيخ بخط آية الله السيد أحمد زنجاني رحمته، والآية الله شيرازي، أو تقارير آية الله الأراكي رحمته، سواء ما كُتب في أراك أو ما كُتب في قم، تمّ تصحيحها وطباعتها بعد حدود سبعين عاماً تقريباً. هذه من تقصيرات الحوزة العلمية.

موسوعة آية الله الحائري رحمته بأي عنوان وفي كم مجلد ستُطبع؟

ستُطبع موسوعة آية الله الحائري بعنوان "موسوعة المحقق الحائري اليزدي" في ٢٢ مجلداً؛ اثنان منها مقدمة أو مدخل.

المجلد الأول مدخل يتناول السيرة الذاتية للحاج الشيخ وقضايا مختلفة تتعلق به.

المجلد الثاني مدخل في الإجازات التي كتبها الحاج الشيخ، سواء كتبها بنفسه أو أضافها إلى إجازات مراجع آخرين، وهو مجلد واحد؛ وتشمل الإجازات: الأمور الحسبية، الإجازات الروائية، وإجازات الاجتهاد.

المؤلفات وتقارير دروس الحاج الشيخ

ما عدا هذين المجلدين، تُخصّصت عشرون مجلداً لأخرى لآثار الحاج الشيخ العلمية من مؤلفات، تعليقات وتقارير الدروس التي كتبها تلاميذه؛ أما التقارير التي كتبها الحاج الشيخ عن دروس أساتذته، فلم تكن موجودة ولم تدرج في هذه الموسوعة. وإليك شرحاً موجزاً عن الكتب المطبوعة بحسب الموضوع ورقم المجلد:

• **المجلدان الأول والثاني:** من هذه المجلدات العشرين المتبقية، بالترتيب المجلد الأول والثاني، هو كتاب الصلاة تأليف آية الله الحائري رحمته وهو

حوالي ثمانمائة صفحة. طبعًا توجد تقارير أخرى لمباحث الصلاة للحاج الشيخ لم تُدرج في الموسوعة واكتُفي بهذا القدر.

المجلدان الرابع عشر والخامس عشر من الموسوعة

المجلدان الرابع عشر والخامس عشر هما تقرير درس النكاح للحاج الشيخ بقلم آية الله ميرزا محمود الآشتياني، ومجموع ستة مجلدات من هذه الموسوعة هي من آية الله الآشتياني رحمه الله.

المجلدان السادس عشر والسابع عشر من الموسوعة

المجلدان السادس عشر والسابع عشر هما تقرير درس الصلاة ودرس النكاح للحاج الشيخ بقلم آية الله السيد أحمد الزنجاني رحمه الله، والد آية الله العظمى الشيرازي الزنجاني. وقد طُبِعَ ما كان موجودًا في مجلدين، القسم الأول منهما للصلاة والباقي للنكاح.

المجلد الثامن عشر من الموسوعة

المجلد الثامن عشر هو تقرير درس المكاسب المحرمة وجزء من بحث البيع للحاج الشيخ عبد الكريم بقلم آية الله الأراكي رحمه الله.

المجلد التاسع عشر من الموسوعة

هذا المجلد هو استمرار للمجلد الثامن عشر من تقرير درس البيع للحاج الشيخ بقلم آية الله الأراكي رحمه الله.

المجلد العشرون من الموسوعة

هذا المجلد هو تقرير درس الخيارات للحاج الشيخ بقلم آية الله الأراكي وآية الله الحاج آقا رضا المدني الكاشاني (رحمهما الله). وبالطبع كانت هناك تقارير أخرى موجودة لم تُدرج في هذه الموسوعة تجنبًا للتكرار.

كتاب علمي دقيق حظي باهتمام العظماء مثل: الآخوند الخراساني، آية الله البروجردي (رحمهما الله) وغيرهم؛ وقد تم طبع هذا الكتاب في أواخر حياة الحاج الشيخ في إيران.

• **المجلد الثالث:** استفتاءات الحاج الشيخ عبد الكريم المتبقيه.

• **المجلد الرابع:** حاشية الحاج الشيخ على "العروة الوثقى" و"الغاية القصوى" (الترجمة الفارسية للعروة).

• **المجلدان الخامس والسادس:** "درر الفوائد" للحاج الشيخ عبد الكريم مع حواشٍ مختصرة لبعض الفقهاء مثل: آية الله البروجردي، آية الله الكلبيكاني، آية الله ميرزا محمود الثقفي وآية الله الحاج الشيخ أبو الفضل زاهدي القمي (رحمهم الله)، وقد أُدرجت في ذيل الصفحات لتسهيل وصول الباحثين، وتطبع مع "درر الفوائد" في مجلدين.

• **المجلد السابع:** الحواشي التفصيلية لآية الله ميرزا محمود آشتياني رحمه الله على كتاب "درر الفوائد".

• **المجلد الثامن:** الحواشي التفصيلية لآية الله العظمى الأراكي رحمه الله، ويشمل أيضًا رسائل الاجتهاد والتقليد التي هي تقارير درس الحاج الشيخ عبد الكريم رحمه الله، وتُطبع مع حاشية "درر الفوائد".

• **المجلدان التاسع والعاشر:** تقارير آية الله الأراكي رحمه الله عن درس خارج الطهارة لأستاذة الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي رحمه الله.

المجلدات الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من الموسوعة

هذه المجلدات هي تقرير درس الصلاة للحاج الشيخ بقلم آية الله ميرزا محمود الآشتياني، وهي مفصلة ودقيقة جدًا، ويحتوي كل مجلد على

البحوث العقلية للحاج الشيخ محمد

ليس للحاج الشيخ كتاب مستقل في غير الفقه والأصول في موضوعات أخرى؛ ولكن في كتاب الطهارة بمناسبة مسألة نجاسة الكفار في مبحث وحدة الوجود، لديه مباحث عقلية جيدة تدل على تمكنه من المباحث العقلية، وقد بين هذه المباحث بشكل سلس ودقيق لدرجة أنها تبدو وكأن فيلسوفًا مثل آية الله الشيخ محمد علي الشاه آبادي أو العلامة حسن زاده الآملي (رحمهما الله) هو من طرحها. وطبعًا من خصائص الحاج الشيخ أنه كان يطرح المباحث الصعبة بشكل سلس وواضح ليفهمها الجميع.

منابر الحاج الشيخ العقائدية

وضع الحاج الشيخ منذ بداية هجرته إلى إيران، تعريف الناس بالدين في جدول أعماله. كان يعتلي المنبر بنفسه في بلدة أراك ويشرح مختلف جوانب الشريعة الإسلامية ويقوم بتعليم الأحكام ويبين الحلال والحرام للناس بوضوح وبدقة تامة. كان نهجه الذي اتبعه بكل قوة هو إزالة التحريف من الثقافة الدينية، ومحاربة الخرافات، وكشف أساليب مؤسسي الفرق وغيرها؛ لذا خلال فترة وجوده في أراك، كانت له خطابات في الرد على الصوفية.



الاجتهاد - شهد المؤتمر الدولي المنعقد بمناسبة

مرور مئة عام على إعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، مراسم إزاحة الستار عن موسوعة قيمة تضم عشرين مجلدًا من الإنتاج العلمي والفقه لمؤسس هذه الحوزة، آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، وذلك بحضور سماحة آية الله جوادي الآملي.

تعد هذه الموسوعة، التي تتألف من عشرين مجلدًا، ثمرة عمل دؤوب استهدف جمع وترتيب وتنسيق ونشر جميع الآثار المكتوبة لآية الله الحائري اليزدي في طبعة موحدة، وقد شملت جهود التحقيق جمع مختلف نسخ مؤلفاته ومراجعتها وإكمالها، بالإضافة إلى إدراج أجزاء من تعليقاته الهامة على كتاب "درر الفوائد".